القول بايهما اشعر عندي لتباين الناس في العلم واختلاف مذاهبهم في الشعر ولا أرى لاحد ان يفعل ذلك فيستهدف لذم أحد الفريقين لان الناس لم يتفقوا على أى الاربعة اشعر في امرىء القيس والنابغة وزهير والاعشى ولا فى جرير والفرزدق والاخطل ولا في بشار ومروان ولا فى أبي نواس وأبى العتاهية ومسلم لاختلاف أراء الناس في الشعر وتباين مذاهبهم فيه فان كنت أدام الله سلامتك ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق فالبحترى اشعر عندك ضرورة وان كنت تميل الى الصنعة والمعانى الغامضة التى تستخرج بالغوص والفكرة ولا تلوي على غير ذلك فابو تمام عندك اشعر لا محالة فاما أنا فلست افصح بتفضيل أحدهما على الآخر ولكنى اقارن بين قصيدتين من شعرهما اذا اتفقا فى الوزن والقافية واعراب القافية وبين معني ومعني فاقول أيهما اشعر في تلك القصيدة وفي ذلك المعني ثم احكم انت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما اذا احطت علما بالجيد والردى وأنا ابتدي بما سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الاخرى عند تخاصمهم فى تفضيل أحدهما على الآخر وما ينعاه بعض على بعض لتتأمل ذلك

(قوله وما ينعاه الخ قال في القاموس نعي ذنوبه أي اظهرها) (كذا) وتزداد بصيرة وقوة فى حكمتك ان شئت ان تحكم واعتقادك فيما لعلك تعتقد احتجاج الخصمين به قال صاحب أبي تمام كيف يجوز لقائل ان يقول إن البحترى اشعر من أبي تمام وعن أبي تمام أخذ وعلى حذوه احتذى ومن معانيه استقى وباراه حتى قيل الطائي الاكبر والطائي الاصغر واعترف البحتري ان جيد أبي تمام خير من جيده على كثرة جيد أبى تمام فهو بهذه الخصال ان يكون اشعر من البحترى أولي من ان يكون البحترى اشعر منه قال صاحب البحترى اما الصحبة فاصحبه ولا تلمذله ولا روى ذلك أحد عنه ولا نقله ولا رأى قط انه محتاج اليه ودليل هذا الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند أبي سعيد محمد بن يوسف الثغرى وقد دخل اليه البحتري بقصيدة التي أولها أأفاق صب من هوى فافيقا وأبو تمام حاضر فلما أنشدها علق أبو تمام أبياتا كثيرة منها فلما فرغ من الانشاد أقبل أبو تمام على محمد ابن يوسف فقال أيها الامير ماظننت ان أحداً يقدم على ان يسرق شعرى وينشده بحضرتى حتى اليوم ثم اندفع ينشد ما حفظه من أبي على أبيات كثيرة من القصيدة فبهت البحتري رأي أبو تمام الانكار في وجه أبي سعيد محمد بن يوسف فحينئذ قال له أبو تمام أيها الامير والله ما الشعر الا له وانه أحسن فيه الاحسان كله وأقبل يقرظه ويصف معانيه ويذكر

محاسنه ثم جعل يفخر باليمن وانهم ينبوع الشعر ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى أضعف له الجائزة فهذا الخبر الشنيع يبطل ما ادعيتم اذ كان من (لا ولا) يقول هذه القصيدة التي هي من عين شعره وفاخر كلامه وهو لا يعرف أبا تمام الا أن يكون بالخبر يستغنى عن ان يصحبه أو يتلمذ له أو لغيره في الشعر وقد أخبرني أنا رجل من أهل الجزيرة ويكنى أبا الوضاح وكان عالما بشعر أبي تمام والبحتري وأخبارهما ان القصيدة التي سمع أبو تمام من البحتري عند محمد بن يوسف وكان اجتماعهما وتعارفهما القصيدة التي أولها فيم ابتداركما الملام ولوعا أنه لما بلغ الى قوله فيها

في منزل ضنك تخال به القنا بين الضلوع اذا انحنين ضلوعا

نهض اليه أبو تمام فقبل بين عينيه سرورا به وتحققا بالطائية ثم قال أبى الله الا أن يكون الشعر يمينا قال صاحب البحتري الان مع هذا لا ينكر ان يكون قد استعار بعض معاني أبي تمام لقرب البلدين وكثرة ما كان يطرق سمع البحتري من شعر أبي تمام فيعلق شيئا من معانيه معتمدا للأخذ أو غير معتمد وليس ذلك بمانع من ان يكون البحتري أشعر منه فهذا كثير قد أخذ من جميل وتلمذ له واستقى من معانيه فما رأينا ان أحداً اطلق في كثير ان جميلا اشعر منه بل هو عند أهل العلم بالشعر والرواية اشعر من جميل وهذا ابن سلام الجمحي ذكره في كتاب الطبقات في الطبقة الثانية من شعراء الاسلام جعله مع البعيث والقطامي وذكر انه عند أهل الحجاز خاصة اشعر من جرير والفرزدق والاخطل وجعل جميلا في الطبقة السادسة مع عبد الله بن قيس الرقيات والاحوص ونصيب الا أنه قال ان جميلا يتقدمه في النسيب وهذا غير مقبول منه لانه انما يحكيه عن نفسه وأهل الحجاز انما قدموا كثيرا من أجل نسيبه وحسن تصرفه فيه وحكي عن جرير أنه قال في بعض الروايات كثير نسيبنا ويدل على تقدمه في النسيب قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها سعيد الكاتبي أولها من سجايا الطاول ان لا تجيبا

لو يفاجي ركن المديح كثيرا بمعانيه خالهن نسيبا

طاب فيه المديح والتذ حتي فاق وصف الديار والتشبيبا

أراد ان كثيراً لو فاجاه هذا المديح على حسن نسيبه لخاله نسيبا وخص كثيرا لشهرته بالنسيب وبراعته واحتمل ضرورة الشعر ورد كثيراً ولم يقل جميلا ولا جرير ولا غيرهما مما لا ضرورة في اسمه وعلى أن كثيراً ذكر اسمه مكبراً اما ضرورة وا

اعتمادا لتفخيم اسمه وان لا يأتي به محقراً فقال

وقال لي الواشون ويحك انها بغيرك حقا يا كثير تهيم

وقدذكرابو تمام كثيرا في موضع آخر فجاء به مكبراً في قصيدة يمدح بها الحسن ابن وهب ويصفه بالبلاغة وهو قوله

فكان قسا في عكاظ يخطب وكثير عزة يوم بين ينسب

وذلك لعلم ابي تمام بتقدم كثير في النسيب على غيره وشهرته بالتجويد فيه على أن جميلا لا شعر له مما يعتد به الا في النسيب والغزل فقد علمتم الآن أن هذه حالة لا توجب لكم تفضيل ابي تمام على البحتري من أجل أنه أخذ شيئا من معانيه وأما قول البحتري جيده خير من جيدي ورديي خير من رديه فهذا الخبر أن كان صحيحاً فهو للبحتري لا عليه لان قوله هذا يدل على أن شعر أبي تمام شديد الاختلاف وشعره شديد الاستوآء والمستوى الشعر أولى بالتقدمة من المختلف الشعر وقد اجتمعنا نحن وأنتم على أن أبا تمام يعلو اعلوا احسنا وينحط انحطاطا قبيحا وأن البحتري يعلو بتوسط ولا يسقط ومن لا يسقط ولا يسفسف أفضل ممن يسقط ويسفسف والذي نرويه عن أبي علي محمد بن العلاء السجستاني وكان صديق البحتري أنه سئل البحتري عن نفسه وعن أبي تمام فقال اغوص على المعاني وأنا أقوم بعمود الشعر وهذا الخبر هو الذي يعرفه الشاميون دون غيره وسمعت أبا علي محمد بن العلا أيضا يقول كان البحتري عند نفسه أشعر من ابي تمام وسائر الشعرآء المحدثين وقد ذكر فيه أخبار الشعراء نحوا من ذلك قال ابو علي محمد بن العلا كان البحتري اذا شرب وانس انشد شعره قال الا تسمعون الا تعجبون قال وكان مع هذا أحسن الناس أدب نفس لا يذكر شاعر محسن أو غير محسن الا قرظه ومدحه وذكر أحسن ما فيه قال أبو علي ولم لا يفعل ذلك وقد أسقط في أيامه أكثر من خمسمائة شاعر وذهب بخيرهم وانفرد باخذ جوائز الخلفاء والملوك دونهم فلو لم يفعل ذلك الا استكفافا وحذرا من بيت واحد يندر فيبقى على الزمان لكان من الحظ له أن يفعله

﴿ أي من بيت واحد ممن يهجونه فيبقى على الزمان متداولا ﴾

وكذلك كان ابو علي دعبل بن علي الخزاعي يهجو الملوك والخلفاء ولا يعرض لشاعرهم الا ضرورة وقد حذر في أول كتابه الذي الفه في الشعرآء من التعرض لشاعر ولو كان من ادون الناس صنعة في الشعر وقال رب بيت جري على لسان مفحم قيل فيه

رب رمية من غير رام فسارت به الركبان ولذلك يقول فى بعض شعره

لا تعرضن بمزح لامرء طبن ماراضه قلبه اجراه فى الشفة

فرب قافية بالمزح جارية مشؤمة لم يرد انماؤها نمت

ثم رجع الى قول الخصمين قال صاحب ابى تمام فابو تمام انفرد بمذهب اخترعه وصار فيه اولا واماما متبوعا وشهر به حتى قيل هذا مذهب ابي تمام وطريقة ابى تمام وسلك الناس نهجه واقتفوا اثره وهذه فضيلة عرى عن مثلها البحترى قال صاحب البحترى ليس الامر لاختراعه لهذا المذهب على ماوصفته ولاهو باول فيه ولا سابق اليه بل سلك في ذلك سبيل مسلم واحتذي حذوه وأفرط واسرف وزال عن النهج المعروف والسنن المالوف وعلى أن مسلما ايضا غير مبتدي لهذا المذهب ولا هو أول فيه ولكنه رأى هذه الانواع التى وقع عليها اسم البديع وهى الاستعارة والطباق والتجنيس منشورة متفرقة فى اشعار المتقدمين فقصدها واكثر في شعره وهي فى كتاب الله عز وجل قال الله تعالى واشتعل الراس شيباً وقال تبارك وتعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وقال واخفض لهما جناح الذل من الرحمة فهذه من الاستعارة التى هي فى القرآن وقال امرؤ القيس

فقلت له لما تمطى بجوزه واردف اعجازا وناء بكلكل

فجعل الليل يتمطي وجعل له اردافا وكلكلا وقال زهير

صحا القلب عن سلمي واقصر باطله وعري افراس الصبا ورواحله

فجعل للهوى أفراسا ورواحل وقال لبيد الجعفى

وغداة ريح قد كشفت وقرة اذا أصبحت بيد الشمال زمامها

فجعل للغداة يداً وللشمال زماما فهذه كلها استعارات وقال جل وعز فى التجنيس وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين وأقم وجهك للدين القيم وقال النبي ﷺ عصية عصت الله ورسوله وغفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله وقال القطامي

ولما ردها فى الشول شالت بذيال يكون لها لفاعا (الملحفة أو الكساء)

وقال أيضاً

كنية الحي من ذي القيظ فاحتملوا مستحقبين فؤادا ماله فاد

وقال جرير

وما زال معقولا عقال عن الندى وما زال محبوسا عن المجد حابس

وقال ذو الرمة

كان البرى والعاج عيجت متونه على عشر نهى به السهل ابطح

(البرى جمع برة وهى على مافى الصحاح حلقة من صفر تجعل في لحم أنف البعير وربما كانت من شعر وقد أهمل القاموس هذا الجمع وعاج عطف والعشر بالضم النوق التى تنزل الدرة القليلة والنهى اسم مانهب .

وقال امرؤ القيس

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسني من دائه ماتلبسا

وقال الفرزدق

خفاف أخف الله عنه سحابه وأوسعه من كل ساف و حاصب

ذكر ذلك كله أبو العباس عبدالله بن المعتز فى كتاب البديع قال ومن الطباق قول الله تعالى ولكم فى القصاص حيوة وقال النبى ﷺ انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون الطمع وقال زهير

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا ما كذب الليث عن أقرانه صدقا

فطابق بين الصدق والكذب وقال طفيل الغنوى

بساهم الوجه لم تقطع أجله يصان وهو ليوم الروع مبذول

(عرق مفرده ابجل وهو من الفرس والبعير بمنزلة الاكحل من الانسان)

فطابق بين قوله يصان و بين قوله مبذول فتتبع مسلم بن الوليد هذه الانواع واعتمدها ووشح شعره بها ووضعها فى موضعها ثم لم يسلم مع ذلك من الطعن حتى قيل انه أول من افسد الشعر روي ذلك أبو عبدالله محمد بن داود بن الجراح قال وحدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال سمعت أبى يقول اول من افسد الشعر مسلم بن الوليد ثم اتبعه أبو تمام واستحسن مذهبه واحب أن يجعل كل بيت من شعره غير خال من بعض هذه الاصناف فسلك طريقا وعرا واستكره الالفاظ والمعانى ففسد شعره وذهبت طلاوته ونشف ماؤه وقد حكى عبدالله ابن المعتز في هذا الكتاب الذي لقبه البديع أن بشارا وأبا نواس ومسلم بن الوليد ومن

تقيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن ولكنه كثر في اشعارهم فعرف من زمانهم ثم ان الطائي تفرغ فيه واكثر منه واحسن في بعض ذلك وأساء في بعض وتلك عقبى الافراط وثمرة الاسراف قال وانما كان الشاعر يقول من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة وربما قرىء في شعر احدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت واحد بديع وكان يستحسن ذلك منهم اذا أتى قدرا و يزداد حظوة من الكلام المرسل وقد كان بعضهم يشبه الطائى في البديع بصالح بن عبدالقدوس في الامثال ويقول لو كان صالح نثر أمثاله في تضاعيف شعره وجعل منها فصولا فى أبياته اسبق أهل زمانه وغلب على ميدانه قال بن المعتز وهذا اعدل كلام سمعته قال صاحب البحترى فقد سقط الآن احتجاجكم باختراع أبى تمام لهذا المذهب وسبقه اليه وصار استكثاره منه وافراطه فيه من أعظم ذنوبه واكبر عيوبه وحصل البحترى أنه مافارق عمود الشعر وطريقته المعهودة مع ما نجده كثيراً في شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة وانفرد بحسن العبارة وحلاوة الالفاظ وصحة المعانى وخبث وقع الاجماع على استحسان شعره واستجادته وروى شعره واستحسنه سائر الرواة على طبقاتهم واختلاف مذاهبهم فمن نفق (الظاهر انه من نفاق السلعة) على الناس جميعاً أولى بالفضيلة وأحق بالتقدمة قال صاحب أبي تمام انما اعرض عن شعر أبى تمام من لم يفهمه لدقة معانيه وقصور فهمه عنه وفهمه العلماء والنقاد فى علم الشعر واذا عرفت هذه الطبقة فضيلته لم يضره طعن من طعن بعدها عليه قال صاحب البحتري ان ابن الاعرابى واحمد بن يحيي الشيبانى وقبلها دعبل بن الخزاعى قد كانوا علماء بالشعر وكلام العرب وقد علمتم مذاهبهم فى أبي تمام وازدرائهم بشعره وطعن دعبل عليه وقولهم ان ثلث شعره محال وثلثه مسروق وثلثه صالح وروي أبو عبدالله محمد بن داود بن الجراح في كتاب الشعراء عن محمد بن القاسم ابن مهرويه عن الهيثم بن داود عن دعبل أنه قال ماجعله الله من الشعر آبل شعره بالخطب والكلام المنثور اشبه منه بالشعر ولم يدخله في كتابه المؤلف فى الشعراء وقال ابن الاعرابى في شعر أبى تمام ان كان هذا شعرا فكلام العرب باطل روى ذلك أبو عبدالله محمد بن داود عن البحترى عن أبى الاعرابى وحكى محمد بن داود أيضا عن محمد بن القاسم ابن مهرويه عن حذيفة بن محمد وكان عالما بالشعر انه قال أبو تمام يريد البديع فيخرج الى المحال وروي عنه أنه قال دخل اسحاق بن ابراهيم الموصلى عن الحسن بن وهب وأبو تمام ينشده فقال له اسحاق ياهذا لقد شددت على نفسك وذكر أيضاً أبو

العباس عبدالله بن المعتز فى كتاب البديع وغير هؤلاء العلماء ممن أفسدوا شعره كثير منهم أبو سعيد الضرير وأبو العميثل الاعرابى صاحب عبد الله بن طاهر بخراسان وكان من أعلم الناس بالشعر وكان عبدالله بن طاهر لا يسمع من شاعر الا اذا امتحناه وأنشدها شعره ورشياه فقصدهما ابو تمام بقصيدته التى يمدح فيها عبد الله بن طاهر أولها

هن عوادي يوسف وصواحبه فعزماً فقدماً أدرك النجح طالبه

فلما سمعا هذا الابتداء اعرضا عنه واسقطا القصيدة حتى عاتبهما أبو تمام وسألها النظر فيها فلولا انهما ظفرا ببيتين مسروقين فيها استحسناهما فعرضا القصيدة على عبد الله بن طاهر وأخذا له الجائزة لكان قد افتضح وخابت سفرته وخسرت صفقته والبيتان

وركب كاطراف الاسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه

لامر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه

أخذ معني البيت الاول من قول أبي البعيث

اطاف بشعث كالاسنة هجة بخاشعة الاصوات غير صحوتها

وأخذ معنى البيت الثاني من قول الاخر

علام وغى تقحمها فابلى نخان بلاءه الدهر الخؤون

وكان على الفتي الا قدام فيها وليس عليه ماجنت المنون

(ذكره فى موضع آخر فكان)

ولما أوصلا اليه الجائزة قالا له لم تقول مالا يفهم فقال لهما لم لا تفهمان مايقال فكان هذا مما استحسن من جوابه وهذا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ما علمناه دون له كبير شيء وهذه كتبه وأماليه وأنشاداته تدل على ذلك وكان يفضل البحتري ويستجيد شعره ويكثر انشاده ولا يستمليه لان البحتري كان باقيا فى زمانه أخبرنا أبو الحسن الاخفش قال سمعت أبا العباس محمد بن يزيد المبرد يقول مارأيت أشعر من هذا الرجل يعني البحتري لولا انه ينشدنى لما أنشدكم لملات كتبي من امالى شعره قال صاحب

أبي تمام فقد بطل احتجاجكم بالعلماء وتفضيلكم لشعره عليه لان دعبلاً كان يشنأ أبا تمام ويحسده وذلك مشهور معلوم منه فلا يقبل قول شاعر في شاعر وأما ابن الاعرابي فكان شديد التعصب عليه لغرابة مذهبه ولانه كان يرد عليه من معانيه مالا يفهمه ولا يعلمه فكان اذا سئل عن شيء منها يأنف أن يقول لا أدري فيعدل الى الطعن عليه والدليل على ذلك انه أنشد يوماً أبياتاً من شعره وهو لا يعلم قائلها فاستحسن وأمر بكتبها فلما عرف انه قائلها قال حرقوه والابيات من أرجوزته التى أولها

وعاذل عذلته فى عذله فظن انى جاهل من جهله

وكان ابن الاعرابي على علمه وتقدمه قد حمل نفسه على هذا الظلم القبيح والتعصب الظاهر فما تنكرون أيضاً ان تكون حال سائر من ذكرتموه مثل حاله قال صاحب البحتري لا يلزم ابن الاعرابي من الظلم والتعصب ما أدعيتم ولا يلحقه نقص فى قصور فهمه عن معانى شاعر عدل فى شعره عن مذاهب العرب الى الاستعارات البعيده المخرجه للكلام الى الخطأ والاحالة والعيب والنقص فى ذلك يلحقان ابا تمام اذ عدل عن المحجة الى طريقة يجهلها ابن الاعرابي وأمثاله وأما ما استحسنه ابن الاعرابي من شعر ابى تمام فامر بكتبه ثم أمر بتخريقه لما علم انه قائله فذلك غير منكر ولا يدخل ابن الاعرابي في التعصب والظلم لان الذى يورده الاعرابى وهو محتذ على غير مثال أحلى في النفوس واشهي الى الاسماع وأحق بالزيادة والاستجادة مما يورده المحترى على الامثلة وعذر ابن الاعرابي فى هذا اذا قد صح وقد سبقه الاصمعي وذلك ان اساق بن ابراهيم الموصلى انشد الاصمعي

هل الي نظرة اليك سبيل فيروي الصدي ويشفى الغليل

ان ماقل منك يكثر عندى وكثير ممن تحب القليل

فقال لمن تنشدنى فقال لبعض الاعراب فقال والله هذا هو الديباج الخسرواني قال انها لليلتها فقال لاجرم والله ان اثر الصنعة والتكلف بين عليهما حدثنا بهذا الحديث أبو الحسن على بن سليمان الاخفش النحوي قاله حدثنا ابو الحسن البهرانى قال حدثنى ابو خالد يزيد بن محمد المهلبي قال حدثني اسحاق بن ابراهيم الموصلى قال انشدت الاصمعي الا انه ذكر عن اسحاق انه قال له انها لليلتها فقال الاصمعى افسدتها فالاصمعى فى هذا غير ظالم لان اسحق مع علمه بالشعر وكثرة روايته لا ينكر له أن يورد

مثل هذا لانه يقوم في النفس انه قد اجتذاه على مثال وأخذه عن متقدم وانما يستظرف مثله من الاعرابي الذي لا يعول الا على طبعه وسليقته وابن الاعرابي في أبي تمام أعذر من الاصمعي في اسحاق لان أبا تمام كان مغرما مشغوفا بالشعر وانفرد به وجعله وكده والف كتبا فيه واقتصر من كل علم عليه فاذا أورد المعني المستغرب لم يكن ذلك ببدع له لانه ياخذ المعانى و يجتذبها فليس له في النفوس حلاوة ما يورد الاعرابى قال صاحب أبي تمام فقد اقررتم لابى تمام بالعلم والشعر والرواية ولا محالة ان العلم في شعره أظهر منه فى شعر البحترى والشاعر العالم أفضل من الشاعر غير العالم قال صاحب البحترى فقد كان الخليل بن احمد عالما شاعراً وكان الاصمعي شاعرا عالما وكان الكساي كذلك وكان خلف بن حيان الاحمر اشعر العلما وما بلغ بهم العلم طبقة من كان في زمانهم من الشعراء غير العلماء فقد كان فى التجويد في الشعر ليست علته العلم ولو كانت علته العلم لكان من يتعاطاه من العلماء اشعر ممن ليس بعالم فقد سقط فضل أبى تمام من هذا الوجه على البحترى وصار افضل وأولى بالسبق اذ كان معلوما شائعا أن شعر العلماء دون شعر الشعراء ومع ذلك فان أبا تمام يعمل أن يدل في شعره على علمه باللغة و بكلام العرب فيعمد لادخال الفاظ غريبة في مواضع كثيرة من شعره وذلك نحو قوله هن البجاري يا بجير * اهدي لها الابوس الغوير وقوله قدك اتئب اربيت في الغلواء وقوله اقرم بدر تباري أيها الخنض وهذا في شعره كثير موجود والبحتري لم يقصد هذا ولا اعتمده ولا كان له عنده فضيلة ولا رأى انه علم لانه نشأ ببادية منبج وكان يتعمد حذف الغريب والوحشي من شعره ليقربه من فهم من يتمدحه الا أن ياتيه طبعه باللفظة فى موضعها من غير طالب لها ويرى أن ذلك انفق وبلغ المراد والغرض ويدلك على ذلك أنه كان يمكني أبا عبادة ولما دخل العراق تكني أبا الحسن ليزيل العنجهية والاعرابية و يساوي في مذاهبه اهل الحاضرة و يقرب بهذه الكنية الى أهل النباهة والكتاب من الشيعة وقد ذكر بعضهم انه كان يكنى أبا الحسن وأنه لما اتصل بالمتوكل وعرف مذهبه عدل الى ابى عبادة والاول ثبت وقد حكى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح أن أبا عبادة كنية البحترى القديمة فشتان ما بينهما من حضرى تشبه باهل البدو فلم ينفق بالبادية ولا عند أكثر الحاضرة وبدوى يحضر فنفق في البدو والحضر قال صاحب أبي تمام فقد عرفنا كم أن أبا تمام اتي في شعره بمعان فلسفية والفاظ غريبة فاذا سمع بعض شعره الاعرابى لم يفهمه فاذا فسر له فهمه واستحسنه قال صاحب البحترى هذه دعاو منكم على الاعراب فى استحسان شعر

صاحبكم اذا فهموه ولا يصح ذلك الا بالامتحان ولكنكم معترفون ومجمعون مع من هو معكم وعليكم أن لصاحبكم احسانات وأساءات وان الاحسان البحتري دون الاساءة ومن احسن ولم يسيء افضل ممن احسن وأساء قال صاحب أبي تمام ما أجمعنا معكم أن صاحبكم لم يسيء بل هو قد اساء فى قوله

يخفي الزجاجة لونها فكانها ... في الكف قائمة بغير أناء

(سيذكره فيما بعد برواية تخفى الزجاجة)

وهذا وصف للاناء لا للشراب لانه لوملا الاناء دبسا لكان هذا صفته وقال

ضحكات فى أثرهن العطايا ... وبروق السحاب قبل رعوده

فاقام البرق مقام الضحك والرعد مقام العطايا وانما كان يجب أن يقيم الغيث مقام العطايا لا الرعد وله لحن فى شعره معروفة نحو قوله ونصبته علما بسامراء وقوله نبرات معبد فى الثقيل الاول وقوله عرج على خاب واشباه لهذا كثيرة فقد تساويا فى الغلط قال صاحب البحترى مانعيثا على أبي تمام اللحن وهو في شعره كثير لو تتبع فشنعوا مثله على البحترى لان اللحن لا يكاد يعرى منه احد من الشعراء المحدثين ولا يسلم منه شاعر من الشعراء الاسلاميين وقد جاء فى أشعار المتقدمين ماعلمتم من الالفاظ مما لا يقوم العذر فيه الا بالتاويلات البعيدة وعلى أنه ليس بشيء مما عبتم به البحتري خارجا عن مقاييس العربيه ولا بعيدا من الصواب بل قد جاء مثله كثير في اشعار القدماء والاعراب والفصحاء ولو كان هذا موضع ذكره لذكرناه ونحن لو رمنا أن نخرج ما فى شعر أبي تمام من اللحن لكثر ذلك واتسع ولوجدنا منه ما يضيق العذر فيه ولا يجد المتاول له مخرجا منه الا بالطلب والحيلة والتمحل الشديد وذلك مثل قوله

ثانية فى كبد السماء ولم يكن ... لاثنين ثان إذ هما فى الغار

معنى هذا البيت ان بابك صار جارا فى الصلب لمازيار وهو ثانية في كبد السماء ولم يكن ثانيا لاثنين اذ هما في الغار أي هو ثانى اثنين في الصلب لمازيار الذي هو رذيلة وليس هو ثانيا فى الغار لان هذه فضيلة فكان يجب ان يقول في البيت ولم يكن لاثنين ثانيا لانه خبر يكن واسمها هو اسم بابك مضمر فيها فليس الى غير النصب سبيل فى البيت والا بطل المعنى وفسد فساده أنك اذا اخليت يكن من ضمير بابك وجعلت

قوله ثان اسمها كان ذلك خطا ظاهراً قبيحاً لانك اذا قلت كان زيد وعمر اثنين ولم يكن لهما ثان كنت مخطئاً لان اثنين احدهما ثان الاخر وكذلك اذا قلت كانوا ثلاثة لم يكن لهم ثالث كنت مخطئاً لان أحد الثلاثة هو ثالثهم وانما تكون مصيباً اذا قلت كانا اثنين ولم يكن لهما ثالث وثلاثة ولم يكن لهم رابع وأيضاً فانه لو أراد هذا المعنى لم يكن فى البيت فائدة البته لانه كان يكون المعني حينئذ انبابك ثانى مازيار فاى فائدة في هذا مع مافيه من الخطأ الفاحش وأى تعلق لهذا المعنى بما قبله في البيت وقال في آخر قصيدة

شاءت برقك آمالى بمصر ولو اضحت على الطوس لم تستبعد الطوسا

(وهذه الاعتراضات من العبث المحض لان لها أوجها فى العربية)

فادخل في طوس الالف واللام وهى اسم بلدة معروفة وقال احدى بنى بكر بن عبدمناه وانما هى مناة فى الادراج كما قال الله تبارك وتعالى ومناة الثالثة الاخرى وانما تكون بالهاء في الوقف لا فى الحركة والدرج وقال في هذه القصيدة لولا صفات فى كتاب الباء وانما هى الباءة بالمد في تقدير الباعة وان كان قد حكى الباء في بعض اللغات الرديئة والردى لا يعتد به وقال فكم من هوا فيك صاف غذى جؤه وهوي وبى فقال غذى وهو غذ بالتخفيف وقال فى قصيدة على الاعادى ميكال وجبريل فاوقع الاعراب على الاعادى وذلك غير جائز لمتأخر وقال

ستين الفاً وسبعينا ومثلها كتائب الخيل تحميها الاراجيل

(يحتمل أنه الاراجيل أي الاراجل فزاد الياء كما زادها الشاعر فى قوله نفى الدراهم الخ أو جمع ارجل بالحاء للابيض الظهرة من الخيل)

فنون النون من سبعين وهذا لا يسوغه محدث ونحو هذا مما ليست بنا حاجة الى ذكره لاننا لا نتبعه ولا عرفناه به لما وصفنا فى باب اللحن وكثرته في أشعار المتأخرين وانما عبناه بخطائه فى معانيه واحالته فى استعاراته وكثرة مايورده من الساقط والغث البارد مع سوء سبكه ورداءة طبعه وسخافة لفظه مما سنذكره فى باب آخر من الاحتجاج عليكم فاما ماعيتم به البحتري من قوله

يخفى الزجاجة لونها فكانها فى الكف قائمة بغير اناء

فما زالت الرواة وشيوخ أهل الادب والعلم يستحسنون هذا البيت ويستجيدونه له وذكره عبدالله بن المعتز وقد علمتم فضله وعلمه بالشعر في باب ما اختاره من التشبيه فى كتابه الذي نسبه الى البديع ولكنكم ابيتم الا افساده ثم اجلبتم واكثرتم ان تنعوا على شاعر محسن بيتاً واحداً فما زلتم تتمنون وتتحملون حتى وجدتم أبياتا تحتمل من التأويل ما يحتمله الاول وهو قوله ضحكات فى اثرهن العطايا. وبروق السحاب قبل عوده وكلا البيتين الى الصواب اقرب ومن الخطأ أبعد فاما قوله

يخفي الزجاجة لونها فكانها فى الكف قائمة بغير اناء

فانما قصد الى وصف هيئة الشراب في الاناء ولم يقصد الى وصف الشراب خاصة ولا الى الاناء كما ادعيتم ولو أراد وصف الاناء لكان مصيباً لان الزجاجة أيضا يوصف ما فيها وتقع المبالغة في نعتها وقد جاء في وصف أواني الشراب ما جاء ومن أحسن ما قيل في ذلك قول على بن العباس بن جريج الرومي يصف قدحا

تنفذ العين حتى تراها اخطانه من رقة المستشف

كهوا بلا هباء مشوب بضياء أرق بذاك واصف

وسط القدر لم يكبر لجرع متوال ولم يصغر لرشف

لا عجول على العقول جهول بل حليم عنهن من غير ضعف

فالزجاجة اذا رقت وصفت وسلمت من الكدر اشتد صفاؤها وبريقها فاذا وقع فيها شراب الرقيق اتصل الشعاعان وامتزج الضوء ان فلم تكد الزجاجة تتبين للناظر ولو جعلها دبساً أو عسلاً أو لبنا وماء كدراً فى اناء هذه صفته فى الرقة لما خفى الاناء على الناظر لان هذه الاشياء لا شعاع لها ولا ضياء يتصل بشعاع الاناء وضوءه وقد سبقه الى هذا المعني على بن جبلة فقال

كان يد النديم تدير منها شعاعا لا تحيط عليه كاس

وقال آخر أنشده أبو الحسن على بن سليمان الاخفش

واذا ما مزجت في كاسها فهي والكاس معاشىء أحد

(سيرويه بعد هذا واذا ما نزلت فى كاسها)

فانتم فى هذه المعارضة بالخطا اجدر و بالعيب احرى فاما قوله و بروق السحاب قبل رعوده فانه اقام الرعد مقام الغيث لانه مقدمة له وعلم من اعلامه ودليل من اقوى دلائله الا ترى ان برق الخطب لارعد معه وقد قال الاعشى

والشعر يستنزل الكريم كما استنزل رعد السحابة السبلا

فجعل الرعد هو الذى يستنزل المطر وقال الكميت

وأنت فى الشتوة الجماد اذا أخف من أجم رواعدها

واذا كان البرق ذا رعد فقلما يخلف ومثل هذا فى كلام العرب مما ينوب الشىء عن الشيء اذا كان متصلا به او سببا من اسبابه أو مجاوراً له كثير فمن ذلك قولهم المطر سماء ومنه قولهم مازلنا نطأ السماء حتى اتيناكم قال الشاعر

اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا

يريد اذا سقط المطر رعيناه يريد رعينا النبت الذى يكون عنه ولهذا سمي النبيت ندى لانه عن الندي يكون وقالوا مابه طرق أي مابه قوة والطرق والشحم فوضعوه موضع القوة لان القوة عنه تكون وقولهم المزادة رواية وانما الرواية البعير الذى يسقى عليه الماء فسمي الوعاء الذى يحمله باسمه ومن ذلك الحفض متاع البيت فسمى البعير الذى يحمله حفضا ومن ذلك قول المسيب بن علس وتمدني جديلها بشراع اراد بدقل فقال بشراع لان الشراع عليه يكون وهذا باب واسع وايسر من ان يحتاج الى استقصائه وبعد فلوكان هذا ان البيتان خطا كما ادعيتم وأخذتم على هذا الشاعر المجتمع علي احسانه غلطا من غيرهما فى شعره لما كان بذلك داخلا في جملة المسبوقين ولا الخاطئين فى الشعر لجودة نظمه واستواء نسجه ووقوع لفظه فى مواقعه ولان معانيه تصح بالنقد وتخلص عن السبك وأبو تمام يتبهرج شعره عند التفتيش والبحث ولا تصح معانيه على التفسير والشرح قال صاحب أبي تمام لئن اسرفتم في الذم وبالغتم على صاحبنا في الطعن وتجاوزتم الحد الذي يقف عنده المحتج المناظر الى مذهب المسقط المغالط والمتعصب المتحامل فلسنا نمنع أن يكون صاحبنا قد وهم فى بعض شعره وعدا عن الوجه الاوضح في كثير من معانيه وغير منكر لفكر نتج من المحاسن ما نتج وولد من البدائع ان يلحقه الكلال في الاوقات والزلل في الاحيان بل الواجب لمن أحسن احسانه ان يسامح في سهوه و يتجاوز له عن زلته فما رأينا احدمن شعراء الجاهلية سلم من الطعن ولا من أخذ

الرواة عليه الغلط والعيب هذا الاصمعى قد عاب امرء القيس بقوله

وارکب فی الروع خيفانة كسا وجهها سعف منتشر

(اركب فعل مضارع وخيفانة هى فى الاصل الجرادة ثم تشبه بها الفرس فى الخفة)

وقال شبه شعر الناصية بسعف النخلة والشعر اذغطي العين لم يكن الفرس كريما وذلك هو الغمم والذى يحمد فى الناصية الجثلة وهي التى لم تفرط فى الكثرة فتكون الفرس غماً والغمم مكروه ولم تفرط في الخفة فتكون الفرس سفواً والسفا أيضا مكروه في الخيل والجيد ما قال عبيد

مضبر خلقها تضبيرا ينشق عن وجهها السبيب

(المضبر الملزز الخلق المكتنز اللحم والسبيب الذنب والعرف والناصية)

وروي ذلك عنه أبو حاتم سهل ابن محمد السجستانى وقال أيضا سمعت الاصمعي يقول اخطا امرؤ القيس فى قوله

لها متنان خظاتا كما أكب على ساعديه لنمر

لان المتن لا يوصف لكثرة اللحم ويستحب منه التعريق وكذلك الوجه كما قال طفيل معرقة الالحي تلوح متونها وأخذ عليه في قوله في وصف الفرس

فللسوط لهوب وللساق ذرة والزجر منه وقع اخرج مذهب

وقال هذه الفرس بطيئة لانها تحوج الى السوط والى أن تركض بالرجل وتزجر ويقال ان أول من عابه بهذا البيت زوجته لما احتكم اليها هو وعلقمة الفحل فغلبت علقمة فطلقها وقد أخذ أيضا عليه قوله اغرك مني ان حبك قاتلي وقال اذا لم يغرهذا فاى شيء يغر وعيب زهير ابن أبي سلمي بقوله

يخرجن من شربات ماؤها طحل على الجذوع يخفن الغم والغرقا .

وقالوا ليس خروج الضفادع من الماء خوف الغم والغرق وانما ذلك لانها تبيض في الشطوط وعيب علي كعب ابنه قوله ضخم مقلدها فعم مقيدها وقالوا انما توصف النجائب برقة المذبح وأخذ على النابغة قوله يصف عتق المرأة بالطول

اذا ارتعشت خاف الجبان رعاثها ومن يتعلق حيث علق يفرق

وهذا قريب من قول أبو نواس لتخافك النطف التى لم تخلق بل أبو نواس

اعذر لقوله لتخافك يزيد لتكاد تخافك والشعراء تسقط تكادفى الشعر وهى تريدها وجاء في القرآن مثل ذلك قال الله عزوجل وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقال الشاعر

يتقارضون اذا التقوا فى موطن نظرا يزيل مواطي الاقدام

أي نظرا يكاد يزيل فاضمر يكاد واللام اذا جاءت كانت أدل عليها قال الله جل وعز و بلغت القلوب الحناجر أى كادت واخذ على النابغة قوله

الكنى ياعين اليك قولا ستحمله الرواة اليك عني

وقالوا قوله الكني أى كن لى رسولا فكيف يكون الكني اليك عني فاعتذر له الاصمعي وقال هذا مما حملته الرواة على النابغة كانه يدفع ان يكون قاله وأخذ على المسيب قوله

وقد اتناسي الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

قال الصيعرية صفة للنوق لا الفحول فسمعه طرفة بن العبد وهو صبي فقال استنوق الجمل وضحك منه و يقال ان المسيب قال اخرج لسانك يافتى فاخرجه فقال و يل لهذا من هذا يعنى راسه من لسانه واخذ علي المرقش قوله

صحا قلبه عنها سوى ان ذكره اذا خطرت دارت به الارض قائما

قالوا من اذا ذكر دارت به الارض ليس بصاح واخذ على عدى بن زيد قوله يبدالجياد فارها متتابعا وقالوا لا يقال للفرس فاره وانما يقال له جواد وكريم والفاره البغل والحمار واخذ عليه أيضاً قوله فى صفة الخمر

والمشرف الهندي يسقى به أخضر مطموثا بماء الحريض

الحريض سحابة تحرض وجه الارض أى تقشره لشدتها ويقال الحريض اسم نهر بناحية الحيرة فوصف الخمر بالخضرة وما وصفها بذلك أحده غيره أخذ على الاعشى قوله

وقد غدوت الي الحانوت يتبعني شاو شلول مشل شلشل شول

وقالوا هذه الالفاظ كلها التى بعد شاو متقاربه في المعنى وقرى على الاصمعي قول أبى ذؤيب الهذلى

قصر الصبوح لها فشرج لحمها بالنيء فهى تثوخ فيها الاصبع

ثاني بدرتها اذا ما استكرهت الا الحميم فانه يتبضع

فقال هذه الفرس تساوى درهمين لانه جعلها كثيرة اللحم رخوة يدخل فيها الاصبع حرونا اذا حركت قامة الا العرق فانه يسيل وقرى على الاصمعي قول ابي النجم يسبح اخراه ويطفوا وله فقال حمار الكيساح اذا افره منه وعاب الاصمعي ذا الرمة بقوله

حتى اذا دومت في الارض ادركها كبر ولو شاء نجى نفسه الهرب

وقال الفصحاء لا يقولون دوم في الارض وانما يقولون دوم في الهواء اذا حلق ودوى في الارض اذا ذهب وكان الاصمعي أيضا يعيبه في قوله وتفرى غبيط الشحم والماء جامس وقال انما يقال للجامد من السمن. وما أشبه جامس وروى ذلك عنه ابو حاتم وحكى ابو نصر عن الاصمعي قال كنا نظن الطرماح شيئا حتى قال

وا كره أن يعيب على قومي هجاي الارذلين ذوي الحنات

لانها احنة واحن ولا يقال حنات وأخذ على الاخر قوله

فما رقد الوالدين حتى رأيته على الكبر يمريه يساق وحافر

فسمي رجل الانسان حافرا وهذه استعارة في نهاية القبح وكذلك قول الاخر

قد افنى أنامله عضه فاضحي يعض على الوظيفا

فجعل له وظيفا مكان الرجل وكذلك قول الاخر

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها الي ملك اظلافه لم تشقق

وقال الحطيئة

قروا جارك العميان لما جفوته وقلص عن برد الشباب مشافره

وعيب على ايمن بن خزيم قوله يمدح بشر بن مروان

فانا وجدنا أم بشر كام الاسد مذكارا ولودا

وقالوا اخطأ في ان جعل ام الاسد ولودا لان الحيوانات الكريمة عسرة نزرة النتاج والصواب قول كثير بغاث الطير أكثرها فراخا وام الصقر مقلات نزور وقال جرير صارت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها فقيل لرجل من بني حنيفة من أي

اثلاث انت فقال من الثلث الملغي وسمع اسحاق بن ابراهيم الموصلي عمارة بن عقيل ينشد لجرير

لما تذكرت بالديرين ارقني　　صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

فقال اخطيا والله ابوك التاذين لا يكون فى أول الليل وقال من طلب العذر لجرير ارقني انتظار صوت الدجاج وعاب الاخطل الفرزدق في قوله

أبى غداته أنني حررتكم　　فوهبتكم لعطية بن جمال

لولا عطية لاجتذعت انوفكم　　من بين الأم أعين وسبال

قال وكيف وهبهم له وهو يهجوهم بمثل هذا الهجاء وقال عطية حين بلغه الشعر ما اسرع مارجع أخي فى هبته ومدح الفرزدق الحجاج وقد دخل عليه ببيت واحد فقال

ومن يأمن الحجاج والطير تتقى　　عقوبته الا ضعيف العزائم

فقال له الحجاج الطير تتقى النور وتتقي الظبي ماجئت بشيء وانما أراد الفرزدق الطائر الذي يطير في السماء فليست تناله يد وأخذ على الاخطل قوله في عبد الملك ابن مروان

وقد جعل الله الخلافة منهم　　لابيض لا عاري الخوان ولا جذب

وهذا لا يمدح به خليفة وأراد ان يمدح رجلا من بنى اسد كان اجاره فهجاه وكان يقال لقوم الرجل القيون يعيرون بذلك فقال

قد كنت أحسبه قينا وأنبأه　　فاليوم طير عن أثوابه الشرر

أى فاليوم نفى ذلك عن نفسه فما زاد على ان نبه عليه وقد كان له في المادح متسع وأراد ان يهجو سويد بن منجوف فمدحه وذلك قوله

فاجزع سوء خرب السوس وسطه　　لما حملته وائل بمطيق

وأخذ على الفرزدق قوله يمدح وكيع بن أبى سويد

اذا التفت الابطال أبصرت وجهه　　مضيئا واعناق الكماة خضوع

فقالوا اساء القسمة واخطأ الترتيب وانما كان يجب ان يقول ابصرته ساميا واعناق الملوك خضوع أو ابصرت لونه مضيئا والوان الكماة كاسفة ومن خطا الشعر قول عدي بن الرقاع يذكر الباري تبارك وتعالى

وكفك بسطة وندائك سح ... وانت المرء تفعل ماتقول

فجعل ربه مراء وعابه الاصمعي فى قوله

لهم راية تهدي الجموع كأنها ... إذا خطرت فى ثعلب الرمح طائر

وقال الراية لاتخطر انما الخطران للرمح ومن فاسد اللفظ وقبيحه قول ذى الرمة

فاضحت مناديها قفارا رسومها ... كأن لم سوى أهل من الوحش توهل

أراد كأن لم توهل سوى أهل من الوحش ومن خطأ المديح قول الكميت يمدح النبي ﷺ

الي السراج المير احمد لا ... تعدل بي رغبة ولا رهب

عنه الى غيره ولو رفع النا ... س الى العيون وارتقى

وقيل افرطت بل قصدت ولو ... عنفنى القائلون أو ثلبوا

لج بتفضيلك اللسان ولو ... اكثر فيك الضجاج واللجب

فمن يعنفه ويؤنبه على مدح رسول الله ﷺ حتى يكثر عليه فيه الضجاج واللجب وهذا لوكان قاله بين المشركين وفي صدر الاسلام لعل العذر كان يتسع له فيه وقد اعتذر له معتذر واحتج محتج بان قال لم يرد النبي ﷺ خاصة بهذا الخطاب وانما أراد اهل بيته لانه قال فيهم من الشعر ماقال ولان بنى امية كانت تعنف من يمدحهم وتنكر أشد الانكار على من يتخونهم ويغرق في الثناء عليهم والوصف لهم وعيب أيضا الكميت بان جمع كلمتين لا تشبه احداهما الاخرى وذلك قوله

وقد رأينا بها حورا منعمة ... رود تكامل فيها الدل والشنب

وقال الدل انما يكون من الغنج أونحوه والشنب انما يكون مع اللعس أو مايجري مجراه من أوصاف الثغر والفم والجيد ،اقاله ذو الرمة

لميا فى شفتيها حوة لعس ... وفى اللثات وفي انيابها شنب

ولو استقصينا هذا الباب لطال جدا وانما أوردناه هنا منه مثالا لتعلموا أن فحول الشعراء الذين غلبوا عليه وافتتحوا معانيه وصاروا قدوة واتبعهم الشعراء واحتذوا على

حذوهم وبنوا على أصولهم ماعصموم من الزلل ولاسلموا من الغلط هذا فى المعانى التى هى المقصد والمرمي والغرض فاما ما بوبه النحريون من عيوب الشعر في الاقواء والاكفاء والسناد وغيرذلك مماهوعيب فى اللفظ دون المعني فليست بنا حاجة الى ذكره لكثرته وشهرته وكذلك مااخذته الرواة على المحدثين المتأخرين من الغلط والخطا واللحن أشهر أيضا من ان يحتاج الى ان تبرهنه أو ندل على ذلك فلم يك أحد من متقدم ولا متأخر فى خطائه ولاسهو وغلطه مجهول الحق ولا بمجرد الفضل بل عفى عندكم احسانه على اساآته وعلا تجويده علي تقصيره فكيف خصصتم أبا تمام دون غيره بالطعن وعبتموه دون من سواه بالزلل والوهن ولم يك بذلك بدعا ولا منفردا ولا اليه سابقا فبخستم حق الاحسان الذي انتشر في الافاق وسارت به الركبان وتمثل به المتمثل وتأدب بحفظه وانشاده المتأدب مما ان ذكرناه لم تنكروه وأقررتم بفضله واجمعتم على استجادته واستحسانه فهل الظلم المستقبح والتعصب المستهجن الاما انتم مرتكبوه وخابطون فيه قال صاحب البحترى أما اخذ السهو والغلط على من أخذ من المتقدمين والمتأخرين فني البيت الواحد والبيتين والثلاثة وربما سلم الشاعر المكثر من ذلك بتة وتعري منه حتى لاتوخذ عليه لفظة وابو تمام لاتكاد تخلو له قصيدة واحدة من عدة أبيات يكون فيها مخطئا أو محيلا أو عن الغرض عادلا أو مستعيرا استعارة قبيحة أو مفسدا للمعني الذي يقصد بطلب الطباق والتجنيس أو مبهما بسوء العبارة والتعقيد حتى لايفهم ولا يوجد له مخرج مما لو عددناه لكان كثيرا فاحشا فكيف يكون ما أخذ على الشعراء من الوهم وقليل الغلط عذرا لمن لاتحصى معايبه ومواقع الخطأ في شعره وعلى ان اكثر ماعددتموه مما أخذته الرواة على الشعراء صحيح والسهو فيه انما دخل على الرواة ولو كان هذا موضع ذكره لذكرناه قال صاحب أبي تمام الطائي فبم تدافعون قول البحترى يرثى أبا تمام ودعبلا ويذم من بقى بعدهما من الشعراء

قد زاد فى حزني واوقد لوعتى   مثوي حبيب يوم مات ودعبل

وتقاصرت بالخثعمى وشبهه   من كل مطرب القريحة مخبل

أهل المعاني المستحيلة ان هم   طلبوا البراعة بالكلام المقفل

اخوى لاتزل السماء مخيلة   تغشا كما يحيا السحاب المسبل

جدث لدي الأهوان يبعد دونه   مسرى النعى ورمة بالموصل

حال أن يرثي البحترى ابا تمام ويذكر من بعده من الشعراء بان قرائحهم مضطربة معانيهم مستحيلة وعنده أن أبا تمام تلك صفته فلم تنكرون فضل من يعترف البحترى بفضله ويشهد فى الشعر له وتنسبون العيب اليه وهذه صفته عنه وتلحقونه به وهو يبرئه منه قال صاحب البحترى ولم لا يفعل البحترى ذلك وقد كان هو وأبو تمام مد اجتماعها وتفارقها متصافيين على القرب والبعد متحابين متلائمين على دنوو الشحط يجمعهما الطلب والنسب والمكتسب ولم يكن فى زمانها شاعر مشهور يفد على الملوك ويجتدى بالشعر وينتسب الى طي سواهما فليس بمنكر ان شهد أحدهما لصاحبه بالفضل ويصفه باحسن مافيه وينحله ما ليس فيه وخاصة في الشعر ثم تابين الميت فان العادة جرت بان يعطي من التقريظ والوصف وجميل الذكر اضعاف ما كان يستحقه. فلا تدفعوا العيان فلن يمحق وصف البحتري ايام تمام في حياته وتابينه اياه بعد وفاته ما ظهر من مقابحه وفضائح شعره

قال صاحب أبي تمام فقد علمتم وسمعتم الرواة وكثيرا من العلماء بالشعر يقولون جيد ابي تمام لا يتعلق به جيد أمثاله واذ كان كل جيد دون جيده لم يضر ما يؤثر من رديئه قال صاحب البحترى انما صار جيد أبى تمام موصوفا لانه ياتي فى تضاعيف الردى الساقط فيجيء رائقا لشدة مباينته ما يليه فيظهر فضله بالاضافة ولهذا قال له ابو هفان اذا طرحت درة في بحر خرء فمن الذى يغوص عليها ويخرجها غيرك والمطبوع الذي هو مستوى الشعر قليل السقط لا يتبين جيده من سائر شعره ببينونة شديدة ومن أجل ذلك صار جيد أبي تمام معلوما وعدده محصورا وهذا عندى انا هو الصحيح لاني نظرت فى شعر ابي تمام والبحتري وتلقطت محاسنهما ثم تصفحت شعريهما بعد ذلك على مر الاوقات فما من مرة الا وأنا الحق في اختيار شعر البحترى مالم اكن اخترته من قبل وما علم اني زدت في اختيار شعر ابى تمام ثلاثين بيتا على ما كنت اخترته قديما قال صاحب ابي تمام افتنكرون كثرة ما أخذه البحترى من أبي تمام واغراقه فى الاستعارة من معانيه فايهما أولى بالتقدمة المستعير أو المستعار منه وقد ابتدأنا بالجواب عن هذا في صدر كلامنا ونحن نتمه فى هذا الموضع ان شاء الله تعالى اما ادعاؤكم كثرة الاخذ منه فقد قلنا انه غير ممكن أن يكون اخذ منه من كثرة ما كان يرد على سمع البحتري من شعر أبى تمام فيعتلق معناه قاصداً الاخذ أو غير قاصد لكن ليس كما ادعيتم وادعاه ابو الضيا بشر بن يميم

في كتابه لا ناوجدناه قد ذكر ما يشترك الناس فيه وتجرى طباع الشعراء عليه فجعله مسروقا وانما السرق يكون في البديع الذي ليس للناس فيه اشتراك فما كان من هذا الباب فهو الذى ذكره البحتري من أبي تمام لاماذكره أبو الضيا وحشا به كتابه وأنا اذكر هذين الشيئين في موضعهما من الكتاب وأبين ما أخذه البحترى من أبي تمام على الصحة دون ما اشتركا فيه اذ كان غير منكر لشاعرين متناسبين من أهل بلدين متقاربين أن يتفقا في كثير من المعانى لاسيما ما تقدم الناس فيه وتردد فى الاشعار ذكره وجري فى الطباع والاعتياد من الشاعر وغير الشاعر استعماله وبعد فينبغى أن تتأملوا محاسن البحترى ومختار شعره والبارع من معانيه والفاخر من كلامه فانكم لا تجدون فيه على غزره وكثرته حرفا واحدا مما أخذه من أبي تمام واذا كان ذلك انما يوجد فى المتوسط من شعره فقد قام الدليل على انه لم يعتمد أخذه وانه انما كان يطرق سمعه فيلتبس بخاطره فيورده (تم احتجاج الخصمين بحمد الله) وانا ابتدي بذكر مساوى هذين الشاعرين لاختم بذكر محاسنهما واذكر طرفا من سرقات ابي تمام واحالاته وغلطه وساقط شعره ومساوى البحترى في أخذما أخذه من معانى ابي تمام وغير ذلك من غلط في بعض معانيه ثم اوازن من شعريهما بين قصيدتين اذا اتفقتا فى الوزن والقافية واعراب القافية ثم بين معني ومعني فان محاسنهما تظهر فى تضاعيف ذلك وتنكشف ثم اذكر ما انفرد به كل واحد منهما فحوذه من معني سلكه ولم يسلكه صاحبه وافرد بابا لما وقع في شعريهما من التشبيه وبابا للامثال اختم بهما الرسالة واضع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما واجعله مولفا على حروف المعجم ليقرب متناوله ويسهل حفظه وتقع الاحاطة به ان شاء الله تعالى (سرقات ابي تمام) كان ابو تمام مشتهرا بالشعر مشغوفا به مشغولا مدة عمره بتخميره ودراسته وله كتب اختيارات فيه مشهورة معروفة فمنها الاختيار القبائلى الاكبر اختيار فيه من كل قصيدة وقد مر على يدى هذا الاختيار ومنها اختيار ترجمته القبائلى اختيار فيه قطعا من محاسن اشعار القائلي ولم يورد فيه كبير شيء للمشهورين ومنها الاختيار الذي تلقط فيه محاسن شعر الجاهلية والاسلام واخذ من كل قصيدة شيئاً حتى انتهي الى ابراهيم بن هرمة وهو اختيار مشهور معروف باختيار شعراء الفحول ومنها اختيار تلقط فيه اشيا من العشر آ المقلين والشعرآء المغمورين غير المشهودين وبوبه ابوابا وصدره بما قيل في الشجاعة وهو أشعر اختياراته واكثرها في ايدي الناس ويلقب بالحماسة ومنها اختيار المقطعات وهو مبوب على ترتيب الحماسة الا انه يذكر فيه اشعار المشهورين وغيرهم القدماء والمتأخرين وصدره بذكر الغزل وقد قرأت هذا الاخيار وتلقطت منه نتفا وابياتا كثيرة

وليس بمشهور شهرة غيره ومنها اختيار مجرد في أشعار المحدثين وهو موجود في ايدى الناس وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر وانه اشغل به وجعله وكده واقتصر من كل الآداب والعلوم عليه فانه ماشيء كبير من شعر جاهلي ولا اسلامي ولا محدث الا قراه واطلع عليه ولهذا أقول أن الذي خفي من سرقاته اكثر مما قام منها على كثرها وانا اذكر ما وقع الى في كتب الناس من سرقاته وما استنبطته انا منها واستخرجته فان ظهرت بعد ذلك منها على شيء الحقته بها أن شاء الله قال الكميت الاكبر وهو الكميت بن ثعلبة

ولا تكثروا فيها الضجاج فانه محا السيف ماقال ابن دارة اجمعا

اخذه الطائي فقال السيف أصدق انباء من الكتب وذلك أن أهل التنجيم كانوا حكموا بان المعتصم لا يفتح عمورية وراسلته الروم انا نجد في كتبنا أن مدينتنا هذه لا تفتح الا في وقت ادراك التين والعنب وبيننا وبين ذلك الوقت شهور يمنعك من المقام فيها البرد والثلج فابي أن ينصرف واكب عليها حتى فتحها وابطل ماقالوه فلذلك قال الطائي السيف اصدق انباء من الكتب وهو أحسن ابتدآاته وقال النابغة يصف يوم الحرب

تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الاظلام اظلام

اخذه الطاى فقال وذكر ضوء النهار وظلمة الدخان في الحريق الذى وصفه

ضوء من النار والظلماء عاكفة وظلمة من دخان في ضحي شحب

فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت والشمس واجبة من ذا ولم تجب

وقال الاعشي

وان صدور العيس سوف يزوركم ثناء على اعجازهن معلق

اخذه الطاى فقال

من القلاص التي في حقائبها بضاعة غير مزجاة من الكلم

وقال مسلم بن الوليد فى صفة الخمر

قتلت وعاجلها المدير ولم يتد فاذا به قد صيرته قتيلا

اخذه الطاي وأحسن الاخذ فقال

اذا اليد نالتها بوتر توقرت على ضغنها ثم استقادت من الرجل

وان كان أخذها من ديك الجن فلا احسان له لانه اتى بالمعنى بعينه قال ديك اجر

تظل بأيدينا تقعقع روحها   وتأخذ من أقدامنا الراح ثارها

وكذا وجدته فيما نقته وليس ينبغي أن يقطع على ايهما أخذ من صاحبه لانهما كانا فى عصر واحد

وقال الاعشى

واري الغواني لا يواصلن امرءا   فقد الشباب وقد يصلن الامردا

اخذ الطائى المعنى والصفة فقال

احلى الرجال من النساء مواقعا   من كان اشبههم بهن خدودا

وقال البعيث

وانا لنعطي المشرفية حقها   فتقطع فى ايماننا وتقطع

فقال الطائى

فما كنت الا السيف لاقى ضريبة   فقطعها ثم انثني فتقطعا

وقال الطائى

وركب كاطراف الاسنة عرسوا   على مثلها والليل تسطو غياهبه

لامر عليهم ان تتم صدوره   وليس عليهم أن تتم عواقبه

أخذ صدر البيت من قول كثير

وركب كاطراف الاسنة عرسوا   قلائص في اصلابهن نحول

ويشبه قول البعيث

أطاف بشعث كالاسنة هجد   بخاشعة الاصواء غبر صحونها

وأخذ معنى البيت الثاني من قول الآخر

غلام وغى تقحمها فابلى   فخان بلاءه الدهر الخؤون

فكان على الفتى الاقدام فيها   وليس عليه ما جنت المنون

وقال جران العود يصف الخيال

سقيا لزورك من زور أتاك به   حديث نفسك عنه وهو مشغول

فذكر العلة فى طروق الخيال وهو السابق لهذا المعنى فاخذه العباس ابن الاحنف فقال

خيالك حين ارقد نصب عيني　　الى وقت انتباهى ما يزول

وليس يزورنى صلة ولكن　　حديث النفس عنك هو الوصول

فتبعه الطائى فقال

زار الخيال لها لا بل ازاركه　　فكر اذا نام فكر الخلو لم ينم

وقال فى هذا المعنى أيضا

ثم ما زارك الخيال ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال

وقال أبوتمام الطائى

أما الهجا فدق عرضك دونه　　والمدح فيك كما علمت جليل

فاذهب فانت طليق عرضك انه　　عرض عززت به وأنت ذليل

أخذه من قول هشام المعروف بالحلو أحد الشعراء البصريين يهجو بشار بن برد

بذلة والديك كسبت عزا　　وباللؤم اجترأت على الجواب

فاخذه ابراهيم بن العباس فاجاد واحسن

نجابك عرضك منجي الذباب حمته مقاذره ان ينالا

وقال الطائى

والشيب ان طرد الشباب بياضه　　كالصبح احدث للظلام افولا

أراد قول الفرزدق

والشيب ينهض فى الشباب كانه　　ليل يصيح بجانبيه نهاراً

فقصر عنه وقال قيس بن ذريح

بليغ اذا يشكو الي غيرها الهوى　　وان هو لاقاها فغير بليغ

اخذه الطائي فقال

لم تنكرين مع الفراق تبلدي　　وبراعة المشتاق ان يتبلدا

وقال الحطيئه

اذا هم بالاعداء لم يثن همه　　حصان عليها لولؤ وشنوف

فاخذه كثير فقال

اذا هم بالاعدآء لم يثن همه حصان عليها عقد دريزينها

أخذه الطائى فخلط لقصده الى مجانسة اللفظ فقال

عداك حر الثغور المستضامة عن نردالثغور وعن سلسالها الحصب

وقال مسلم بن الوليد

قد عود الطير عادات وثقن بها فهن يتبعنه فى كل مرتحل

اخذه الطآى فقال

وقد ظللت عقبان اعلامه ضحى بعقبان طير فى الدمآء نواهل

اقامت مع الرايات حتى كانها من الجيش الا انها لم تقاتل

فاتي فى المعنى زيادة وهي قوله الا أنها لم تقاتل وجاء به فى بيتين وقد ذكر المتقدمو
هذا المعنى فاول من سبق اليه الافوه الاودى وذلك قوله

وترى الطير على آثارنا رأي عين ثقة ان ستمار

فبعد النابغة فقال

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب

جوانح قد ايقن أن قبيله اذا ما التقى الجمعان أول غالب

فاخذه حميد ابن ثور فقال يصف الذئب

اذا ما غدا يوما رأيت غيابه من الطير ينظرون الذى هو صانع

وقال ابو نواس

تتأى الطير غدوته ثقة بالشبع من جزره

اى تتعمد وتتقصد وقال منصور النميرى يمدح الرشيد

وعين محيط بالبرية طرفها سوآء عليه قربها وبعيدها

اخذه ابو تمام فقال

اطل على كلا الافاق حتي كان الارض فى عينيه دار

عجز هذا البيت حسن جداً و بيت النميري احب الى لان معناه اشرح

وقال مسلم بن الوليد

فاما انتضي الليل الصباح وصلته بحاشية من لونه المتورد

اخذه ابو تمام فقال

حطت على قبة الاسلام راحله والشمس قد نفضت ورساً على الاصل

هذا ما ذكره ابن المنجم والذى اظنه انه اخذه من قول الاخر والشمس صفراء كلون الورس

وقال مرار الفقعسي فى وصف الاثافي

اثر الوقود علي جوانبها بخدودهن كانه لطم

اخذه ابو تمام فقال

أثاف كالخدود لطمن حزنا ونؤى مثلما انفصم السوار

اورد المعني في مصراع واتى بالمصراع الثاني بمعني آخر يليق به فاجاد الا ان بيت المرار اشرح واوضح معني لقوله اثر الورود على جوانبها فابان المعني الذى من اجله اشبه الخدود الملطومة وقال ابو نواس

فالخمر ياقوته والكاس لؤلؤة من كف لؤلؤة ممشوقة القد

اخذه ابو تمام فقال واساء

أو درة بيضاء بكرا طبقة حبلا على ياقوتة حمراء

لان قوله حبلا كلام قبيح مستكره جدا وقال ابو تمام

نقل فؤادك حيث شئت من الهوي ما الحب الا للحبيب الاول

أخذه من قول كثير

اذا وصلتنا خلة كي تزيلها ابينا وقلنا الحاجية أول

وذكر محمد بن داود بن الجراح في كتابه انه اخذ المعنى من قول الطثرية اذ يقول

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوي فصادف قلبا فارغا فتمكن

وهذا أجود ما قيل فى هذا المعني لانه ذكر العلة وقال ابو تمام

وما سافرت فى الافاق الا ومن جدواك راحلتى وزادى

مقيم الظن عندك والاماني وان قلقت ركابي فى البلاد

اخذه من قول ابونواس

وان جرت الالفاظ يوما بمدحة لغيرك انسانا فانت الذى نعنى

وقد كان ابن ابي داود ساله من هذا المعنى حين انشده القصيده فقال اهو مما اخترعته فقال اخذته من قول ابن هانى وان جرت الالفاظ يوما بمدحة وقال ابن الخياط في قصيدة يمدح بها المهدي فاجازه بجائزة ففرقها فى الدار فبلغه فاضعف له الجائزه فقال

لمست بكفي كفه ابتغى الغنى ولم أدر ان الجود من كفه يعدي

أخذه أبو تمام فقال

عماني جودك السماح فما ابقيت شيئا لدي من صلتك

وبيت ابن الخياط أبلغ وأجود وقال دعبل بن علي

ان امرءا أسدى الي بشافع لدى يرجى الشكر مني لاحق

شفيعك فاشكر فى الحوائج أنه يصونك عن مكروهها وهو يخلق

أخذه أبو تمام فقال والطف المعني وأحسن اللفظ

فلقيت بين يديك حلو عطائه ولقيت بين يدى من سؤاله

واذا امرؤا اهدي اليك صنيعة من جاهه فكانها من ماله

وقال مسلم بن الوليد فى الحجاب واخطا فى المعني

كذلك الغيث يرجى فى تحجبه حتى يري مسفرا عن وابل المطر

أخذه أبو تمام فقال

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا ان السماء ترجي حين تحتجب

الا ان لبيت أبي تمام وجها من الصواب وقد ذكرته فى باب فى هذا الكتاب مع ما أخذ على مسلم في بيته من العيب

وقال النابغة الجعدي

تستلب الدهم التي كان ربها ضنيتنا بها والحرب فيها الحرائب

فاخذه أبو تمام فقال وقصر عنه

لما رأي الحرب رأي العين توفلس والحرب مشتقة المعني من الحرب

أو أخذه من قول ابراهيم بن المهدى

ومسعر الحرب واسم الحرب قدعاموا لو ينفع العلم مشتق من الحرب

وقالت مريم بنت طارق يرثى أخاها فى أبيات انشدها ابن الانبارى فى أماليه

كنا كانجم ليل بينها قمر يجلو الدجى فهوى من بينها القمر

أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى فقال

كأن بنى نبهان يوم وفاته نجوم سماء خر من بينها البدر

أو اخذه من قول جرير يرثى الوليد بن عبدالمليك

أمسي بنوه وقد جات مصيبتهم مثل النجوم هوى من بينها القمر

ولست ادرى أيها اخذ من صاحبه أمريم أخذت من جرير أم جرير أخذ منها

وروى دعبل بن على الخزاعي لابى سلمى المزنى من ولد زهير واسمه مكنف الذى يهجونى القعقاع آل ذفافة العنبسي فيقول

ان الضراط به تعاظم مجدكم فتعاظموا ضرطا بني القعقاع

قال دعبل فلما مات ذفافة رثاه أبو سلمي فقال

أبعد أبى العباس يستعتب الدهر وما بعده للدهر عتبي ولا عذر

الا أيها الناعي ذفافة ذا الندى تعست وشلت من أناملك العشر

ولا مطرت أرضا سماء ولا جرت نجوم ولا لذت لشاربها الخمر

كأن بني القعقاع بعد وفاته نجوم سماء خر من بينها البدر

توقيت الامال بعد ذفافة فاصبح فى شغل عن السفر السفر

يعزون عن ثاو تعزي به العلا ويبكي عليه الباس والمجد والشعر

وما كان الا مال من قل ماله وذخرا لمن امسى وليس له ذخر

قال أبو عبدالله محمد بن داود بن الجراح قال أبو محمد بن اليزيدى انشدني دعبل هذه القصيدة وجعل يعجبني من الطائى فى ادعائه اياها وتغييره بعض ابياتها وقال مسلم

ابن الوليد يرثى

فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة ... اثنى عليها السهل والاجبال

أخذ أبو تمام المعنى وقصر في العبارة فقال

وقفنا فقلنا بعد ان افرد الثرى ... به ما يقال في السحابة تقلع

وتقصيره عن مسلم أن مسلما قال اثنى عليها السهل والاجبال فاراد ان هذه السحابه عمت بنفعها وفي قول أبي تمام ما يقال في السحابة تقلع ابهام لانه لم يفصح بالثناء عليها وانها نفعت وقد يقال في السحابة اذا اقلعت ماهو غير المدح والثناء اذا نزلت في غير حيثها وفي غير وقت الحاجة اليها وكثيرا مايضر المطر اذا كانت هذه حاله وان كان أبو تمام لم يرد هذا القسم وانما أراد القسم الاخر فقط فقصر في العبارة والشرح الا ترى الى قول الشاعر الاول ما احسن ماشرط وهو طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها ... صوب الربيع وديمة تهمي

قال غير مفسدها لما دعا لها بالسقيا الذي يدوم وقال البحتري

الح جودا فلم تضرر سحائبه ... وربما ضر عند الحاجة المطر

وقول أبي تمام ما يقال في السحابة تقلع يحتاج الى تفسير مع سرقته

وقال العباس بن الاحنف

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا ... وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

أخذه الطاي فقال

آلفة النحيب كم افتراق ... اظل فكان داعية اجتماع

وبيت الاعرابي وهو عروة من الورد أجود من بيتهما وهو قوله

تقول سليمى لو أقمت بارضنا ... ولم تدر انى للمقام أطوف

وقال أبو تمام

اسربل هجر القول من لو هجرته ... اذا لهجاني عنه معروفه عندى

أخذ المعنى من قول بعض الخوارج وسامه قطرى بن الفجاء قتال الحجاج فابي لان الحجاج كان من عليه فقال

أأقاتل الحجاج عن سلطانه ... بيد تقر بانها مولاته

اني اذا لاخو الدناءة والذى غطت على احسانه جهلاته

ماذا اقول اذا وقفت ازاءه فى الصف فاحتجت له فعلاته

القول جار على لا انى اذا لاحق من جارت عليه ولاته

وتحدث الاقوام ان صنائعا غرست لدى فخطات نخلاته

وقال قيس بن الحطيم

وقضى الله حين صورها الخالق ان لا يكنها سدف

أخذه ابو تمام فقال

فحجبت من شمس اذا حجبت بدت من نورها فكأنها لم تحجب

أو أخذه من قول ابو نواس

ترى ضوءها من ظاهر الكاس ظاهرا عليك ولو غطيتها بغطاء

وقال مسلم بن الوليد

يصيب منك مع الآمال طالبها حلما وعلما ومعروفا واسلاما

أخذه ابو تمام فقال و برز عليه وان كان بيت مسلم أجمع للمعنى

ترى باشباحنا الى ملك ناخذ من ماله ومن أدبه

وقال ابو نواس

تبكي البدور لضحكه والسيف يضحك ان عبس

أراد بالبدور جمع بدرة فاخذه ابو تمام فقال وقصر عنه

كل يوم له وكل أوان خلق ضاحك ومال كئيب

فبازاء هذا البيت قول أبو نواس تبكى البدور لضحكه وقوله والسيف يضحك ان عبس فضل وقال جرير وهن أضعف خلق الله أركانا اخذه ابو تمام فجعله فى الخمر فقال

وضعيفة فاذا أصابت فرصة قتلت كذلك قدرة الضعفاء

وقال رجل من بني اسد وكان أبو عبد الله الجرشي احد شعراء الشاميين انشد فيه لبعض شعراء بنى اسد

تغيبت كي لاتحتويني دياركم ولو لم تغب شمس النهار لملت

اخذه الطاى فقال

فاني رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

فاماقول الايادى

فاني رأيت القطر يسأم دائبا ويسأل بالايدى اذا هو أمسكا

فمن ابي تمام اخذه لانه متاخر بعده وقال مسلم بن الوليد

موف على مهج واليوم ذو رهج كأنه اجل يسعى الى امـد

فاخذه الطائي فقال وقصر

رآه العلج مقتحما عليه كما اقتحم الفناء على الخلود

وقال قطري بن الفجاة

ثم انثنيت وقد أصبت ولم أصب جذع البصيرة قارح الاقـدام

أخذه أبو تمام فقال

ومجربون سقاهم من بأسه فاذا لقوا فكأنهم أغمار

وقد ذكر هذا المعني في بيت آخر فقال

كهل الاناة فتى الشذاة اذا غدا للحرب كان الماجد الغطريفا

وقال آخر

يبيع ويشترى لهم سواهم ولكن بالطعان هم تجار

ويروى بالرماح أخذه الطاي فقال وقصر وغير المعني وجاء بغرض آخر

لقط لاخلاق التجار وانهم لغدا بما ادخروا له لتجار

وقال أبو نواس يمدح الخصيب

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يسير الجود حيث يسير

وقال جرير يهجو الاخطل

مازلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكر عليكم ورجالا

اخذه ابو تمام فقال

حيران يحسب سجف النقع من دهش نقي يحاذران ينقض اوجرفا

وأخذجرير المعني من قول الله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم وقال مسلم يرثي

سلكت بك العرب السبيل الي العلى حتى اذا سبق الردي بك داروا

نفضت بك الامال احلاس المني واسترجعت نزاعها الامصار

اخذه ابو تمام فقال

توفيت الآمال بعد محمد فأصبح مشغولا عن السفر السفر

أو أخذ ذلك من قول ابي سلمى يرثي ذفافة العنبسي كما حكى دعبل

وقال ثوبة بن الحمير

يقول أناس لايضرك نأيها بلي كل ماشف النفوس يضيرها

اخذه ابو تمام فقال وزاد فيه

لا شيء ضائر عاشق فاذا نأي عنه الحبيب فكل شيء ضائر

وقال عنتره

فشككت بالرمح الطويل ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

أخذه ابو تمام فقال

يحملن كل مدجج سمر القنا باهابه أولي من السربال

قال ذلك لانه ظن ان عنترة أراد الثياب نفسها وانما أراد عنترة بقوله ثيابه نفسه وقال مسلم بن الوليد

يكسو السيوف نفوس الناكثين به ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

أخذه أبو تمام واساء الاخذ وتعسف اللفظ فقال

أبدلت رؤسهم يوم الكريهة من قنا الظهور قنا الخطي مدعما

وأخذ المعنى جميعا من قول جرير

كان رؤس القوم فرق رماحنا غداة الوغى تيجان كسرى وقيصر

وقال امرؤ القيس

سموت اليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال

اخذه ابو تمام وعدل به الى وجه المديح فقال

سما للعلا من جانبيه كليهما سمو حباب الماء جاشت غواربه

وما قيل فى اخفاء الحركة والدبيب ابلغ ولا ابرع من بيت امرء القيس هذا وقال الفرزدق يهجو جريرا

أنتم قرارة كل مدفع سوءة ولكل سائلة تسيل قرار

اخذ ابو تمام اللفظ والمعنى جميعا فقال

وكانت لوعة ثم اطمأنت كذاك لكل سائلة قرار

وقال محمد بن بشير الخارجي من خارجة عدوان

واذا رايت صديقه وشقيقه لم تدر ايهما اخو الارحام

اخذه ابو تمام فقال

فلو أبصرتهم والزائريهم لما مزت الحميم من البعيد

فقصر عن الاول وقال بعض الاعراب يصف المصلوب انشده ثعلب

قام ولما يستعن بساقه * الف مثواه على فراقه * كانما يضحك في اشراقه *

اخذ ابو تمام قوله الف مثواه على فراقه فقال

لا يبرحون ومن رآهم خالهم ابدا على سفر من الاسفار

وقال مسلم بن الوليد وهو معني سبق اليه

لا يستطيع يزيد من طبيعته عن المروة والمعروف احجاما

اخذ ابو تمام المعني فكشفه واحسن اللفظ وأجاده فقال

تعود بسط الكف حتى لوانه دعاها لقبض لم تجبه أنامله

وقال ذو الرمه

وليل كجلباب العروس ادرعته باربعة والشخص فى العين واحد

احم علافى وابيض صارم واعيس مهري واروع ماجد

اخذه ابو تمام فقصر وليس هو المعنى بعينه فقال

البيد والعيس والليل التمام معا ثلاثة ابدا يقرن فى قرن

والذى اتبع ذا الرمة فاحسن الاتباع البحترى فى قوله

يا خليلى بالسواحر من اد بن معن وبحتر بن عتود

اطلبا ثالثا الى فاني رابع العيس والدجى والبيد

وقال النابغة الذبيانى وكان الاصمعي يتعجب من جودته

وعيرتني بنو ذبيان خشيته وهل على بان اخشاك من عار

اخذه ابو تمام فقال وزاد ذكر الموت

خضعوا الصولتك التى هى عندهم كالموت ياتي ليس فيه عار

وقال كعب بن زهير يمدح قريشاً

لا يقع الطعن الا فى نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل

اخذه ابو تمام كما قال لى بعض الرواة فقال يرثى جيدا

لو خر سيف من العيوق منصلتا ما كان الا على هاماتهم يقع

روى الشاميون ان ابا تمام سئل عن هذا المعني فقال اخذته من قول نادبة لو سقط حجر من السماء على رأس يتيم ما اخطأ فاما قول كعب لا يقع الطعن الا فى نحورهم فانما أراد انهم لا يولون الدبر وليس من معني أبي تمام في شيء وقال يصف الراية

تخفق اثناؤها على ملك يرى طراد الابطال من طرده

اخذه من قول أبي نواس تعد عين الوحش من اقواتها واخذه ابو نواس من قول أبي النجم تعد عانات اللوي من مالها وقال أبو تمام يستهدى نبيذاً

وهي نزر لو أنها من دموع الصب لم يشف منه حر الغليل

أخذه من قول الآخر أو اخذه الآخر منه والمعنيان متشابهان

لو كان ما أهديته أثمدا لم يكف الا مقلة واحده

وقال يصف مغنية تغني بالفارسية

ولم أفهم معانيها ولكن شجت كبدى فلم أجهل شجاها

أخذه من قول الحصين بن الضحاك على ما فى قول الخليع من المناقضه

ولم أفهم ما يعني مغنينا اذا غنى

سوى أني من حبي   له استحسن المعنى

لانه قال ما افهم ما يعني ثم قال استحسن المعني وانما أراد بالمعنى اللحن لا معني القول واجود من ذلك كله قول حميد بن نور يصف الحمامة

ولم أر مثلي شاقه صوت مثلها   ولا عربيا شاقه صوت اعجما

وقال الفرزدق يرثي امرأة له ماتت حاملا

وجفن سلاح قد رزئت فلم انح   عليه ولم أبعث عليه البواكيا

وفى بطنه من دارم ذو حفيظة   لو أن المنايا أمهلته لياليا

فقال أبو تمام واجاد اللفظ وأحسن الاخذ واصاب التمثيل فقال يرثى ابنين صغرين ماتا لعبد الله بن طاهر

لهفي علي تلك المخايل فيهما   لو أمهلت حتى تكون شمائلا

ان الهلال اذا رأيت نموه   ايقنت أن سيكون بدرا كاملا

وقال أبو تمام

صلتان اعداؤه حيث كانوا   فى حديث من ذكره مستفاض

فاخطا فى قوله مستفاض وانما هو مستفيض وقد احتج له محتج بان قال أراد مستفاض فيه وانما جعلهم يفيضون فى ذكره لانهم أبداً على حال وجل واحتراس من ايقاعه بهم فهم لا يقطعون ذكره من شدة الخوف منه الا تراه قال حيث حلوا أى هم بهذه الحال قريباً كانت دارهم منه أو بعيدا وأخذ هذا المعني من قول اعشي باهلة يرثى اخاه لامه المنتشر

لا يامن القوم ممساه ومصبحه   فى كل فج وان لم يغز ينتظر

أو من قول عروة الصعاليك

وان بعدوا لا يأمنون اقترابه   تشوف أهل الغايب المنتظر

وهذان البيتان جميعا أوضح واشرح واجود من بيت أبي تمام وقد قيل أنه أراد ان اعداءه يقرون بفضله ويفيضون فى ذكر مناقبه وذلك محتمل والمعنى الاول اقوى وافشي فى كلامهم

وقال بشار بن برد

شربنا من فواد الدن حتى   تركنا الدن ليس له فواد

اخذه أبو تمام فقصر عنه فقال

غدت وهي أولى من فوادي بعزمتي ... ورحت بما في الدن اولى من الدن

وقال الاخطل

تدب دبيبا فى العظام كانها ... دبيب نمال في نقا يتهيل

أخذه ابو تمام فافسد المعنى فقال

اذا الراح دبت فيه تحسب جسمه ... لما دب فيه قرية من قرى النمل

وقال أبو داود الايادى

لا اعد الاقلال عدا ولكن ... فقد من قد فقدته الاعدام

أخذ ابو تمام صدر البيت فقال

لا يحسب الاقلال عدما بل يري ... ان المقل من المروءة معدم

وقال أبو المندى

وترى سهيلا فى السماء كانه ... ثور يعارضه هجان الربرب

اخذ أبو تمام فقال

أراعى من كواكبه هجانا ... سواما لا ترتع الى المسيم

وقال أبو نواس

شققت من الصبا واشتق مني ... كما اشتقت من الكرم الكروم

اخذه أبو تمام فقال

الذ مصافاة من الظل فى الضحى ... واكرم فى اللا وآعو دامن الكرم

وقال مسلم بن الوليد

تمضي المنايا كما تمضي اسنته ... كان فى سرجه بدرا وضرغاما

اخذه أبو تمام فقال

غني من يديه الباس يضحك والندي ... وفى سرجه بدر وليث غضنفر

وقال ابن هرمة

استبق عينك لا يود البكا بهما ... واكفف بوادر من عينيك تستبق

اخذه أبو تمام فقال

ليس الشئون وان جادت بباقية ولا الجفون على هذا ولا الحدق

وقال أيضا

ولا يبقي على أدمان هذا ولا هذا العيون ولا القلوب

وقال أبو تمام يهجو السراج

يا ابن الخبيثة لم تعرض صخرة صماء من مجدي بعرض زجاج

اخذه من قول الآخر واظنه بشارا

ارفق بعمر واذا حركت نسبته فانه عربي من قوارير

وقال الشاعر

مهامه أشباه كان سرابها ملآ بايدي الغاسلات رحيض

اخذه أبو تمام فقال

وبساط كانما الآل فيه وعليه سحق الملا الرحيض

وقال أبو تمام

فاشمالوا يلجلجون دؤوبا مضغا للكلال فيها أنيض

اخذه من قول زهير

تلجلج مضغة فيها أنيض اصلت فهي تحت الكشح داء

وقال ابو نواس

سن للناس الندى فندوا فكان البخل لم يكن

اخذه أبو تمام فقال

مضوا وكان المكرمات لديهم لكثرة ما اوصوا بهن شرائع

وقال في الغزل

مستحيل أن تحتويك الظنون كيف يحوي مالا تراه العيون

غير أنا نقول أنك خلق حركات مفعوله وسكون

اخذه من قول ابي نواس وقصر عنه

سبحان من خلق الخلق من ضعيف مهين

يسوقه من قرار الى قرار مكين

حتي بدت حركات مخلوقة من سكون

وقال ابو العتاهية

كم نعمة لا يستقل بشكرها لله في طي المكاره كامنه

اخذه الطاى فقال واحسن لانه جاء بالزيادة التي هي عكس الشيء الاول

قد ينعم الله بالبلوي وان عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

وقال آخر ولست ادري اهو قبل الطاي أوفي أيامه

ما كنت أحسب ان بحرا زاخرا عم البرية كلها أرواء

أضحي دفينا في ذراع واحد من بعد ما ملك الفضأ فضأ

فقال الطاى واربى عليه وعلى كل من ذكر هذا المعني

وكيف احتمالى للسحاب صنيعة باسقائها قبرا وفى لحده قبر(لعله بحر

وقال آخر

نؤي كما نقض الهلال محاقه أو مثل ما فصم السوار المعصم

اخذه أبو تمام فقال ونوى مثلما انفصم السوار وقال آخر فى السحاب

كان عينين بانا طول ليلهما يستمرطان على غدرانه المقلا

فقال الطاى وحول المعنى واجاد

كان الغمام الغر غيبن تحتها حبيبها فما ترقى لهن مدامع

وقال الطاي

وليست بالعوان العنس عندي ولا هي منك بالبكر الكعاب

اخذه من قول الفرزوق

وعند زياد لو يريد عطاءهم ... رجال كثير قد ترى بهم فقرا

قعود لدى الابواب طالب حاجة ... عوان من الحاجات أو حاجة بكرا

وقال الاخر وهو معبد المذلى

أى عيش عيشى اذا كنت منه ... بين حل وبين وقت الرحيل

كل فج من البلاد كاني ... طالب بعض أهله بذحول

فقال الطاى

كان له دينا على كل مشرق ... من الارض اوثارالدي كل مغرب

وقال آخر وانشده ابن أبي طاهر والاخفش للارقط بن دعبل

نهنه دموعك من سج وتسجام ... البين اكثر من شوقي واسقامي

وما أظن دموع العين راضية ... حتى تسح دما هطلا بتسجام

اخذ الطائى معنى البيتين ولفظها فقال

ما اليوم أول توديعي ولا الثاني ... البين اكثر من شوقي واحزاني

وما أظن النوي ترضى بما صنعت ... حتى تبلغنى اقصى خراسان

وانشدني ابن طاهر لدعبل

ان جاءه مرتغبا سائل ... آلت عليه رغبة السائل

اخذه ابو تمام فقال

واني لارجو عاجلا ان تردني ... مواهبه بحرا ترجي مواهبي

وقال دعبل بن على

واسمر في راسه ازرق ... مثل لسان الحية الصادى

أخذه الطائى فقال

مثقفات سلبن الروم زرقتها ... والعرب ادمتها والعاشق القضفا

فزاد المعنى بان شبه رزقتها بزرقة الروم وسمرتها بسمرة العرب ولكن قول دعبل

مثل لسان الحية الصادي ليس لحسنه نهاية وقال ابو نواس

واطمم حتي ما بمكة أكل   واعطى عطآء لم يكن بضمان

اخذ الطاى معني صدر البيت فقال

فنول حتي لم يجد من ينيله   وحارب حتى لم يجد من يحاربه

وقال ابو نواس فى أرجوزة يصف فيها الحمام ويمدح فيها قوما

يسكرهم قبل النوال اللاحق   كالبرق يبدو قبل جود دافق

والغيث يخفي وقعه للرامق   ان لم يجده بدليل البارق

أخذ المعنى ابو تمام فقال

يستنزل الامل البعيد ببشره   بشر الخيلة بالربيع المغدق

وكذا السحائب قلما تدعو الي   معروفها الرواد ما لم تبرق

وقال ابو العتاهية

وانا اذا ما تركنا السوال   منه فلم نبغه يبتدينا

وان نحن لم نبغ معروفه   فمعروفه ابدا يبتغينا

وقال مسلم بن الوليد في معني بيت ابو العتاهية الاول

اخ لي يعطيني اذا ما سألته   ولو لم اعرض بالسوال ابتدانيا

أخذه ابو تمام معنى البيت ومعني بيت ابى العتاهية الاول فقال

ورايتني فسالت نفسك سيبها   لي ثم جدت وما انتظرت سؤالى

أو لعله اخذه من قول منصور النمرى

رأيت المصطفي هارون يعطى   عطاء ليس ينتظر السوالا

واجود من هذا كله قول سلم الخاسر

أعطاك قبل سؤاله   فكفاك مكروه السؤال

وأخذ ابو تمام معني بيت ابي العتاهية الثاني فقال

كالغيث ان جئته وافاك ريقه … وأن تحملت عنه كان فى الطلب

وقال مسلم

وما كان مثلي يعتريك رجاوه … ولكن اسا آت [illegible] يمة من فتى محض

أخذه ابو تمام وزاد زيادة حسنة فقال

فان كان ذنبي ان احسن مطالبي … اساءفي سوءالقضاآ لي العذر

وانشد ابو تمام في الحماسة

ترد السباع معي فالفى كالمدل من السباع

اخذ المعني من فيه فقال

ابن مع السباع الماءحتى … لخالته السباع من السباع

وقال النظار بن هاشم الازدي

يعف المرؤ ما استحيا ويبقى … نبات العود ما بقي اللحاء

وما فى أن يعيش المرؤ خير … اذا ما المرؤ زايله الحياء

اخذ ابو تمام معني البيتين واكثر لفظها فقال

يعيش المرؤ ما استحيا بخير … ويبقى العود ما بقي اللحاء

فلا والله ما فى العيش خير … ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

وقال ابو نواس

ابن لى كيف صرت الي حريمي … ونجم الليل مكتحل بقار

اخذه الطاى فقال

اليك هتكنا جنح ليل كانه … قد اكتحلت منه البلاد باثمد

وسمع أبو نواس يقول

تبكى فتذري الدر من نرجس … وتلطم الورد بعناب

فقال واساء كل الاساءه وقبح صدر البيت

ملطومة بالورد اطلق طرفها … فى الخلق فهو مع المنون محكم

وقال أبو تمام

ومما كانت الحكماء قالت　　لسان المرء من خدم الفؤاد

اخذه من الجعد بن صمام احد بنى عامر بن سنان ذكره أبو تمام فى اختيارات القبائل

ان البيان مع الفؤاد وانما　　جعل اللسان بما يقول رسولا

وقال طريح الثقفى يرثى قوما

فلله عينا من رأى قط حادثا　　كفرس الكلاب الاسد يوم المشلل

اخذه أبو تمام فاجاد الاخذ فقال

من لم يعاين أبا نصر وقاتله　　فما رأى ضيغما فى شدقها سبع

وهذا معنى متداول وقد يجوز أن يكون اخذه الطاى من غير هذا الموضع وقال مروان بن أبي حفصة

ماضرني حسد اللئام ولم نزل　　ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

اخذه أبو تمام فقال　　وذو النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع

وقال أبو ذهيل الجمحى

مازلت فى العفو للذنوب واطلاق لعان بجرمه غلق

حتى تمنى البراة انهم عندك امسوا فى القد والحلق

اخذه أبو تمام فقال

وتكفل الايتام عن أبائهم　　حتى وددنا أننا أيتام

وقال زيد الخيل الطاى

واسمر مربوع يرى مارأيته　　بصير اذا صوبته بالمقاتل

اخذه أبو تمام فقال

من كل اسمر نظار بلا نظر　　الي المقاتل مافى متنه أود

وقال أبو نخيلة فى مسلمة بن عبد الملك

ونوهت من ذكرى وما كان خاملا　　ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

اخذه أبو تمام فقال

لقد زدت أوضاحي امتداداً ولم أكن بهيماً ولا أرضى من الارض مجهلا
ولكن إياد صادفتني جسامها أغر فوافت بي أغر محجلا

وقال المسيب بن علس

هم الربيع على من كان حلهم وفى العدو مناكيد مشائيم

وقال غلافة بن عركي التميمي يرثى قوما

وكنتم قديما فى الحروب وغيرها ميامين للادنى لاعدائكم نكدا

ومثله قول كعب بن الجزم

بنو رافع قوم مشائيم للعدي ميامين للمولى وللمتحرم

اخذ الطاى هذا المعني فقال في مدح ابى سعيد

اذا مادعوناه بأجلح أيمن دعاه ولم يظلم بأصلع أنكد

وقال دكين الراجز عارى الحصى يدرس مالم يلبس فقال أبو تمام

تجدد كلما لبست وتبقى اذا ابتذلت وتخلق فى الحجاب

أو اخذه من قول الراجز

عود على عود من القدم الاول يميته الترك ويحييه العمل

يعنى طريقا وقال تميم بن ابي بن مقبل

قد كنت راعي أبكار منعمة فاليوم أصبحت أرعي جلة شرفا

يريد عجائز اخذه الطاى فقال وعدبشطر البيت الى وجه آخر فاحسن

كنت أرعي الخدود حتى اذا ما فارقوني بقيت أرعى النجوما

وقال حسان بن ثابت الانصارى

والمال يغشى رجالا لا طباخ لهم كالسيل يغشي أصول الدندن البالى

اخذه الطاى فقال

لا تنكرى عطل الكريم من الغني فالسيل حرب للمكان العالى

وقال أبو تمام فى وصف الشعر

ولكنه صوب العقول اذا انجلت سحائب منه أعقبت بسحائب

أخذه من قول اوس

اقول بما صبت علي غمامتي ودهري وفى حبل العشيرة أحطب

وقال أمية بن أبى الصلت

عطاؤك زين لامرء ان حبوته بخير وما كل العطاء يزين

أخذه الطائي فقال

مازلت منتظرا اعجوبة زمنا حتي رأيت سوالا يجتني شرفا

وقال كثير

ونازعنى الي مدح ابن ليلى قوافيها منازعة الغراب

أخذه الطاي فقال

تغاير الشعر فيه اذ سهرت له حتى ظننت قوافيه ستقتتل

وقالت محياه بنت طليق من بني تيم الله بن ثعلبة

نعى ابني محل صوت ناع اصمني فلا آب محمودا بريد نعاهما

وقال سفيان بن عبد يغوث النصرى

صمت له اذناي حين نعيته ووجدت حزنا دائما لم يذهب

أخذه الطاى فقال

أصم بك الناعي وان كان اسمعا واصبح مغني الجود بعدك بلقعا

ونحوه قول الحارث بن نهيك الدارمى

فقئا عيني تبكاؤه وأورث فى السمع مني صمم

وقال سعران بن عرياض القسرى

فما السائل المحروم يرجع خائبا ولكن بخيل الاغنياء يخيب

وقال آخر وهو الشجاع القائق فى خبر عن ابن الكلبي ورواه ابن دريد

لا تزهدن في اصطناع العرف من أحد ... ان الذي يحرم المعروف محروم

أخذه ابو تمام فقال

واني ما حورفت في طلب الغنا ... ولكنما حورفتم في المكارم

وقال عنترة والطعن مني سابق الآجال وانما اراد الاجال سابقة طعني لشدة خوفه اذا سدد سنانه للطعن أخذه الطائى فغيره تغييراً حسنا فقال

يكاد حين يلاقي القرن من حنق ... قبل السنان على حوبائه يرد

وقال عدى ابن الرقاع يمدح بعض بني مروان

واذا رأيت جماعة هو فيهم ... نبئت سؤدده ولم تسأل

أخذه الطاي فقال

يحميه لألاؤه ولو ذعيته ... عن ان يذال بمن أو ممن الرجل

فقصر عدى بالممدوح اذ جعله اذا كان في جماعة لم يعرف حتى تنبيء عنه شمائله وتبعه أبو تمام في التقصير وقال

طلب المجد يورث المرء خبلا ... وهموما تقضقض الحيزوما

فتراه وهو الخلي شجيا ... وتراه وهو الصحيح سقيما

اخذ قوله وهموما تقضقض الحيزوما من قول لقيط الايادى

لا يطعم النوم الا ريث يبعثه ... هم يكاد حشاه يحطم الضلعا

وأخذ معني قوله

ولمته العلي فليس بعد البوس بوسا ولا النعيم نعيما

من قول لقيط أيضا

لا مترفا ان رخاء العيش ساعده ... ولا اذا عض مكروه به خشعا

وقال أبو العارم الطائى

غبي العين أو فهم تغابى ... عن الشدات والفكر القواصى

اخذه ابو تمام فقال وزاد عليه واحسن

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

أو أخذه من قول دعبل * تخال أحيانا به غفلة * من كرم النفس وما اعلمه

وتمثلت فاطمة بنت رسول الله ﷺ عند وفاته عليه السلام فيما روي عنها ولا أعلم صحته * صبت علي مصائب لو انها * صبت على الايام عدن ليا ليا

ومثله قول الطاى

عادت له أيامه مسودة حتى توهم أنهن ليالي

وقال أبو اذينه

أسعي له فيعيني طلبه ولو قعدت أتاني لا يعنيني

اخذه الطائي فقال

لرزقَ لا تتكمد عليه فانه يأتيَ ولم تبعث اليه رسولا

وقال الطاى

وجه العيس وهي عيس الى الله فاضت من الهواجر شما

اخذه من قول ابن هرمه

بدأت عليها وهي عيس فأصبحت من السير جونا لاحقات الغوارب

وانشد الاشناندانى في المعاني يذكر الابل

ردت عواري غيطان الفلا ونجت بمثل أمثاله من حائل العشر

أخذه ابو تمام فقال

وكم جذع وادجب ذروة غارت وبالامس كانت أنهكته مذانبه

وقال ابو تمام

لو أصخنا من بعده لسمعنا لقلوب الايام منك وجيبا

أخذه من قول أبي نو اس

حتى الذي في الرحم لم يك نطفة لفؤاده من خوفه خفقان

وقال آخر

ياحبذا ريح الجنوب اذاغدت بالفجر وهي ضعيفة الانفاس

قد حملت برد الثرى وتحملت   عبقا من الجثجاث والبسباس

أخذه الطائي فقال

ارسى بناديك الندى وتنفست   نفسا بعقوتك الرياح ضعيفا

وقال نصيب

وقد عاد ماء الأرض ملحا فزادني   على ظمأى أن ابحر المشرب العذب

أخذه ابو تمام فقال

كانت مجاورة الطلول وأهلها   زمنا عذاب الورد فهي بحار

وقال غيلان بن سلمة الثقفى يصف فرسا

نهد كتيس اقب معتدل   كانما في صهيله جرس

أخذه ابو تمام فقال

صهصلق فى الصهيل تحسبه   اشرج حلقومه على جرس

وقال الفرزدق

قيام ينظرون الي سعيد   كانهم يرون به هلالا

أخذه ابو تمام فقال

رمقوا أعالي جذعه فكانما   رمقوا الهلال عشية الافطار

وقال ابن مناذر في البرامكة

اذا وردوا بطحاء مكة أشرقت   بيحي وبالفضل بن يحي وجعفر

لهم رحلة فى كل يوم الى العذي   وأخري الي البيت العتيق المستر

أخذه ابو تمام فقال

حين عفى مقام ابليس سامي   بالمطايا مقام ابراهيما

وقال ابو تمام

فحيوا بالاسنة ثم ثنوا   مصافحة باطراف الرماح

أخذ قوله فحيوا بالاسنة من قول مسلم

فحيوا باطراف القنا وتعانقوا   معانقة البغضاء غير التودد

وأخذ قوله مصافحة باطراف من قول أبي اسحاق التعلبي

دنوت له بابيض مشرفى   كما يدنو المصافح للسلام

وقال جرير في يزيد بن معاوية

الحزم والجود والايمان قد نزلوا   على يزيد أمين الله فاختلفوا

ألم به أبو تمام فقال

من الباس والمعروف والجود والتقى   عيال عليه رزقهن شمائله

فقال عيال عليه وهو نحو قول جرير نزلوا على يزيد ولعل أبا تمام اخذه من قول دعبل

تنافس فيه الحزم والباس والتقي   وبذل اللهى حتى اسطبحن ضرارا

وقال الكميت يصف الخيل

يفقهن عنهم اذا قالوا ويفهمهم   مستطعم صاهل منهم ومنحم

أخذه ابو تمام فقال

وهو اذا ماناجاه فارسه   يفهم عنه مايفهم الانس

وقال الكميت أيضا

والقين البرود على خدود   يزين الفداغم بالاسيل

يريد بالفداغم الرخوة اللحيمة فقال أبو تمام

وتنوا على وشي الخدود صيانة   وشي البرود بمسجف وممهد

وقال الابيرد الرياحي

وكنت أري هجرا فراقك ساعة   الا لا بل الموت التفرق والهجر

اخذه أبو تمام فقال

الموت عندي والفراق كلاهما مالا يطاق

وانشد أبو العباس المبرد للعتبي

اضحت بخدي للدموع رسوم　　اسفا عليك وفي الفؤاد كلوم

والصبر يحسن في المواطن كلها　　الا عليك فانه مذموم

قال واخذه الطائي فقال في ادريس بن بدر الشامي

دموع اجابت داعي الحزن همع　　توصل منا عن قلوب تقطع

وقد كان يدعى لابس الصبر حازما　　فاصبح يدعي حازما حين يجزع

قال وجاء به الطائي في موضع آخر فقال

الصبر اجمل غير أن تلذذي　　في الحب احري أن يكون جميلا

وقال الراجز انشده يعقوب بن السكيت

قد اضحت العقدة صلعاء اللمم　　واصبح الاسود مخضوبا بدم

العقدة موضع ذو شجرة لا يفني فيذهب وصلعاء اللمم الجماجم وهو جمع لمة فجعله مثلا لرؤوس النبت اكلته الابل فصارت لممه صلعا والاسود الحية تطأه الابل فتقتله فظفر بهذا أبو تمام فقال * حتى تعمم صلع هامات الربى * من نوره وتازر الاهضام والاهضام ما انخفض من الارض ووجدت ابن أبي طاهر خرج سرقات أبي تمام فاصاب في بعضها واخطأ في البعض لانه خلط الخاص من المعاني بالمشترك بين الناس مما لا يكون مثله مسروقا فمن السرق قول أبي تمام

كما كاد ينسى عهد ظمياء باللوى　　لديه ولكن املته عليه الحمائم

اخذه من قول العتابي

بكي واستمل الشوق من في حمامة　　ابت في غصون الايك الا الترنما

الذي قوله في حمامة اراد من صوت حمامة دعته اليه الضرورة وليس هذا موضع في قوله املته من قول العتابي واستمل وقد جاء مثله في اشعارهم وقال اخذ قوله

لا تنشجن لها فان بكاءها　　ضحك وان بكاءك استغرام

من قول الآخر

فاني ان بكيت بكيت حقا　　وانك في بكائك تكذبينا

وقال فنول حتى لم يجد من ينيله أخذه من قول على بن حبلة

اعطيت حتي لم تجدلك سائلا وبدأت اذ قطع العفاة سؤالها

وقد ذكرت اخذه هذا المعني فيما تقدم من غير ابن جبلة وقال

اني لاعجب ممن في حقيبته من المني بحور كيف لا يلد

اخذه من مروان في قوله

لو كان يحمل من هذا الوري ذكر لكنت اول خلق الله بالولد

ومن قوله ايضاً

لو كان يخلق في بطن امرء ولد لاصبح البطن منه ضامنا ولدا

وقال

يحميه لالاؤه ولوذعيته عن أن يذال بمن أو ممن الرجل

اخذه من حسان

اذا ما ترعرع فينا الغلام فما ان يقال له من هوه

وقد ذكرت اخذه هذا المعنى فيما تقدم من غير حسان (قال)

فلا تطلبوا اسيافهم في جفونها فقد اسكنت بين الطلى والجماجم

اخذه من قول عنترة

ولم يعلم جزية أن تبلى يكون جفيرها البطل النجيد

وقال

يتجنب الايام ثم يخافها فكانما حسنانه آثام

اخذه من قول أبو العتاهية * لم تنتقصني اذا اساءت وزدتنى حتى كان اساني احسان

وقال الطائي

اجل ايها الربع الذى بان آهله لقد ادركت فيك النوي ما تحاول

وقال

لا تذيلن مصون همك وانظر كم بذي الايك دوحة من قضيب

اخذه من قول الاشهب

على بني يشد الله ازرهم والدوح ينبت عيدانا فيكتهل

وقال

اظاله البين حتي انه رجل لو مات من شغله بالبين ما علما

أخذه من قول أبي الشيص

وكم من ميتة قدمت فيه ولكن كان ذلك وما شعرت

وقال فى وصف الرماح

كانما وهى فى الاكباد والغة وفي الكلى تجد الغيظ الذي تجد

اخذه من قول النمرى

ومصلتات كان حقداً منها على الهام والرقاب

وقال

اذاما اغاروا فاحتووا مال معشر اغار عليهم فاحتوته الصنائع

أخذه من قول الاخر

اذا اسلفتهن الملاحم مغنما دعاهن من كسب المكارم مغرم

وقال

وركب كاطراف الاسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه

وقد ذكرت أخذ هذا المعنى فيما تقدم من كثير ﴿ قال ﴾

توفيت الآمال بعد محمد فاصبح مشغولا عن السفر السفر

أخذه من قول عصام الجرجاني

الا فى سبيل الله آمالك التى توفين لما اغتالك الحدثان

وقد تقدم ذكر هذا وأنه أخذه من موضع آخر وقال تعليقها الاسراج والالجام

أخذه من قول جرير

حراجيج يطفن الذميل كانها معاطف ظبي أو حنى الشراجع

وقال

ذاك الذى كان لوان الانام له   نسل لما عليهم جبن ولا بخل

أخذه من قول أبي الشميط

لو كان جدكم شريك والدا   للناس لم تلد النساء بخيلا

وقال حمراًمن حلب العصير كسرتها   بيضاء من حلب الغمام الرقرق

أخذه من قول مسلم

صفراء من حلب العصير كسوتها   بيضاء من حلب الغيوم البجس

وقال اخذ قوله بياض العطايا في سواد المطالب من قول الاخطل

رأين بياضا في سواد كانه   بياض العطايا فى سواد المطالب

وأخذ قوله

ناجيت ذكرك والظلماء عاكفة   فكان ياسيدي احلى من الشهد

من قول ابن أمية

كم ليلة نادمني ذكره   يسعدني المثلث والزير

وأخذ قوله

والعيش غض والزمان غمام   من قول الاخطل

سقيت شباب الدهر لم تستطعهم   افالآن لما اصبح الدهر فانيا

وأخذ قوله

ذاك الذى أحصى الشهور وعدها   طمعا لينتج سقبة من حائل

من قول أعرابي

انا وجدنا طرد الهوامل   خيرا من التانان والمسائل

وعدة العام وعام قابل   ملقوحه فى ناب بطن حائل

وأخذ قوله

يعلون حتى مايشك عدوهم   ان المنايا الحمر جى منهم

من قول مسلم بن الوليد

لو ان قوما يخلقون منيـة من بأسهم كانوا بنى جبريلا

وأخذ قوله

لو كان فى الدنيا قبيل آخر بازائهم ما كان فيها معدم

من قول بشارة

لو كان مثلك آخـر ما كان فى الدنيا فقـير

وقال فى قوله

ذقنا الصدود فلما اقتاد ارسننا حنت حنين عجول بيننا الرحم

من قول الاسود بن يعفر

سما بصري لما عرفت مكانه واطت الي الواشجات اطيطا

واخذ قوله

صفرا صفرة صحة قد ركبت جثمانه فى ثوب سقم اصفر

من قول على بن رزين الكوفى بيضا رعبوبة صفراء من من غير

وقال فى قوله لم تكمدى فظننت ان لم تكمدى من قولهم

لا تنكري جزع المحب فانه يطوي على الزفرات غير حشاك

وقال في قوله

سقى الغيث غيثا وارت الارض شخصه وان لم يكن فيه سحاب ولا قطر

من قول عقيق بن سليك العامرى سقاك الغيث انك كنت غيثاً

وقال فى قوله

أمن بعد طي الحادثات محمدا يكون لاثواب العلي أبدا نشر

من قول أبي نواس

طوى الموت مابيني وبين محمد وليس لما تطوى المنية ناشر

وقوله أيضا

ومن العجائب ناصح لايشفق من قول المخبل أيضا

ولا يعدم الغاوي على الغي لائما وان هـو لم يشفق عليه يلوم

واخذ قوله

من شرد الاعدام عن أوطانه   بالبذل حتى استطرف الاعدام

من قول الاعشى

هم يطردون الفقر عن جارهم   حتي يرى كالغصن الناضر

وفى قول أبى تمام زيادة حسنة وهي قوله حتى استطرف الاعدام

واخذ قوله

حلفت ان لم تثبت ان حافره   من صخر تدمر اومن وجه عثمان

من قول الآخر

لو كان حافر برذوني كاوجهكم   بني بديل لما انعلته أبدا

ومما نسبه فيه ابن ابي طاهر الى السرق وليس بمسروق لانه مما يشترك فيه الناس من المعاني والجري على السنتهم منه مانسبه الى السرق والمعنيان مختلفان قول أبي تمام

الم تمت ياشقيق الجود من زمن فقال لى لم يمت من لم يمت كرمه

وقال اخذه من العتابى

ردت صنائعه الية حياته   فكانه من نشرها منشور

ومثل هذا لا يقال له مسروق لانه قد جري فى عادات الناس اذا مات الرجل من أهل الخير والفضل واثنى عليه بالجميل أن يقولوا ما مات من خلف الثناء ولا من ذكر وذلك شائع فى كل أمة وفي كل لسان وقال ابو تمام

اذا عنيت بشي خلت انى قد   أدركته ادركتنى حرفة الادب

وقال اخذه من الجريمي

ادركتني بذاك اول دأبي   بسجستان حرفة الآداب

وحرقة الاداب لفظة قد اشترك الناس فيها وكثرت على الافواه حتى قد سقط أن واحدا يستملها من آخر هذا قول ابن ابى طاهر ولم يقل ابو تمام ادركتنى حرفة الادب انما قال ادركتني حرفة العرب وقد ذكر غلطه في هذه اللفظة ذكر البيت فى الموازنة

وقال فى قوله

لو يعلم العافون كم لك فى الندى   من لذة وريحة لم تحمد

اخذه من بشار ليس يعطيك للرجا ولا الخوف ولكن يلذ طعم العطاء

وما أخاله احتذى فى هذا البيت على قول بشار لان بشارا قال ليس يعطيك رغبة في جزاء يرجوه ولا خوفا من مكروه ولكن لالتذاذه العطية واراد ابو تمام ان الطالبين لوعلموا التذاذه الندى لم يحمدوه والمعنيان انما اتفقا فى طريق التذاذ الممدوح بعطائه فقط وهذا ليس من بديع المعاني التى يختص بها شاعر فيقال ان واحدا اخذه من الاخر لان العادة جارية بان يقال فلان لا يعطى متكارها ولا متكلفا بل يعطي عن نية صادقة ومحبة لبذل المعروف تامة ونحو هذا من القول وقال فى قوله لو كان ينفخ قين الحى في فحم من قول الاغلب

قد قاتلوا لو ينفخون فى فحم ما جبنوا ولا تولوا من أمم

وهذا معنى شائع من معالى العرب وجاز فى الامثال أن يقولوا قد فعلت كذا واجتهدت فى كذا لو كنت تنفخ فى فحم لان النفخ في الفحم تحيي النار ويشعلها والنفخ فى حطب ليس بفحم اذا اخذت النار فيه لا يوري نارا وقال في قوله والموت خير من سؤال سؤول من قول محمود وارغب الى مالك الملوك ولا تكن بادى الضراعة طالبا من طالب ومثل هذا لا يكون مسروقا لانه جار على الالسن ان يقال وقع سائل على سائل ومجتهد على مجتهد ووقع البائس على الفقير وامثال هذا وقال فى قوله

همة تنطح النجوم وجد آلف للحضيض فهو حضيض

من قول اعرابى

همته قد علت وقدرته فى الحديد بين الثرى مع الكفن

وهذا ايضا من المعانى المشتركة الجارية فى العادة ان يقولوا همته فى علا وجده في سفال وهمته ناطقة وجده اخرس وهمة ذات حراك وجد ساكن وهمة فلان ترفعه وجده يضعه وما اشبه هذا وقال فى قوله

تقبيل الركن ركن البيت نافلة وظهر كفك معمور من القبل

من قول عبد الله بن طاهر

اعلنت له ذكره مكافأة بان توالى فى ظهرها القبل

وليس بين المعنين اتفاق الا بذكر قبل الكف وهذا ليس من المعانى المبتدعة لان الناس ابدا يقولون ما خلق وجهه الا للتحية وكفه الا للقبل كما قال دعبل

فباطنها للندى وظاهرها للقبل

ومثل هذا مما نطقوا به كثيرا فلا يكون عندى مسروقا وقال في قوله

نظرت فالتفت منها الى احلى سواد رايته في بياض

من قول كثيرا

وعن نجلاَ تدمع في بياض　　　اذا دمعت وتنظر في سواد

وليس بين المعنيين اتفاق الا بذكر البياض والسواد والالفاظ غير محظورة وابو تمام انما قال فالتفت منها الى أحلى سواد يعنى حدقتها في بياض يعنى شحمه عينها وهذا هو الصحيح وقد قيل سواد عينها في بياض وجهها وكثير اراد أن عينها تدمع في بياض اذا دمعت يريد خدها وتنظر في سواد يعنى حدقتها وهذا المعني غير ذاك وقال في قوله

كم من يد لك لولا ما اخففها　　　به من الشكر لم تحمل ولم تطق

بالله ادفع عنى ثقل فادحها　　　فانني خائف منها على عنقي

من قول ابى نواس　　　والمعنيان مختلفتان لان ابا نواس قال

لا تسدين الى طارفة　　　حتي أقوم بشكر ما سلفا

أنت امرء جللتنى نعما　　　أوهت قوي شكري فقد ضعفا

فذكر ان نعم الممدوح قد غلبت الشكر فاستعفاه من نعمة أخرى حتى يقوم بشكر نعمته السالفة وابو تمام قال لولا ما اخففها به من الشكر لم اطق حملها ثم احسن والطف في قوله فانني خائف منها على عنقي ومعني أبى نواس اجود وابرع　وقال في قوله

اعملي النتف واطلى وقديما　　　كان صعبا ان تشعب القارورة

من قول الاعشي

كصدع الزجاجة ما تستطيع　　　كف الصناع لها ان تحيرا

قلت　ووقع في شعر الاعشي ايضا قوله

فبانت وفي الصدر صدع لها　　　كصدع الزجاجة لا يلتئم

وهذا معني متداول مشهور مبذول من معانيهم في الزجاج قد نطق به الناس وأكثروا فيه حتى سقط ان يقال ان ابا تمام اخذه من الاعشي وقد تقدم فيه المسيب بن علس فقال

بانت وصدع القلب كان لها صدع الزجاجة ليس يتفق

وقال آخر

وتفرقت نياتهم فتصدعوا صدع لزجاجه مالها تيفاق

ومثله كثير وقال في قوله

اذا سيفه أضحى على الهام حاكما غدا العفو منه وهو في السيف حاكم

من قول مسلم بن الوليد

يعدو عدوك خائفا فاذا رأى ان قد قدرت على العقاب رجاكا

والمعنيان مختلفان لان اباتمام قال اذا حكم سيف الممدوح على الهام حكم عفوه على السيف ومسلم قال ان عدو الممدوح يخافه فاذا رأى ان قد قدر على العقاب رجاه فليس هذا المعني من ذلك في شيء وقال في قوله

فان هز ثم سللناها وقد غنيت دهرا وهام بنى بكر لها غمد

من قول سعيد بن ناشب

فان أسيافنا بيض مهندة عتق وآثارها في هامهم جدد

والمعنيان مختلفان لان اباتمام قال وهام بنى بكر لها غمدا وهذا قال واثارها في هامهم جدد فهذا غير ذلك وقال في قوله

فلو كانت الارزاق تجرى على الحجي هلكن اذا من جهلهن البهائم

من قول أبي العتاهيه

انما الناس كالبهائم في الرزق سوآ جهولهم والحليم

و بين المعنيين خلاف لان ابا العتاهية أراد ان رزق كل نفس يأتيها جاهلة كانت أو عالمة كما يأتي البهائم وهذا قائم في الفطرة والعقول فتتفق الخواطر في مثله وابو تمام قال ان الرزق لو جرى على قدر العقل لهلكت البهائم وهذا زيادة في المعني حسنة وان كان الى مذهب أبي عتاهية يؤول وقال في قوله

وأشجيت أيامى بصبر حلون لي عواقبه والصبر عند اسمه صبر

من قول أبي الشيص

يصبرني قوم برآء من الهوى   وللصبر تارات أمر من الصبر

فقول الناس الصبر مر والصبر كاسمه صبر وقولهم الصبر محمود العاقبة وان كان مرا لا يكون مسروقا فيقال ان واحدا أخذه من آخر وقول أبي الشيص ان للصبر تارات يكون فيها أمر من الصبر أي له تارات يكون فيها شديد المرارة وقول أبي تمام اشجيت أيامى بصبر حلت لى عواقبه ثم قال والصبر مر عواقبه يريد فى الحلق لو جرعته لكان مقطعه شديد المرارة وانما قال هذا ليجتمع له فى البيت حلاوة عواقبه ومرارة عواقبه هذا تفسير على ما رواه ابن أبي طاهر ولم يقل أبو تمام والصبر مر عواقبه لكن والصبر عنده اسمه صبر وقال في قوله

لئن ذمت الاعداء سوء صباحها   فليس يودي شكرها الذئب والنسر

من قول مسلم

لو حاكمتك فطالبتك بذحلها   شهدت عليك ثعالب ونسور

وذكر وقوع الذئاب وغيرها والنسور وماسواها من الطير على القتلى معني متداول ومعروف وهو فى بيت أبى تمام غيره في بيت مسلم لان مسلما قال لممدوحه ان حاكمتك يريد الفرقة والعصب التى لقيتك في مطالبتك من قتلت منها لشهدت عليك الثعالب والنسور وأبو تمام قال على سبيل الاستهزاء لئن ذمت الاعداء سوء صباحها فليس يودى الذئب والنسر شكرها لكثرة ما أكلا منها وهذا المعني غير ذاك والله أعلم

﴿ تم الجزء الاول من الموازنة على ما جزاه مؤلفه والحمد لله ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قال أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي عفا الله عنه قد ذكرت في الجزء الاول احتجاج كل فرقة من اصحاب أبى تمام حبيب بن أوس الطائى وأبي عبادة الوليد ابن عبد الله البحتري على الاخري فى تفضيل احدهما على الآخر وقلت انى ابتدى بعد هذا الباب بذكر مساويهما لاختم الكتاب بوصف محاسنهما فاتبعت ذلك بما خرجته من سرقات أبي تمام وبيضت آخر الجزء لالحق به ماوجدته منها فى دواوين الشعراء فعلمت عليه وما اجده بعد ذلك فانه كثير السرقة وقد سمعت أبا على محمد بن العلاء السجستانى يقول انه ليس له معنى انفرد به فاخترعه الا ثلاثة معان وهى قوله

نأبي على التصريد الا نائلا   الا يكن ماء قراحا يمزق

نزرا كما استكرهت عاير نفحة   من فارة المسك التى لم تفتق .

وقوله

بني مالك قد نبهت خامل الثرى | قبور لكم مستشرفات المعالم
رواقد فيس الكب من متناول | وفيها على لا ترتقى بالسلالم

وقوله

واذا أراد الله نشر فضيلة | طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت | ماكان يعرف طيب عرف العود

ولست ارى الامر على ماذكره أبو على بل أري أن له على كثرة ماخذه من اشعار الناس ومعانيهم مخترعات كثيرة وبدائع مشهورة وانا اذكرها عند ذكر محاسنه ان شاء الله تعالى ومع هذا فلم أر المنحرفين عن هذا الرجل يجعلون السرقات من كبير عيوبه لانه باب مايعرى منه احد من الشعراء الا القليل بل الذى وجدتهم ينعونه عليه كثرة غلطه واحالته وأغاليطه فى المعانى والالفاظ وتأملت الاسباب التى أدته الى ذلك فاذاهى مارواه أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتاب الورقه عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة بن احمد أن أبا تمام يريد البديع فيخرج الى المحال وهذا نحو ماقاله أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله في كتابه الذي ذكر فيه البديع وكذلك مارواه محمد بن داود عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن أبيه أن اول من افسد الشعر مسلم بن الوليد وأن أبا تمام تبعه فسلك فى البديع مذهبه فتحير فيه كانهم يريدون اسرافه في طلب الطباق والتجنيس والاستعارات واسراقه فى التماس هذه الابواب وتوشيح شعره بها حتى صار كثير مما أتي من المعاني لا يعرف ولا يعلم غرضه فيها الا مع الكد والفكر وطول التأمل ومنه مالا يعرف معناه الا بالظن والحدس ولوكان اخذ عفو هذه الاشياء ولم يوغل فيها ولم يجاذب الالفاظ والمعانى مجاذبة و يقتسرها مكارهة وتناول مايسمح به خاطره وهو بجمامه غير متعب ولا مكدود واورد من الاستعارات ماقرب فى حسن ولم يفحش واقتصر من القول على ماكان محذواً حذو الشعراء المحسنين ليسلم من هذه الاشياء التى تهجن الشعر وتهذب ماءه ورونقه ولعل ذلك أن يكون ثلث شعره او اكثر منه لظننته كان يتقدم عند اهل العلم بالشعر اكثر الشعراء المتأخرين وكان قليله حينئذ يقوم مقام كثير غيره لما فيه من لطيف المعانى ومستغرب الالفاظ لكن شره الى ايراد كل ماجاش به خاطره ولجلجة فكره فخلط الجيد

بالردى والعين النادر بالرذل الساقط والصواب بالخطأ وافرط المتعصبون له فى تفضيله وقدموه على من هو فوقه من اجل جيده وسامحوه في رديئه وتجاوزوا له عن خطائه وتاولوا له التاول البعيد فيه وقابل المنحرفون عنه افراطا فبخسوه حقه واطرحوا احسانه ونعوا سيئاته وقدموا عليه من هو دونه وتجاوز ذلك بعضهم الى القدح في الجيد من شعره وطعن فيما لا يطعن عليه واحتج بما لا تقوم حجة به ولم يقنع بذلك مذاكرة ولاقوة حتى الف في ذلك كتابا وهو أبو العباس احمد بن عبيدالله بن محمد بن عمار القطربلي المعروف بالفريد ثم ماعلمته وضع يده من غلطه وخطئه الا على ابيات يسيرة ولم يقم على ذلك الحجة ولم يهتد لشرح العلة ولم يتجاوز فيما نعاه بعدها عليه الابيات التى تضمن بعد الاستعارة وهجين اللفظ وقد بينت خطأه فيما انكرمن الصواب في جزء مفرد ان أحب القارىء أن يجعله من جملة هذا الكتاب و يصله باجزائه فعل ذلك ان شاء الله تعالى فالذي تضمن (أي الجزء) يدخل فى محاسن أبى تمام التى ذكرت أني اختم كتابى هذا بها او بمحاسن البحتري وأنا الان اذكر ماغلط فيه أبو تمام من المعانى والالفاظ مما أخذته من افواه الرجال واهل العلم بالشعر عند المفاوضة والمذاكرة وما استخرجته أنا من ذلك واستنبطته بعد أن اسقطت منه كل ما احتمل التأويل ودخل تحت المجاز ولاحت له ادنى علة وأنا ابتدى بالابيات التى ذكرت أن أباالعباس انكرها ولم يقم الحجة على تبيين عيبها واظهار الخطأ فيها ثم استقصى الاحتجاج فى جميع ذلك لعلمي بكثرة من لا يجوزه على الشاعر و يوقع له التأويل البعيد ويورد الشبه والتمويه وبالله استعين وهو حسبي ونعم الوكيل

انكر أبو العباس احمد بن عبيد الله على أبى تمام قوله

هاديه جذع من الاراك وما   تحت الصلا منه صخرة جلس

قال هذا من بعيد خطائه ان شبه عنق الفرس بالجذع ثم قال جذع من الاراك ومتى رأى عيدان الاراك تكون جذوعا وتشبه بها أعناق الخيل واخطا أبو العباس فى انكاره على ابى تمام ان شبه عنق الفرس بالجذع وذلك عادة العرب وهو في اشعارها أكثر من أن يحصي وقد بينت ذلك فيما غلط فيه ابو العباس على أبى تمام وأصاب ابو العباس في انكاره ان تكون عيدان الاراك جذوع وان لم يلخص المعني لان عيدان الاراك لا تغلظ حتى تصير كالجذوع ولا تقاربها فان قيل أن الشجرة من الاراك قد تعظم حتى تصير دوحة يستظل بها الجماعة من الناس والسرب من الوحوش وذلك معروف موجود وقد قال الراعي

غذاه وحولى الثري فوق متنه مدب الأتي والاراك لدوائح

والدوائح العظام من جمع دوحة قيل أن الامر وان كان كذلك فى بعض شجر الاراك من علوها وتشعب أغصانها فان قائم الشجرة وعيدانها لا تغلظ ولا تمتلى امتلاء يقارب الجذوع ولا ماهو دونها في الغلظ ولو انتهت الى هذه الحالة وذلك غير معلوم لما قيل لها أيضا جذوع لان الجذع انما هو للنخلة فقط وقد يقال على سبيل لاستعارة لما يشبه بالنخلة قال الراجز

بكل طرف اعوجى صهال يمشي اذا ما قيد مشي المختال
تحت هواد كجذوع الاوقال

فقال كجذوع الاوقال جمع وقلة وهي شجرة المقل لان فيها شبها من النخل من جهة الخوص والليف فان قيل فقد قال ذو الرمة .

وهاج كجذع الساج سام يقوده معرف احناء الصبيين اشدق

قيل ذو الرمة انما قال ذلك على التشبيه لان العود من الساج يشبه الجذع المنحوت فى غلظه وهيئته وعود الاراك من أبعد شىء من ذلك لانه لا يمتد ولا يستوى استواء الجذع ولا غيره من أجناس الشجر التى تمتد ابدانها علوا امتدادا مستويا وذلك لرقته وشدة التوائه وتشعبه وانكر ابو العباس قول أبي تمام

رقيق حواشى الحلم أن لو حامه بكفيك ما ماريت فى أنه برد

وقال هذا الذى أضحك الناس منذ سمعوه الى هذا الوقت ولم يزد على هذا شيئا والخطأ فى هذا ظاهر لانى ماعلمت احدا من شعراء الجاهلية والاسلام وصف الحلم بالرقة وانما يوصف الحلم بالعظم والرجحان والثقل والرزانة ونحو ذلك كما قال النابغة

وأعظم احلاما وا كبر سيدا وأفضل مشفوعا اليه وشافعا

وكما قال الاخطل

شمس العداوة حتى يستقاد لهم واعظم الناس احلاما اذا قدروا

وكما قال ابو ذويب

وصبر على حدث النائبات وحلم رزين وقلب زكي

وكما عدى الرقاع في مثل ذلك

في شدة العقد والحلم الرزين وفى القول الثبيت اذاما استنصت الكلم وقال أيضا

ابت لكم مواطن طيبات واحلام لكم تزن الجبالا

وكما قال عدى أيضا

الجامع الحلم الاصيل وسؤددا غمرا يقاس به وحكمة حازم

وكما قال أيضا

قرم له مع دينه وتمامه حلم اذا وزن الحلوم ثقيل

وقال الفرزدق

احلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنا اذا ما نجهل

وقال ايضا

انا لتوزن بالجبال حلومنا ويزيد جاهلنا على الجهال

وكما قال الاخر

وعظيم الحلم لو وازنته بثبير اورضوى لرجح

ومثل هذا كثير فى أشعارهم الا ترى انهم اذا ذموا الحلم كيف يصفونه بالخفة فيقولون خفيف الحلم وقد خف حلمه وقال عياض بن كثير الضبي

قبائله سود خفاف حلومهم ذووا نيرب فى الحي يغدو ويطرق

وقال علقمة بن هبيرة الاسدي

كان جرادة صفراء طارت باحلام الغواضر اجمعينا

جعلها صفرا لانها ذكر وهي اسرع من الانثى وأخف وقال بن قيس الوقيات ، وجدتهما في ديوانه والصحيح انهما لابى العباس الاعمي

بحلوم اذا الحلوم استخفت ووجوه مثل الدنانير ملس

وقال قيس بن عمير الكنانى

كمثل الحصى بكر ولكن خيانة وغدر واحلام خفاف عوازب

فهذه طريقة وصفهم الحلم انما مدحوه بالثقل والرزانة وذموه بالطيش والخفة وايضا فان البرد لا يوصف بالرقة وانما يوصف بالمتانة والصفاقة وأكثر مايكون الوانا مختلفة كما قال يزيد بن الطثريه

اشاقتك اطلال الديار كانما معارفها بالابرقين برود

والابرق والبرقاء من الارض ما كان فيها حجارة ورمل فقيل برقا لاختلاف الالوان فيها ومن ذلك الحبل الابرق الذي فتل من قوى مختلفة الالوان فلذلك شبه الشاعر معارف الديار بالبرود لاختلاف الوان البرود ولولا أنه قال رقيق حواشي الحلم ماظننت انه شبهه بالبرد الا لمتانته وهذا عندي من افحش الخطأ ثم قوله بكفيك كلام في غاية السخافه وأظن ابا العباس بن عمار انما أنكر هذه اللفظة فقط واني لاعجب من اتباع البحترى أياه في البرد مع شدة تجنبه الاشيا المنكر عليه حيث يقول

وليال كسين من رقة الصيف فخيلن أنهن برود

وكيف لم يجد شيأ يجعله مثلا في الرقة غير البرد ولكن الجيد في وصف الحلم قوله متبعا المذهب الصحيح المعروف خفت الى السودد المجفو نهضته ولو يوازن رضوى حلمه رجحا قوله

فلو وزنت اركان رضوي ويذبل وقيس بها فى الحلم خف ثقيلها

وابو تمام لا يجهل هذا من أمر الحلم ويعلم ان الشعرا اليه تقصد واياه تعتمد ولعله قد أورد مثله ولكنه يريد ان يتبدع فيقع في الخطا وانكر ابو العباس على أبى تمام قوله من الهيف لو ان الخلاخل صورت * لها وشحا جالت عليها الخلاخل ولم يذكر موضع العيب فيه ولا اراه علمه وهذا الذى وصفه ابو تمام ضد ما نطقت به العرب وهو اقبح ما وصف به النساء لان من شأن الخلاخيل والبرين ان توصف بانها تعض فى الاعضاء والسواعد وتضيق فى الاسؤق فاذا جعل خلاخيلها وشحا تجول عليها فقد اخطأ الوصف لانه لا يجوز أن يكون الخلخال الذى من شأنه أن يعض بالساق وشاحا جائلا على جسدها لان الوشاح هو ما تقلده المرأة متشحة به فتطرحه على عاتقها فيستبطن الصدر والبطن وينصب جانبه الآخر على الظهر حتى ينتهي الى العجب وتلتقي طرفاه على الكشح الايسر فيكون منها في موضع حائل السيف من الرجل واذا كانت هذه صورة الوشاح فغير جائز أن يوصف بالسعة والطول ليدل على تمام المرأة وطولها ويكون ذلك لائقا بتشبيه النساء في البيت الثانى بقمنا الخط وانما يوصف الوشاح بالقلق والحركه ليستدل بذلك على دقة الخصر لانه يقلق هنا اذا كان الخصر دقيقا والبطن ضامرا بل حركته تدل على ضمر البطن اكثر وليس طوله فى نفسه مما يدل على امتلاء ولا خمص واذا كان الخلخال

وهو الحائة المستديرة المعروف قدرها وشاحا المرأة فانه يأخذ اعلى جسدها كله واذا كانت كذلك فقد مسخت الى غاية القباحة والصغر وصارت فى هيئة الجعل وقد تصف العرب الخصر بالدقة ولكن تعطي كل جزء من الجسد قسطه من الوصف كما قال امرؤ القيس

طوال المتون والعرانين والقنا لطاف الخصور في تمام واكمال

ألا تراه لما قال لطاف الخصور قال فى تمام واكمال ولو قال هذا الشاعر لو أن الخلاخيل صيرت لها حقبا اصح له المعنى كما قال منصور النمري

فلو قست يوما حجلها بحقابها لكانا سواً لا بل الحجل اوسع

فجعل حجلها وهو الخلخال اوسع من حقابها والحقاب ماتديره المرأة على خصرها فهو يختص بالخصر وكذلك النطاق والوشاح لا يختص بالخصر وانما يعلق حتى ينتهي اليه اذا كان الخصر دقيقا والبطن ضامرا فاتبع أبو تمام منصورا فى المعنى فاخطا ومن عادة العرب انها لا تكاد تذكر الهيف وطى الكشح ودقة الخصر الا اذا ذكرت معه من الاعضاء مايستحب فيه الامتلاء والرى والغلظ على ماعرفتك كما قال ذو الرمة

عجزآ ممكورة خمصانة قلق منها الوشاح وتم الجسم والقصب

وكما قال أيضا

اناة تلوث المرط منها بدعصة ركام وتجتاب الوشاح فيقلق

وكما قال

ترى خلفها نصفا قناة قويمة ونصفا نقا يرتج أو يتمرمر

وكما قال الشنفري

فدقت وجلت واسبكرت واكملت فلو جن انسان من الحسن جنت

أى دق منها ماينبغي أن يدق وجل منها ماينبغي أن يجل فهذا هو تمام الوصف وقال تميم بن أبي بن مقبل

هيف المردى رداح فى تاودها مخطوفة منتهى الاحشا عطبول

فقال هيف المردى ثم قال رداح والرادح العظيمة العجز وهذا كقول ذي الرمة خلفها نصفا قناة قويمة وقوله عطبول قويمة العنق وقال ايضا تميم

من الهيف ميدان تري نطاقاتها بمهلكة اخراصهن تذبذب

فجعلها هيفا وهي الخميصة البطن ثم قال ميدان فصار البدن لا يمنع من الهيف ولا يضاده
وقال تميم ايضا

ومن دق منها الخصر حتى وشاحها يجول وقد عم الخلاخيل والقلبا

وقال علي بن ابي علقمة الجرى

تري حجلها ملآن ليس بزائد يجول ولم يملك وشاحا ولا عقدا

قال ذلك من شأن الوشاح لان من سبيله أن يكون جائلا اذا انتهي الى خصرها لدقته ومن شأن العقد أن يجول أيضا على عنقها وترائبها لقلة اللحم هنالك وذلك المحمود من الوصف
وقال امرؤ القيس على هضيم الكشح ريا المخلخل
وقال طرفه بن العبد

وملأى السوار مع الدملجين واما الوشاح عليها فجالا

وقال علقمة بن عبدة

صفر الوشاحين ملأى القرط خرعبة كأنها رشا في البيت ملزوم

وقال المرار

بيض العوارض بدن ابدانها رجح الروادف ضمر الاخصار

وقال كثير أيضا

كسون الريط ذا الهدب اليماني خصورا فوق اعجاز ثقال

وقال كثير ايضا

يجول الوشاح باقرابها وتابي خلاخلها ان تجولا

وقال آخر

عقيلة اما ملاث ازارها فدعص وأما خصرها فبتيل

يريد كانه لدقته مقطوع مما يليه وهذا كله ضد ما قاله ابو تمام فان حمل بعض من د اقامة العذر له نفسه على أن يقول انا ذهب في قوله جالت عليها الخلاخل الى قولهم فلان يدخل في الخاتم لظرفه ولين اخلاقه لا لضيق مفاصله قبل هذا من كلام العامة وقول

ابى تمام من الهيف يمنع هذا التأويل ويحجز عنه لان الهيف الخميصات البطون الواحدة هيفا والى هذا ذهب لا الى وصف الاخلاق والباع فان قال قائل انما قال لوأن الخلاخيل صيرت لها وشحا أى لوساغ ذلك وجاز كما يقال لودخل أحد في سم الخياط لرقته وحسن اخلاقه لدخل زيد وكما قال الشاعر لو كان ذو حافر من سرعة طارا وكما قال الاخر

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم لسوددهم او مجدهم قعدوا

قيل هذا مذهب حسن معروف من مذاهبهم ولكن ليس بينه وبين قول ابى تمام شبه وانما كان يشبهه لوقال لوأن الخلاخيل تكون مكان الوشاح لجال عليها ولو قال قصر ظهورها أو بعض خلقها أوضم بعض اعضائها الى بعض حتى يكون خلخالها مكان وشاحها لجال عليها ومثل هذا لا يقوله احد الا الكشحي وابو العبر ولفظ بيته اقبح من هذا واشنع لانه انما اخرجه مخرج الحقيقة أومايقارب الحقيقة نحو قول القائل لو تغطت هند بشعرها لغطاها ولوسترت وجهها بذراعها لسترته ولو مستها لتاخت الاصبع فيها أو لادمتها وهذا ضرب من المبالغة وهو اى الحقيقة اقرب وليس من الابيات المذكورة فى شيء ولا على سياقة ذلك اللفظ والاحالة فيما تخرجه مخرج الحقيقة اقبح من الاحالة فيما تخرجه مخرج التوسع وكان ينبغي لابي تمام لما وصف النسا فى البيت الثاني بالطول والتمام فقال * فنا الخط الا أن تلك ذوابل * ان يصف الوشح بالطول والتمام لان الوشاح من المراة فى موضع حمائل السيف فكيف يجعلها مثل الخلاخل ويجعل الخلاخل مثلها وقد يبالغ الشاعر فى اشيا حتى يخرج منها الى المحال ويخرج بعضها مخرج الناذ فيستحسن ولا تستقبح نحو قول الشاعر

من رأى مثل حبتى تشبه البدر اذا بدا

يدخل اليوم خصرها ثم أردافها غدا

ومثل هذ كثير وقد قال النابغه فى وصف عنق المرأة بالطول فقال * اذا ارتعشت خاف الجبان رعاثها * ومن يتعلق حيث علق يفرق * فجعل القرط تخلق ان يسقط من هنالك فيهلك وانما اخرج هذا كالمثل أى لوكان مما يقع منه الخوف لخاف وقال ذو الرمة

والقرط في حرة الذفرى معلقة تباعد الحبل منه فهو يضطرب

فدل بقوله تباعد الحبل منه على طول عنق المرأة فهذه المبالغة لائقة مستحسنة لانه دل

بالشيء الذي يخص الموصوف لا بالشيء الذي يخص غيره ولو كان أبو تمام قال لو ان الخلاخيل صيرت لها نطقا لكان أتي بالصواب لان النطاق هو كل ما يدار على الخصر مثل المنطقة من سير كان أو ثوب أو غيرها أو لو قال حقبا لان الحقاب والنطاق بمنزلة واحدة اظنه أراد ان يقول هذا فغلط فجعل مكانه الوشاح وقد بالغ أبو العتاهية في وصف الخصور بالدقة فقال

ومخصرات زرننا بعد الهدو من الخدور
ريج روادفهن يلبسن الخواتم فى الخصور

لم يرد أن خواتمهن فى خصورهن لان هذا محال وانما ذهب الى مثل قولهم جفنة يقعد فيها خمسة أي لو قعدوا فيها لوسعتهم وقال الآخر

لها حافر مثل قعب الوليد يتخذ الفأر فيه مغارا

أى لو اتخذ فيه مغار الوسعه وكذلك قوله يلبسن الخواتم في الخصور أى تصلح خصورهن أن تدخل فى خواتمهن لدقتها وكل مادنا من المعانى بالحقائق كان الوط بالنفس واخلي في السمع فهذا ما انكره أبو العباس مما أبو تمام فيه غالط وهو ثلاثة أبيات ومما اخطا فيه الطائي البيت الذى بعد قوله

من الهيف لو ان الخلاخل صيرت لها وشحا جالت عليها الخلاخل

وهو قوله

مها الوحش الا ان هاتا اوانس قنا الخط الا ان تلك ذوابل

وانما قيل للقنا ذوابل للينها وتثنيها فنفى ذلك عن قدود النساء التى من اكمل صفاتها التثنى واللين وانعطاف كما قال تميم بن أبى بن مقبل

يهززن للمشى اوصالا منعمة هز الجنوب ضحي عيدان يبرينا
او كاهتزاز رديني تداوله ابدي التجار فرادوا متنه لينا

فشبه تميم قدودهن بالرديني للينه وتثنيه لا غير وهذا أجود من كل ما قاله الناس في مشى النسا وحسن قدودهن وقوله مها الوحش أراد كمها الوحش الا أن هاتا أوانس فوضع المشبه به في مكان المشبه وهذا فى كلامهم شائع مستفيض ومما اخطا فيه الطائي اقبح خطأ قوله

قسم الزمان ربوعها بين الصبا وقبولها ودبورها اثلاثا

لان الصبا هي القبول وليس بين أهل اللغة وغيرهم في ذلك خلاف فان قيل انما سميت الصبا قبولا لانها تقابل الدبور فلعله استعار هذا الاسم للدبور فقال بين الصبا وقبولها يريد الدبور لانها تقابل الصبا ومقابلتها أي الريح المقابلة لها قيل هذا غلط من وجوه منها أنه قد ذكر الدبور في البيت مرة فلا يجوز ان يأتي بها مرة ثانية ومنها أي ماسمع من العرب زيد قبولك أى مقابلك ولا دار زيد قبول دار عمر وبمعني مقابلتها فانما خصت الصبا وحدها بهذا الاسم لانها تأتى من الموضع الذى يقبل منه النهار وهو مطلع الشمس وقيل لها دبور لانها ضدها أخذه من اقبل وأدبر ولو جاز هذا فى كلامهم وساغ فى لغتهم أو كان مثله مسموعا منهم لساغ ان تسمى الشمال أيضا قبولا لانها تقابل الجنوب وان تسمى الجنوب قبولا لانها تقابل الشمال وما اظن احداً يدعي هذا ولا يستجيز ان يعارض بمثل هذه المعارضة ولا أن يحدث لغة غير معروفه و ينسب الى العرب مالم تعلمه ولم تتعلق به ومنها وهى أولاها في فساد هذا التأويل انه قال بين الصبا وقبولها ودبورها اثلاثا يدلك انه اراد ثلاث رياح وانه توهم أن القبول ريح غير الصبا وهذا واضح والجيد قول البحترى

متروكة الريح بين شمالها وجنوبها ودبورها وقبولها

فجاء بالرياح الاربع وقال البحترى

شنئت الصبا اذ قيل وجهن قصدها وعاديت من بين الرياح قبولها

فقوله وجهن يعنى الحمول والهاء في قبولها راجعة الى الرياح وهذا مما يوهمك انه اراد ريحين وانما اراد ريحا واحدة وسماها باسميها فقال شنئت الصبا وعاديت القبول اى ابغضت هذين الاسمين لان حمول الظاعنين توجهت نحوها ولم يقل ان الحمول توجهن الى وجهين مختلفين وحكى ابن الاعرابى أو حكى عنه انه قال القبول كله ريح طيبة المس لينة لا اذى فيها سميت قبولا لان النفس تقبلها وأظن الاخطل أن كانت الرواية الصحيحة لهذا قال

فان تبخل سدوس بدرهميها فان الريح طيبة قبول

أي طيبة لا تمنعها الانصراف والسير وهذه ليست من الريح التى ذكرها ابو تمام في شيء لان هذه على هذا الوصف قد تكون الشمال. وتكون الجنوب وتكون

الصبا وذلك انما أراد ريحا بعينها لانه قال بين الصبا وقبولها فجعلها مضافة اليها كما لو قال بين الشمال وجنوبها لانهما ريحان معروفتان وهما اختان مختلفتان تعتقبان وكذلك لو قال بين الصبا ودبورها وكذلك لو قال بين القبول ودبورها أو بين القبول وشمالها فاذا ذكرت القبول مع هذه الرياح المعروفة التي هي الصبا وليس هذا موضع القبول التي هي الريح اللينة المس الطيبة على ماذكر لانه وصف مجهول ويجوز أن يكون لكل ريح ولا يقع في هذا الموضع لانك اذا عنيتها بقولك قد نفيت الصبا وقبولها ألم يدر أي ريح هي في معنى اضافتها الى الريح المعروفة التي هي اذا الآن مساجاز أن تسمي بذلك الاسم هذا خالف من القول اذا قيل وأيضا ان أبا تمام انما أرادأن هذه الرياح عفت هذه الديار وذهبت بها فاوجه ذكرلريح طيبة لينةالمس مع الديون هذا محال ان يكون اراده كيف والديار يدعي لها بهبوب الرياح اللينة الضعيفة ليلا تعفوها الا يرى قول أبي تمام

ارسي بناديك الندى وتنفست نفسا بعقوتك الرياح ضعيفا

وقال البحترى

واذا هبت الرياح نسيما فملي ربع دارها والجناب

فشرط ان تكون الرياح مريضة ليلا تعفوها وتمحوها فان قيل فلعله أراد بين الصبا وقبولها أي بين الصبا وسهلها ولينها ولا يكون يريد بالقبول اسمها المعروف وانما يريد الاسم الذي يقع للريح اللينة المس فكانه قال بين القبول وقبولها يقال جاءنا عباس وعباسه أي ووجهه العباس وأتانا الضحاك وضحاكه أي ووجهه الضحاك لان التعبيس والضحك في الوجه وقد فتنتنا حوراء بحورائها أي بعينها الحوراء قيل هذا كله لفظ سائغ مستقيم غير انا ماسمعنا مثل هذا في الريح ولا علمناه في اللغة ولا وجدنا في الشعراء احدا قال الصبا وقبولها ولا الجنوب وقبولها ولا الشمال وقبولها أي سهلها او لينها ولو أراد الطائي ذلك كان ايضا مخطئا لان الريح لينها وشديدها ريح واحدة وقد قال أبو تمام اثلاثا فدل على انه أراد ثلاث رياح وان كان أراد ريحا اخرى غير الصبا فقد قدمت القول في أن ذلك غير سائغ ولا مستقيم وقد استقصي أصحاب الانواء في كتبهم ذكر الرياح وأوصافها ونعوتها واستشهدوا باكثر ماسمعوه من أشعار العرب فيها وبالغ أبو حنيفة الدينورى في ذلك فما منهم أحد ذكر ان القبول غير الصبا وانما قال ابن الاعرابي في نوادره أن العرب تسمي كل ريح طيبة لينة المس قبولا قال الاخطل

فان نبخلي سدوس بدرهميا فان الريح طيبة قبول

فانما أراد الصبا لانها ريح محبوبة تنسب الى الطيب وهي دائمة الهبوب لينة المس معتدلة فى أكثر أوقاتها اى فان منعت سدوس نائلها فان الريح طيبة قبول أى هي صبا ما تمنعنا من الانصراف والرحيل فان كان ماذكره ابن الاعرابى صحيحا وهو الصحيح ان شاء الله فانهم انما قالوه لكل ريح طيبة لينة قالوا هذه الصبا وهذه القبول أى كالصبا أو كالقبول فاسقطوا حرف التشبيه وجعلوا المشبه في مكان المشبه به كما تقول شممت رائحة طيبة العرف هذه المسك واذا رأيت وجها جميلا قلت هذا هو البدر وان شئت كان المعني هذه المسك حقا وهذا هو البدر يقينا ولو هبت شمال شديدة مزعجة حتى تقول هذه هى الدبور بعينها لكان هذا من اسوغ كلام وافصحه وان كانت العرب سمت الشمال والجنوب اذا هبتا هبوبا سهلا لينا قبولا فانما شبهوها بالصبا وأعاروها اسمها وانما قيل لها قبول لانها تاتي من مطلع الشمس وهو الموضع الذى يقبل منه النهار وقيل للدبور دبورا لانها تهب من حيث يدبر وقد قيل غير ذلك وهذا هو الصحيح وقد قيل عن النضر بن شميل انه قال القبول ريح على الصبا ما بينها وبين الجنوب وهذا غير معروف ولا معول عليه الا أن يكون قاله على هذا الذى ذكرته والله أعلم وبيت أبي تمام لايحتمل ان يتاول فيه هذه الريح لانه أراد محو الديار ولا تذكر فى محو الديار القبول الجميمة الهبوب الطيبة المس مع الدبور التى لاتكاد تهب فان هبت لم تات الى شديدة مزعجة فقال آخر ممن لاتميز له أراد بين الصبا وقبولها أى الريح التى قبلتها كانها قابلتها فقبلتها فهل قبولها يعنى ريحا من الرياح كما يقال فاخرته ففخرته وخاصمته فخصمته قيل هذا خطأ من وجوه منها أن الريح التى تقابل الصبا مقابلة صحيحة هى الدبور وقد ذكرت في البيت فلا يجوز ان يردها ومنها انك لاتقول قابلت زيدا فقبلته مثل فاخرته ففخرته لانك اذا قابلته فقد صرت قبالته وصار قبالتك فليس احدكما فى هذا بافضل من الاخر وذلك مثل قوله واجهته وآزيته وساويته وحاذيته لانك فى هذه الاحوال مثله وهو مثلك فلا يجوز أن تقول فيه فعلته أى غلبته ومنها انك اذا قلت زيد ضارب عمرو أو ضروب عمرو وقاتل بكر أو قتول بكر لم تدل على انه كانت مضاربة بينهما أو مقاتلة لانه يجوز ان يكون الضرب وقع من احدهما ولم يقع من الاخر ولذلك اصل فلذلك لا يدل قولك قبولها انه كانت هنالك مقابلة كما لايدل قولك زيد ضارب عمرو على انه كانت مضاربة بينهما حتى غلب زيد عمرا بالضرب واذا لم يكن على الشيء دليل لم تقم به حجة ومن خطائه قوله

وصنيعة لك ثيب أهديتها وهي الكعاب لعائذ بك مصرم

حلت محل البكر من معطي وقد زفت من المعطى زفاف الأيم

غلطه اوقع فى البيتين جميعا وقالوا اراد بقوله وصنيعة لك أى للممدوح ثيب أي قد افترعت اهديتها وهى الكعاب لعائذ بك أي لعائذ بك مصرم أى قليل المال وجاء بالكعاب على انها تقوم مقام البكر ليجعلها فى البيت ضد الثيب فتصح له القسمة أى هذه الصنيعة ثيب عندك أى قد اصطنعت مثلها مرارا وهى الكعاب يريد البكر عند هذا العائذ بك لانه أول مااصطنعه اليه أولانها أكبر صنيعة صنعتها عنده قالوا الكعاب التى كعب ثديها وقد تكون بكرا وتكون ثيبا فليست ضدا للبكر في البيت ولا تصح بها قسمته لان اسم الكعاب لا يزول عنها اذا افترعت حتي ينهد ثديها و يرتفع قالوا واعتمد أن يشرح هذا البيت الثانى فقال

حلت محل البكر من معطي وقد زفت من المعطي زفاف الأيم

وذلك معني قوله وهى الكعاب لعائذ بك ثم زفت من المعطي زفاف الايم وهو يريد معنى قوله وصنيعة لك ثيب على أن الايم هي الثيب وقالوا هذا خطا لان الايم هى التي لا زوج لها بكرا كانت أوثيبا قال الله عزوجل وانكحوا الايامي منكم والصالحين من عبادكم وامائكم افتراه قال انكحوا الثيبات من النساء دون الابكار انما اراد تبارك اسمه انكحوا النساء اللواتى لا ازواج لهن فالثيب والبكر والصغيرة والكبيرة ممن لا زوج لها تدخل في الاية الشماخ

يقر بعيني ان أحدث أنها وان لم أنلها ايم لم تزوج

وهذا هو المعروف في كلامهم وهذا الذي ذكروه من غلطه فى الايم هو كما ذكروه فاما مادعوه فى البيت الاول من الغلط فى الكعاب لمن أقامها مقام البكر فليس ذلك والمعني صحيح وقد جاء مثله في اشعار العرب قال قدامه بن ضرار الحنفى

غداة خطبنا البيض بالبيض عنوة وابن الينا ثيبات وكعبا

اراد بالكعب الابكار وقال جرير يهجو امراة

وقد حملت ثمانية وتمت لتاسعة وتحسبها كعابا

فاقام الكعاب مقام البكر وجعلها ضد الثيب ومثله فى كلامهم موجود وانما فعلوا

ذلك وان كان الكاعب قد تكون بكرا وتكون ثيبا الا ان أول أحوال الكواعب أن يكن قد ناهزن حد البلوغ وبدأت ثديهن بالتكعيب فهن في هذه الحال اكثر ما يكن ابكارا وغير ذات ازواج قال عمرو بن معدى كرب

تركوا السوام لنا وكل خريدة ... بيضاء خرعبة وأخري ثيب

فاقام الخريده مقام البكر وجعلها ضد الثيب فى البيت والخريدة هى الحيية حكى اللحياني قال سمعت اعرابيا من كلب يقول الخريدة الدرة التي لم تثقب وهي من النساء البكر والخرعبة اللينة المفاصل الطويلة وهذه قد تكون ثيبا الا أنه جعلها بكرا لان الحياء اكثر ما يكون ابكار فقد صح معني بيت ابى تمام الاول في الكعاب وبقى الغلط قائما فى الايم وجعلها فى البيت الثاني ضد الثيب فان قيل فلم لا يكون لابى تمام اقامه الايم في البيت الثانى مقام الثيب اذ كانت الايم قد تكون ثيبا كما اقمت الكعاب فى البيت الثانى مقام البكر اذ كانت الكعاب قد تكون بكرا او تتجاوزه فى هذا كما تجاوزت في تلك قيل لفظة كعاب تدل بصيغتها على صغر السن كما عرفتك فهي فى الاكثر تكون بكرا غير مفترعة فلذلك استحسنوا ان اقاموا الكعاب مقام البكر ولفظة ايم لا تدل على حد فى السن من صغر ولا كبر ولا بكورة ولا افتراع فلا يجوز اقامتها مقام الثيب بحال وقد غلط في الايم بعض كبار الفقها فجعلها مكان الثيب وذاك لحديث روي عن النبي ﷺ علي انه لحقه السهو فى تأويله فحمله على غير معناه فلعل ابا تمام من هذا الوجه قد لحقه الغلط وقد ذكر ابو تمام معنى هذين البيتين فى موضع آخر فقال وقد ذكر صنيعة أيضاً

وليست بالعوان العنس عندي ... ولا هى منك بالبكر الكعاب

والعوان هى التي بين المسنة والصغير السن وهي التي قد عرفت الامور وجرت عليها التجربة فلذلك قيل العوان لا تعلم الخمرة ومنه قيل حرب عوان وهي التى قوتل فيها مرة وانما مرة بعد مرة وانما استعير لها اسم المرة فى هذه الحال كما قال الشاعر الحرب اول ما تكون فتية * فاستعارلها اول ماتبدا وتنشا اسم الفتاة واراد ابو تمام ان هذه الصنيعة ليست بالعوان عندى اي ليست صنيعة قد تقدمتها لك لدي صنائع تشبهها لعظمها وجلالها ولا هي بالبكر التي ليست مع ذلك لكبر صنائعك بل اسديت كثير امثلها الى غيرى وهذا هو المعني الذى قصد فى البيتين المتقدمين الا أنه جعل العنس هنا فى موضع

العانس فغلط فقال العنس والعانس هى التى حبسها اهلها عن التزويج حتى تجاوزت حد القناة والعنس اسم من اسماء الناقة وهى التى قد انتهت فى شدتها وقوتها فاين وصف الناقة من وصف المرأة فان قيل أن أبا تمام لم يرد غير العنس ولم يرد العانس لانه لو أراد العانس لكان مخطيئا من وجه غير الذى ذكرته وهو أن العوان فيما ذكر بعض أهل اللغة الثيب وقيل انها التى كان لها زوج وجرير قد افصح انها ذات الزوج فى قوله

واعطوا كما أعطت عوان حليها أقرت لبعل بعد بعل تراسله

فكيف يكون العانس وصفا للعوان والعانس هى التى حبست عن التزويج قال عامر ابن جوين الطاى ووالله مااحببت حبك عانسا ✻ ولا ثيبا لو أن ذاك أتاني فجعلها ضد الثيب والعنس اولى بان تكون وصفا للعوان من العانس ويكونان جميعا من اوصاف الناقة وهي دون المسنة وفوق الفتية فهي حينئذ الكاملة والعنس الناقة التى قد انتهت في قوتها فهما صفتان متفقتان استعارهما الشاعر للصنيعة من أوصاف النوق كما استعار البكر الكعاب من اوصاف النساء قيل هذا غلط من الاحتجاج وتعسف من التاول وانما يستدل ببعض الالفاظ على بعض كما يستدل على المعني بما يقترن ويتصل به فيكون في ذلك بيان وايضاح أما العوان والبكر وان كان قد وصف بهما غير المرأة من البهائم وغير البهائم فان البكر في البيت لا تكون مستعارة الا من أوصاف النساء من اجل ما اقترن بها من لفظ الكعاب التى هى مخصوصة بوصف الجارية التى كعب ثديها فلا تكون العوان فى صدر البيت من أوصاف النوق والبكر في آخره من أوصاف النساء فعلمنا أنه لم يرد بالعنس الا العانس فغلط كانه أراد هذه الصنيعة ليست فى حال ما هى عندى بالعوان العانس ولا فى حال ما هي عندك بالبكر الكعاب لان المرأة تكون كاعبا وبكرا في حال وعوانا عانسا في حال اخرى فتنتقل في هذه الاوصاف والعنس لا موضع لها ههنا واما قوله أنه لو أراد العانس كان مخطيئا لان العانس هي التى حبست عن التزويج حتى جازت حد القناة فلا يكون وصفا للعوان لان العوان عند اهل اللغة الثيب فيقال انما انه كان يسوغ لك هذا التاويل لو زال اسم العنوس عن المرأة اذا تزوجت فاما وهو باق عليها بعد التزويج التى صارت به ثيبا فلم لا يكون وصفا للعوان التى هى ايضا ثيب عندك الا ترى الى قول كثير

فان طلابى عانسا أم ولدة لمما تمنيني النفوس الكواذب

فقال عانسا وجعلها أم ولدة فان قال فلعل أبا تمام لم يرد هذا وانما أراد بالعنس مصدر

عنست المرأة تعنس عنسا وعنوسا فجعل المصدر وهو عنس وصفا للعوان مكان العانس والمصادر قد تجعل اوصافا في مكان اسماء الفاعلين قيل له المصدر المعروف في مصدر عنست المرأة هي العنوس ولم يسمع العنس وعلى أن الاصمعي قد انكر عنست مخففا وقال انما هو عنست تعنس تعنيسا حكى ذلك عنه يعقوب بن السكيت وهب قد جاء العنس مصدر عنست فليس في كل موضع يسوغ أن تكون المصادر أوصافا وانما تكون اوصافا على وجه من الوجوه وطريقة من اللفظ وهي قولهم انما زيد دهره اكل ونوم وانما عمرو ابدا قيام وقعود فتقيم المضاف اليه مقام المضاف لانه يدل عليه أو تجعل زيدا نفسه الاكل والنوم وعمرا القيام والقعود على المبالغة لان ذلك كثير منهما كما قالت الخنساء

ترتع مارتعت حتى اذا ادكرت   فانما هي اقبال وادبار

فجعلت الناقة هي الادبار والاقبال لان ذلك كثر منها وان شئت كان المعنى ذات اقبال وادبار فاقمت المضاف اليه مقام المضاف فهذه طريقة الوصف بالمصادر واذا تاولت بالعنس المصدر في قوله وليست بالعوان العنس كان ذلك كقولك ليست هند بالصبية الصغر تريد الصغيرة ولا دعد بالهرمة الكبر تريد الكبيرة فهذا لا يسوغ في منطق ولا يعد في لغة ولكن قد تستعمل هذه المصادر وصفا على نحو ما ذكرته فيقال هند الحسن كله ودعد الجمال اجمعه وزيد الهرم اقصاه وعبد الله البغض نفسه والتيه عينه وان شئت كان المعني هند صاحبة الحسن كله ودعد ذات الجمال اجمعه وزيد أخو الهرم وعبد الله ذو التيه فاقمت المضاف اليه مقام المضاف كما قال الله عز وجل واسئل القرية التي كنا فيها يريد اهل القرية وان شئت جعلت هندا هي الحسن ودعدا هي الجمال على المبالغة لما كانتا متناهيتين في هذين الوصف ولو كان أبو تمام اقتصر على ذكر العوان والبكر وهما اللفظتان اللتان استعارتهما الشعراء في هذا المعنى ولم يخلط بهما العنس والكعاب والثيب والايم لكان قد سلك الطريق المستقيم فاتى باللفظ المألوف المستعمل وتخلص من فاحش الخطا وانما أراد معني قول الفرزدق

وعند زياد لو تريد عطاءه   رجال كثير قد ترى بهم فقرا

قعود لدى الابواب طالب حاجة   عوان من الحاجات او حاجة بكرا

أي منهم طالب حاجة عوان أي حاجة قد عرفها وصارت عادة له وربما يتطلبه في كل حين ومنهم طالب حاجة بكر أي أول ما يلتمسه منه ويترجاه عنده فاحب ابو تمام أن يزيد على هذا

المعني و يغرب فاخرجه ذلك الى الخطا وقد أحسن محمد ابن حازم الباهلي في قوله

ابا جعفر يا ابن الجحاجحة الغر   بدت حاجة والحر يأوي الى الحر
وقد لبستني منك بالامس نعمة   فهل لك في اخرى عوان الى بكر
على انه ان أمكنت او تعذرت   فانك بين الشكر مني والعذر

فهذه طريقة الشعراء فى العوان والبكر ومن خطائه قوله

الود للقربي ولكن عرفه   للابعد الاوطان دون الاقرب

لانه نقص الممدوح مرتبة من الفضل وجعل وده لذوي قرابته ومنعهم عرفه وجعله في الابعدين دونهم ولا أعرف له فى هذا عذرا يتوجه وقد عارضني فى هذا البيت غير واحد ممن ينتحل بصره أبي تمام فقال بعضهم ان العرف ما يتبرع به الانسان فلذلك جعله في الاباعد فاما في الاقارب فان برهم وصلتهم من الحقوق الواجبة اللازمة قلت ان كنت تريد الحقوق التى يلزم فان ذلك انما هو للاباء والاجداد والامهات والاولاد والاعمام والاخوال والاخوة والاخوات اذا كانوا فقراء محتاجين فيجب انهم من الانفاق عليهم بقدر القوت والكفاية وهذا لا يخرج أن يسمي معروفا الا تراهم يقولون انل اباك من معروفك أو انل امك من معروفك فلا يكون هذا قبيحا بل لحقا وقال الله عز وجل فيما فرض على النساء وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف فقد صار الغرض ههنا معروفا لان المعروف هو الحسن الجميل من القول والفعل الذى قد عرفت المصلحة فيه فصار معهودا اذا أورد لم تنفر النفوس منه فتنكره وهذا لا يكون الانسان محمودا به اذا أعطاه هذه الطبقة من أجله حتى يمدح به و يفخر له به بل يكون مذموما اذا اقتصر عليه ولم يتجاوزه من الاقارب ممن ليس له حق من طريق الحكم وهم بنو الاعمام الذين هم الاعضاد والعدة و بهم تكون النصرة و كذلك بنو الاخوات و بنو الاخوال لم يجعل المعروف الذي هو يتبرع به فى الاباعد دونهم و يخرجون منه وان أردت الحقوق التى يلزمها الانسان نفسه تكرما و تفضلا فذلك حقيقة العرف الذى يتبرع المرء به و يحمد عليه و يمدح بفعله اياه واعطائه له و يذم اذا منعه والاقارب على الاختلاف في طبقاتهم وانسابهم أولى به من الاباعد فمن جعله فى الاباعد دونهم فذلك منه غاية اللؤم ونهاية العقوق وعين الحمق وان وصفه واصف فقد بالغ في ذمه وتناهي فى هجائه فقال قوله الود للقربى قد جمع لهم الود والعرف وغيره لان المودة تشتمل على ذلك كله والعرف الذي خص به الابعدين لا يجمع الوداد اذ ليس كل من اسديت

اليه معروفا فقد وددته فقد أعطى دوي القربى اكثر مما أعطي الابعدين فقلت له وليس كل من وددته أيضا فقد اسديت اليه نائلا ولا معروفا ولا يتضمن لفظ الود غير المحبة فقط وعلى أن قوله دون الاقرب توكيد يوجب اخراج الاقارب عن العرف وتخليصه للابعدين فما معني هذا التأويل الذي تاولته فاقام على أن الود يجمع العرف والصلة وهذا غير معروف ولا موجود فى كلام الناس وقال المقنع الكندى

فان الذى بيني وبين بنى أبي ... وبين بني عمي لمختلف جدا

اذا جمعوا صرمى معا وقطيعتى ... جمعت لهم مني مع الصلة الودا

فافصح هذا بانه يجمع لهم بين الصلة والود وقال البحترى

مودة وعطاء منك نلتهما ... ورب معطي نوال غير مودود

فقال مودة وعطاء منك نلتهما فلو كانت المودة لا تكون الا ومعها عطاء لم يكن لهذا القول معنى وكذلك البيت قبله وقال رب معطي غير مودود ورب مودود غير معطى نوال ألا ترى الى قول الاعشى

بانت وقد اسأرت فى النفس حاجتها ... بعد ائتلاف وخير الود ما نفعا

فاراد أن الود قد يكون ولا نفع معه وقال أبو تمام

فرأي اللهى والود حتي كانما ... افاد الغنى من نائل وفوائدى

وعارض آخر بمثل هذه المعارضة سواء فاجبته بمثل هذا الجواب وقلت له ان كان الامر على ماتزعم وتركناك على شهوتك في أن الود يجمع المحبة والصلة فقد ناقض اذا هذا الشاعر نفسه فى البيت فانه ان كان أراد بقوله الود للقربى المحبة والمعروف جميعا فقد قال فى عجز البيت ولكن عرفه في الابعد دون الاقرب فاخرج الاقرب بقوله دون فلو كنت تركته على مايقتضيه ظاهر لفظه من حرمان الاقرب كان ذلك أقل قبحا من المناقضة فقال انما أراد بقوله ولكن عرفه فى الابعد الاوطان دون الاقرب افراد العرف للابعد والا فجمعه له مع الود كما جمعهما للاقرب فقلت قوله دون يفسد عليك هذا التاول وما اراك الا قد أوضحت فيه الاحالة والمناقضة وبينتهما لانك في هذا كقائل قال الود والمال جميعا لزيد والمال لعمرو مفردا دون زيد فكيف يجمع المال م لو دلزيد اولا و يفرد عمرا به دون زيد آخرا وهذا اقبح ما يكون من المناقضة وانما كان يصح هذا الكلام بان لو قال الود والمال لزيد والمال لعمرو دون الود فيكون قد اخرج

عمرا من الود فيكون قد اخرج عمرا من الود اخراجا وكذا بقوله دون الود فاذا الكلام الاول متناقض كما عرفتك وكذلك بيت ابي تمام كان يتأول على هذا أن لو قال دون الود لادون الاقرب وماظننت ان احدا يدعي مثل هذه الدعوي ولا أن حاجة تدعوا الى مثل هذا الاحتجاج ويجب ان يقال لهذا المعارض هل يجب عندك ان تكون مودة لا معروف معها اذ ليس كل من وددته تقدالته معروفا فان قال لا كابر وسقط كلامه وان قال نعم قيل قد اخرجت لفظة الود عن ان تدل بمجراها على المعروف الا بشيء يقترن بها وقال آخر انما اخرج اقاربي من المعروف لانهم في غنى وسعة لغناه وسعة حاله فلذاك افردهم بالود قلت له فان كانوا اغنياء بغناه فقد اوسعهم من معروفه فما كان ينبغي للشاعر ان يشرط للاباعد دونهم وقلت له وكيف يعلم انهم أغنياء وليس في داخل البيت دليل عليه قال كذا نوى وأراد قلت ليس العمل على نية المتكلم وانما العمل على توجيه معانى الفاظه ولو حملت قول كل قائل وفعل كل فاعل على نيته لما نسب أحد الى خطأ في قول ولا فعل ولكان من سدد سهما وهو يريد غرضا فاصاب به عين رجل فذهبت غير مخطيء لانه ما اعتمد الا الغرض ولا نوى غير القرطاس وقال آخر أراد بقوله ولكن عرفه في الابعد الاوطان دون الاقرب أى بعد الاقرب تقول جائى الامير فمن دونه أى فمن بعده قلت فانما معنى فمن دونه أي فمن هو أدون منه في الرتبة بعده كان مجيئه أو قبله وقال آخر انما أراد ابو تمام بقوله دون الاقرب أى فضلا عن الاقرب أي فكيف الاقرب وان كان هذا مذهبا للناس أن يضعوا دون في هذا الموضع فيقولوا أنا أرضى بالقليل دون الكثير أي فضلا عن الكثير وأنا أقنع بقرص من شعير دون ماسواه أى فضلا عما سواه وهذا مذهب صحيح معروف قلت لهذا توهم منك فاسد وتاول لهذا الكلام على غير وجهه المقصود لان معني دون عند أهل اللغة التقصير عن الغاية فمعني قوله أنا أرضى بالقليل دون الكثير أى أرضى بالقليل ولا انتهي الى الكثير أي لا اطمح اليه وارضي بقرص من شعير ولا انتهي الى ماسواه فهذه حقيقة معنى اللفظ واما ما تأولته فانما هو بمعنى بله التى تأتي فى الكلام وموضعها دع كقول كثير

بسطت لباغي العرف كفا بسيطة　　تنال العدى بله الصديق فضولها

أى تنال العدي فدع الصديق أي لا تصل الى العدى الا بعد ان تصل الى الصديق ودون لا تتضمن هذا المعني ولا تودية قال فقد تأتى دون بمعني فوق كما تأتي فوق بمعني دون فى قول الله عز وجل ان الله لا يستحى أن يضرب مثلا مابعوضة فما فوقها ذكران معناه فما

دونها لان فوق قد تكون دون عند ماهو فوقها ودون قد تكون فوق عند ماهو تحتها فيجوز أن يكون اراد الشاعر بقوله دون الاقرب أي فوق الاقرب بمعنى زياده على ما أعطاه الاقرب أو تكون دون ههنا بمعنى الامام لان بعض اهل اللغة جعلها من الاضداد وانها تأتى بمعني خلف و بمعني امام مثل وراء فيكون معني قوله دون الاقرب اى امام عرفه في الاقرب اى قبله قلت له اما ماقيل في قوله عز وجل فما فوقها معناه فما دونها فان أهل العربية على خلاف ذلك وليس لهذه اللغة عندهم الا وجهان احدهما ان يكون فما فوقها فما هو أكبر منها لان البعوضة غاية في الصغر فيكون المعني انه عز وجل لا يستحي ان يضرب مثلا ما بين الشيء الذى هو نهاية الصغر الى ماهو فوقه أي مازاد عليه وتجاوز والوجه الاخر فما فوقها في الصغر وهذا قول أبى العباس محمد بن يزيد المبرد وأبي اسحاق الزجاج والكسائى من قبلهما وأبى عبيدة وما أظن غير هؤلاء يقول الا مثل ذلك واما ماذكرت من ان دون تأتي بمعني خلف وامام فانها عند أهل العربية من الاضداد نحو وراء فقد أخبرتك ان معناها عند أهل العربية التقصير عن الغاية واذا كان الشيء وراء الشيء أو امامه أو يمنة أو شأمة صلح فى ذلك كله ان تقول هو دونه الا ترى انك اذا قلت بيوت بني فلان دون الحرة صلح ان تكون دونها الى مهب الشمال أو الى مهب الجنوب أو الى غيرها من الجهات فلا يعلم المخاطب أي الجهات التى تعنى فليس هذا من الاضداد فى شيء وانما جعلها قوم من الاضداد لما رواها تستعمل في هذه الوجوه لما فيها من الابهام وكذلك ورآء انما هى من المواراة والاستتار فما استترعنك فهو ورآء خلفك كان او قدامك هذا اذا لم تره ولم تشاهده فاما اذا رأيته فلا يكون امامك ووراءك وانما قال لبيد

اليس ورآى ان تراخت منيتي　　　لزوم العصى تحنى عليها الاصابع

بمعني اليس امامى لانه قال ذلك قبل ان يرى ويشاهد نفسه وقد لزم الغلط وقد قال الله عز وجل وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً قالوا أنه كان امامهم واصلح ذلك لانهم لم يعاينوه ولم يشاهدوه فقد وضح لك الآن معني دون أنها لا تخرج عن بابها التى وضعت له الا ترى انك تقول نزلت فى القرية دون النخل فيجوز أن تكون القرية امام النخل وخلفه ويكون المعني انك افردت القرية بنزولك ولم تعرج على النخل وكذلك لقيت زيداً دون عمرو واكلت السمك دون اللبن اخرجت عمرا من لقائك واللبن من اكلك وكذلك قول الطائى دون الاقرب قد اخرجهم من الغرف وهذا الاشيء اوضح منه وقد

حمل بعضهم نفسه على ان قال أراد الطائى لكن عرفه فى الابعد الاوطان دون عرفه في الاقرب وهذا من افحش الخطا لان قوله دون الاقرب مثل قولك ودي لزيد دون عمرو فليس معناه كمعنى قوله ودى لزيد دون لعمرو لانك فى الاول قد اخرجت عمرا من الود وافردت زيداً به وفى الثانى جعلت الود لزيد دون الود لعمر أى اقل منه فهذا معنى وراك معني آخر وأيضا فلو اعتمد ابو تمام هذا المعني لكان قد أخرج لكن التى تدخل للاستدراك من أن يكون استدرك بها شيئا فلا يكون لها في البيت معني البتة وقال آخر ممن يلتمس العذر لابى تمام انما هذا على طريق الايثار كما يوثر الانسان على نفسه فكذلك يوثر على اقاربه قيل له الايثار على النفس حسن جدا وصاحبه ممدوح كما قال الله عز وجل ويوثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وكما قال ابو خراش

ارد شجاع الجوع قد تعلمينه   واوثر غيري من عيالك بالطعم

وكما قال عروة بن الورد

اقسم جسمي فى جسوم كثيرة   وأحسو قراح الماء والماء بارد

والايثار انما يكون ايثارا ويقع الحمد به اذا آثر الانسان غيره على نفسه أو على ولده وفي بعض الاحوال فاما اذا آثر بعض الطالبين على بعض بغير سبب يعلم فهو بذلك مذموم غير ممدوح فكيف اذا آثر البعيد على القريب وقد جاء فى أشعار العرب من الحث على بر الاقارب ومن حمد من وصلهم وذم من حرمهم ماهو أشهر وأكثر من ان يخفى قال زهير

وليس مانع ذى قربي وذي رحم   يوما ولا معدما من خابط ورقا

وقال أبو داود الايادى

اذا كنت مرتاد الرجال لنفعهم   فرش واصطنع عند الذين بهم ترمى

وقال حاتم الطائى

لا تعذليني على مال وصلت به   رحما قريبا فخير المال ما وصلا

وقال اوس بن حجر

اليس بوهاب مفيد ومتلف   وصول لذى قربي هضيم لمهتضم

وقال زهير

وذي نسب ناء بعيد وصلته   بمال وما يدري بانك واصله

وقال كثير

بسطت لباغي العرف كفا بسيطة   تنال العدي بله الصديق فضولها

هذا المعنى اولى بالصواب من قول الطاى لانه اراد أن عرفه ينال العدي فضلا عن الصديق لان قوله بله الصديق اى فدع الصديق لانه لا يصل الى العدى الا بعد أن يصل الى الصديق وقال كثير أيضا

لاهل الود والقربي عليه   صنائع بثها بر وصول

وللفقرا عائدة ورحم   فلا يقصي الفقير ولا يعيل

الا تراه بدأ باهل وده وقرابته فجعل منافعه فيهم ثم ثنى بالفقراء فجعل لهم عائدة ورحما اى رحمة وقال كثير أيضا

ولم يبلغ الساعون فى المجد سعيه   ولم يفضلوا افضاله فى الاقارب

جزيل الجوازي عن صديقك نصره   وقربت من ماوى طريد وراغب

وصاحب قوم معصم بك حقه   وجار ابن ذي قربي واخر جانب

رأيتك والمعروف منك سجية   تعم بخير كل جاد وغائب

جاد يقال يجدو ويجتدى أي تعم بالمعروف من هو بحضرتك ومن هو غائب عنك فجعل كثير كما ترى معروفه عموما في الاقارب وفى الاباعد الى الحاضر والغائب

وقال ابن هرمه

كم نايل وصلات قد نفحت بها   ونعمة منك لا تحصي اياديها

عند الاقارب والاقصين نفعها   بيض روائحها تحدو غواديها

وقال كنانة بن عبد ياليل الثقفى

صلاة وتسبيح واعطاء نائل   وذو رحم تناله منك اصبع

يريد بقوله اصبع ذو رحم ونائل وقال اسماعيل بن يسار النساى

وإذا أصبت من النوافل رغبة فامنع عشيرتك الاداني فضلها

وقال المسيب بن علس في منع الاقارب

من الناس من يصل الابعدين ويشقى به الاقرب الاقرب

وقال الحارس بن كلدة الثقفي يذم فاعل ذلك

من الناس من يغشى الاباعد نفعه ويشقى به حتي الممات اقاربه

فان يك خير فالبعيد يناله وان يك شر فابن عمك صاحبه

فقد تراه كيف ذم على حرمان القريب وقال مسافر بن أبي عمرو بن امية في ذلك

تمد الي الاقصي بثديك كله وأنت على الادنى صرور مجدد

وانك لو اصلحت من أنت مفسد تودك الاقصي الذى تتودد

الصرور الضيق حلمة الثدى والمجدد الذى قد انقطع لبنه وهذه طريقة القوم في هذا وهو مذهب سائر الامم وأما قول ابي تمام

وربما عدلت كف الكريم عن القوم الحضور ونالت معشرا غيبا

فليس هو من بيته الاول فى شىء وقد أدرك فيه الغرض كانه يعذر من فعل هذا أي ربما اتفق ان يفعله من غير قصد وليس هذا بمحمود وقد ذهب البحترى الى نحو ما ذهب اليه ابو تمام فقال

بل كان اقربهم من سيبه نسبا من كان أبعدهم من جذمه رحما

الا انه لم يخرجهم من معروفه وان كان أيضا قد دخل تحت الاساءة ونحو هذا قول البحتري أيضا

غدا قسمه عدلا ففيكم نواله وفى سر نبهان بن عمر ما آثره

وما عجب ان يشهد الطعن دونه وما عشرتكم في نداه عشائره

فاى قسمة عدل ههنا أن يجعل نداه فى غير قومه ويقتصر بهم على أن يجروا الفخر لما آثره وان كان قد دل بقوله وما عشرتكم فى نداه عشائره على انه لم يحرمهم نواله البتة والاحسن في هذا قوله

فان ينفرد عنا يسير بمجده فلم ينفرد عنا بنائله الجزل

فاعطاهم المجد والنائل جميعا وشبيه بهذا أو قريب منه قوله

عطاوك ذا القربى جزيل وفوقه عطاوك فى أهل الشناءة والبعد

فقال عطاوك ذا القربى جزيل ثم قال وفوقه عطاوك فى أهل الشناءة والبعد فقوله وفوقه أي أجزل منه وقد يكون فوقه بمعني زيادة عليه والمعنى الاول بالبيت اليق والجيد فى هذا البعيد من العيب قوله

ظل فيها البعيد مثل القريب المجتبي والعدو مثل الصديق

ولا أعرف لابى تمام فيما قال عذرا يتوجه ولا وجدت فيما تصفحته من الاشعار العرب مايجانسه الاقول عامر بن صعصعة بن ثور الفقعسى

لمن يزورك من اشرافنا لطف وذى القرابة ادناء وتقريب

واظن أباتمام عثر به واستغربه فاخذ المعني وزاد عليه زيادة اخرجته الى ذم الممدوح لان هذا الشاعر قال لمن يزورك من اشرافنا لطف أي برو لذي القرابة ادناء وتقريب ولم يقل ادناء وتقريب دون البركما قال ابو تمام لان البر واللطف اذا كانا للغريب الزائر وكان الادناء والتقريب فى تلك الحال لذي القرابة فقد يجوزان يهيجه البر اليه في وقت ايصاله الى الغريب هذا ان كان يقع فى الاكثر فلا عيب على هذا الشاعر فيما قال ولله در ابى عبادة الوليد بن عبيد البحتري اذ يقول

فان ذاك الندى يدني اليه يدا ممتاحة من بعيد الدار والرحم

وقوله

وما اضمت الحق اجنب فى فكيف تنسي واجبا فى شقيق

ومن خطائه قوله

يدي لمن شاء رهن لم يذق جرعا من راحتيك دري ما الصاب والعسل

لفظ هذا البيت مبني على فساد لكثرة مافيه من الحذف لانه أراد بقوله يدى لمن شاء رهن أى اسابقه وابايعه معاقدة أو مراهنة ان كان من لم يذق جرعا من راحتيك دري ما الصاب والعسل ومثل هذا لا يسوغ لانه حذف ان التى تدخل للشرط ولا يجوز حذفها لانها اذا حذفت سقط معنى الشرط وحذف من وهي الاسم الذى صلته لم يذق فاختل البيت واشكل معناه والحذف لعمرى كثير فى كلام العرب اذا كان المحذوف مما تدل عليه جملة الكلام قال الله عز وجل أولم يتفكروا فى انفسهم ماخلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمي أراد عز وجل أولم يتفكروا فيعلموا واشباه هذا كثير ومن باب الحذف والاختصار

قوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم قال أبو عبيدة العرب تختصر الكلام فعلم المخاطب بما أريد كانه أراد فيقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم وقوله عز وجل اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات يفسر ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات وفى الشعر مثل هذا موجود قال الشاعر

لو قلت مافى قومها لم تأثم يفضلها فى حسب وميسم

يريد احد يفضلها فحذف احد لان الكلام يدل عليه ذكر ذلك سيبويه وانشد فى باب الحذف

وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت وأخرى ابتغي العيش اكدح

يريد فمنها تارة اموت فان تأول متأول هذا البيت على الفاظ أخر محذوفة غير اللفظ الذي ذكرته فالاختلال بعد قائم لكثرة ماحذف منه وسقوط الدليل عليه ومن خطائه قوله

شهدت لقد اقوت معانيكم بعدى ومحت كما محت وشائع من برد

جعل الوشائع حواشي البرد أوشيئاً منها وليس الامر كذلك انما الوشائع غزل من اللحمة ملفوف يجره الناسج بين طاقات السدى عند النساجة قال ذو الرمة

به ملعب من معصفات نسجه كنسج اليماني برده بالوشائع

فاما قول كثير

ديار عفت من عزة الصيف بعد ما تجد عليهن الوشيع المنمنما

انما أراد بالوشيع هنا ماسدبه الخصاصة بين الشيئين وهذه وشائع الغزل مأخوذ من المنمنم من النمام أى بعدما كانت هذه الديار تجد بالوشيع أي يخصص جنابها ومثل أبي تمام لا يسوغ الغلط فى مثل هذا لانه حضرى وانما يسامح فى ذلك البدوى الذى يريد الشىء ولم يعانيه فيذكر غيره لقلة خبره بالاشياء التى تكون بالامصار وأما أبو تمام فليست هذه حاله بل ماجهل هذا ولكنه سامح نفسه فيه ألا ترى الى قوله في موضع آخر يصف قصيدة

الجد والهزل فى توشيع لحمتها والنبل والسخف والاشجان والطرب

فقال في توشيع لحمتها ومن خطائه قوله

وكان فى عاجل من آجل بدل لكان فى وعده من رفده بدل

ولم لا يكون فى عاجل من آجل بدل والناس كلهم على اختيار العاجل وايثاره وتقديمه على الآجل ألا ترى قول القائل الذى قد صار مثلا والنفس مولعة بحب العاجل والعاجل أبداً هو المطلوب المرغوب فيه حتى ان قليله يؤثر على كثير الآجل كما قال الآخر

أعاذل عاجل ما اشتهى أحب من الاكثر الرائث

كأنه يريد عاجل ما اشتهي مع القلة أحب الى من الاكثر المبطي فمن شأن الوجل ابداً أن يكون افضل الاعواض والابدال من كل آجل اذا كان في الخير فعاجل الخير خير من آجله كما أن عاجل الشر شر من آجله لان العاجل شيء قد وقع ان كان خيرا فقد حصل نفعه أو شراً فقد تعجل شره وآجل الخير يخشى فوته وربما وقع الاخفاق منه كما أن آجل الشر يرجي زواله وربما لم يقع فكيف لا يكون العاجل بدلاً أو خلفا من الآجل فان قال قائل ان الذى أراده أبو تمام وقاله صحيح ومذهبه فيه مستقيم لان العاجل لا يكون أبداً بدلا ولا خلفا من الاجل لان المبدل لا يكون قبل المبدل منه ولا الخلف يتقدم على ماهو خلف له لانه انما قيل له خلف لاتيانه خلف الذى هو قدامه فابو تمام انما انكر أن يكون العاجل بدلا أو خلفا من الاجل على هذه السبيل قيل هذا غلط من التأويل أو مغالطة لانه ليس على هذا الوجه منع أبو تمام من أن يكون العاجل بدلا من الاجل فيحتج بان هذا أولى بالتقديم وهذا أولى بالتأخير من طريق الترتيب وانما أراد أنه لا يقوم مقامه في الحاجة اليه فكيف يكون الاول يقوم مقام الثانى والمتقدم مقام المتأخر وكان وجه الكلام الذي يصح به المعنى ويستقيم أن يقول لو كان فى عاجل قول بدل من آجل فعل لكان في وعده من رفده بدل فان قال فهذا الذي أراد أبو تمام قيل ليس الامر كذلك لان طريقة لفظه في البيت أن يكون معناه لو كان في شيء عاجل من شيء آجل بدل وبعد فلو أراد ما ظننته وذهبت اليه وذلك ليس بمعلوم ولا فى البيت عليه دليل لم يلتفت الى ارادته لانك اذا فصلت الاضافة من عاجل قول أو آجل فعل ففرقت بين المضاف والمضاف اليه لم يدل احدهما على الاخر لان لفظة عاجل لا تدل غير مضافة على ما تدل عليه لفظة عاجل قول كما أن لفظة آجل لا تدل على آجل فعل ولا يدلان على شيء مضمر كما أن قولك زيد أول ناطق وآخر ساكت وعمرو أول خارج واخر قادم وبكر أول آخذ واخر تارك اذا فردت أول واخر لم

يدلا على شيء مما اضيف اليه الاترى ان الاصمعي انكر على ذى الرمة قوله يصف الوتر كانه فى نياط القوس حلقوم فقال حلقوم ماذا اذا كان يجب أن يقول حلقوم طائر أو حلقوم قطاة أو غيرهما مما يشبه الوتر فى الرقة والا فقد يكون الحلقوم حلقوم فيل أو حلقوم بعير وهذا من الاصمعي انكار صحيح وان كان لا يلزم ذا الرمة فيه مايلزم ابا تمام لان العرب لا تشبه الوتر الا بحلقوم الطائر وذلك قول الراجز لام ممر مثل حلقوم الوتر أخذه أبو تمام فقال لام كحلقوم القطاة تغترق وأبو تمام انما اراد هذا الممدوح يقيم وعده لصحته مقام عطيته واحب الاغراق على رسمه فاخطأ فى تمثيل مامثل بذكر العاجل والآجل لانه اطلق القول عموما فلا يدل على خصوص والجيد النادر فى هذا قول البحترى

لو قليل كفى امرأ من كثير　　　لاكتفينا بقوله من فعاله

واحسن الراعي في قوله

ضافى العطية راجية وسائله　　　سيان افلح من يعطى ومن يعد

ومن خطائه قوله

بيوم كطول الدهر في عرض مثله　　　ووجدى من هذا وهذاك اطول

فجعل للدهر وهو الزمان عرضا وذلك محض المحال وعلى انه ما كانت اليه حاجة لانه قد استوفى المعني بقوله كطول الدهر فاتى على العرض في المبالغة فان قيل فلم لا يكون سعة ومجازا قيل هذه الفاظ صنعتها صنعة الحقيقة وهى بعيدة من المجاز لان المجاز فى هذا له صورة معروفة والفاظ مألوفة معتادة لا يتجاوز في النظر بها الى ماسواها وهي قول الناس عشنا في خفض ودعة زمانا طويلا عريضا ومازلنا فى رخاء ونعمة الدهر الطويل العريض وانما ارادوا تمامه وكماله وسعته نحو قولهم ثوب طويل عريض أى تام واسع وارض طويلة عريضة أي تامة فى الطول والسعة وكذلك اذا وصفوا ماليس له طول ولا عرض على الحقيقة فانما يريدون التمام والكمال الا تري الى قول الراعى

انت ابن فدعي قريش لو تقاسمها　　　فى المجد صار اليك العرض والطول

اي لها سعة وتمام وكمال الفضائل المحاسن وكذلك قوله

اذا ابتدر الناس المكارم بزهم　　عراضة اخلاق ابن ليلي وطولها

اى بزهم منه اخلاقه وتمامها وكمالها فى التفضيل لان الاخلاق تمدح بالسعة وتذم بالضيق الاأن أكثر ماياتي فى كلامهم العرض المراد به السعة اذا جاء مفردا عن الطول نحو قولهم فلان في نعمة عريضة وله جاه عريض وكما قال الله جل وعز وجنة عرضها السموات والارض اى سعتها وكما قال الله عز وجل في موضع آخر واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وكما قال تميم بن ابى بن مقبل

يقطعن عرض الارض غير لواغب　　وكان بحريها لهن صحار

اي يقطعن سعة الارض وكما قال الاخر

سأجعل عرض الارض بيني وبينهم　　واجمل بيتى فى غني واعصر

وكما قال العجاج

اذا تعشوا بعد ارض رضا　　حسبتهم زادوا عليها عرضا

اى سعة وكثرة وكما قال تميم ايضا

حتى اذا الريح خبث بالسفا خببا عرض البلاد اشت الامر واختلفا

أي سعة البلاد فهذا اذا جري علي هذا اللفظ المستعمل حسن ولم يقبح واذا عدل به عن هذه الطريقه وهذه الالفاظ المألوفه الى مايشبه الحقائق او يقاربها كنت مخطئا لانك اذا قلت مضى لنا فى الخفض والدعة دهر طويل كان طوله كعرضه لم يجز ذلك لان هذا الترتيب كان وصفا لاشياء مجسمة كما قال الطاى * بيوم كطول الدهر في عرض مثله * فكان هذا اللفظ كانه تدرع ثوبا او تمسح ارضا او يصف بالاجتماع والتروير رجلا كما قال تميم بن أبى بن مقبل

وكل يمان طوله مثل عرضه　　فليس له أصل ولا طرفان

فان قيل فاذا جعلت للزمان العرض الذي هو سعة على المجاز لم لا تجعل له العرض الذى هو خلاف الطول على المجاز قيل له العرض الذى هو خلاف الطول حقيقة والزمان لاعرض له على الحقيقة فكيف تكون الحقيقة مجازا فان قيل فان الزمان لا يوصف بالسعة كما لا يوصف بالعرض فلم استعرت له العرض الذى هو السعة قيل العرض وأن جاء وصفا وحلية للزمان في قولهم عاش فلان فى نعمته زمنا طويلا عريضا فانما صلح لانك وصلته بالطول وقرنته به فكان المعني عاش فى زمن تم له

وكمل واتسع كما اخبرتك والزمان قد يوصف بالسعة فيقال قد اتسع لك الوقت والزمان فى مثل كذا ويقال عرض لك والعرض ههنا هو السعة ولكن أجرى هذا على حسب ما استعملوه وانما في الوقت فسحة لك وامتداد يراد به معنى الطول وقال ضرار بن الخطاب * وما لاقيت في الزمن العريض *وذكر العرض مفردا عن الطول أى الزمن الذى اتسع لك وقد يجوز ان قلت عاش فى الخير دهراً عريضا ان تريد بالعرض سعة الخير فيه لاسعته في نفسه كما قالوا ليل نائم أي ينام فيه ولمح باصر أى يبصر فيه وانما تستعار اللفظة لغير ما هى له اذا احتملت معني يصلح لذلك الشيء الذى استعيرت له ويليق به لان الكلام انما هو مبنى على الفائدة فى حقيقته ومجازه واذا لم تتعلق اللفظة بالعرض على الحقيقة وهذا محال لما كان فى بيت أبى تمام معنى لانه انما اراد ان يبالغ في طول وجده اذ كل الوجد يوصف بالطول كما يوصف به الشوق والغرام ونحوهما فيقال طال وجدى وطال شوقى وطال غرامي وكذلك الزمان انما يوصف بالطول فيقال طال ليلى وطال نهارى فما كانت حاجة الى العرض وانما فضل وجده على الدهر وعلى اليوم الذي جعله كالدهر من جهة الطول لا من جهة العرض الا تراه قال * ووجدى من هذا هذاك الطول * وقد ذكر أبو تمام العرض في بيت آخر فقال

ان الثناء يصير عرضا فى الورى ومحله فى الطول فوق الانجم

كيف جعل سير الثناء عرضا فى الورى وهو لم يحده موضعا بعينه فيحسن فيه ذكر الطول والعرض فيكون كما قال الراعي

وجرى على حرب الصوي فطردنه طرد الوسيقة فى السماوة طولا

فحسن ان يقول طولا لانه ذكر السماوة كما قال النابغة و يقال انه محمول عليه

جنبين مع المطاط يقدن حتى قطعن الحزن عرضا والرمالا

فصلح لانه ذكر انهن قطعن أرض الحزن والرمال ومثل قول أبي تمام قول المرار

فلو كانت تجوب الارض عرضا ولكن جوبهن الارض طولا

وله ولبيت أبي تمام معني غامض يصحان به وأنا أذكره مع شرح المعانى الغامضة من شعر أبي تمام ومما يشبه قول أبى تمام * بيوم كطول الدهر فى عرض مثله * أو يقارب به قول الكميت يصف عدة قوم بالكثرة * كالليل لا بل يضعفو * من عليه من باد وحاضر *

وكيف يتحصل مقدار الليل حتى يتحصل ضعفه وهذا أيضا يصح على التميز والتفتيش اذا حصل معناه وذلك ان الليل لا يغشي الارض كلها بظلمته وانما يغشي بعضها فلعل الكميت أراد انهم يأخذون من الارض ضعف ما أخذه الليل منها اذا غشيها على سبيل المبالغة كما قال الاحمر بن شجاع الكلبي

بحارا تغشى الناظرين كانها دجى الليل بل هى من دجى الليل اكثر

وقال أبو تمام

ورحب صدر لو ان الارض واسعة كوسعه لم يضق عن أهله بلد

وهذا أيضا غلط من أجل ان كل بلد يضيق باهله وليس ضيقه من جهة ضيق الارض لان الارض لو كانت عشرة أضعافها فى المقدار أو الف ضعف مثلها ما كان ذلك بموجب ان يكون الحزن والصمان او نجدا او المدينة او مكة او الكوفة او البصرة في قدر مساحة كل ناحية منها أوسع وأزيد مما هى عليه الان اذ لم يختط البصرة والكوفة من اختطهما ولا اسس مكة والمدينة من اسسهما على قدر سعة الارض وضيقها ولا صار قدر الحزن والصمان هذا القدر فى ذرعهما ومساحتهما على قدر مساحة الارض وذرعها بقسط أخذاه منها وانما ذلك على حسب الاخلاق فى كل سعة وعلى حسب ما أدى اليه الاجتهاد والاختيار ممن اسس كل بلدة ومصر كل مصر وكان ينبغي ان يقول ورحب صدر لو ان الارض واسعة كوسعه لم يسعها الفلك وضاقت عنها السماء او ان يقول لو ان سعة كل بلد كسعة صدره لم يضق عن أهله بلد وكان حينئذ يكون المعنى لائقا مستقيما والجيد الصحيح في هذا المعنى قول البحتري * مفازة صدر لم تطرق ولم يكن * ليسلكها بردا سليك المقانب أى لم يكن ليسلكه الا بدليل اسعته وأيضا فان الجزء من الارض هو ما يكون فيه من الحيوان والنبات وانما مقداره على ما يقوله أهل الهندسة الربع من الارض وأقل من الربع والمسكون من جملة ذلك لعله لا يكون جزءا من الف جزء من ذلك فما معنى جعله ضيق البلدان الضيقة انما هو من أجل ضيق الارض فان قيل لا يدل قوله الارض وهو لفظ عموم على البلدان التى هى مخصوصة ولا يكون اللفظ الا هكذا ان يريد القائل لفظة تدل على معنى فيأتي باخرى ليست فيها على ذلك المعنى دلالة

ومن خطائه قوله

وكلما امست الاخطار بينهم هلكي تبين من أمسى له خطر

لو لم تصادف شياة البهم اكثن ما   في الخيل لم تحمد الاوضاح والغرر

فالاوضاح هي البياض في الاطراف وقد يكون أيضا في البهم وكذلك أيضا الغرر قد توجد في البهم كثيرة وهذا فساد في ترتيب البيت لانه ليس اذا وجدت شياة البهم وهي صغار الغنم اكثرما في الخيل أو وجدت شياة الخيل اكثرما في البهم كان ذلك موجبا لحمد الاوضاح والغرر وانما كان يصح نظم الكلام لو لم توجد الاوضاح والغرر في البهم حتى تكون مخصوصة بالخيل فيقول لو لم تعدم الاوضاح والغرر في البهم لما حمدت في الخيل فاما ان توجد شياة البهم في الخيل كثيراً أو شياة الخيل في البهم دائما فليس هذا بموجب حمد الاوضاح والغرر في الخيل لان الاوضاح والغرر موجودة في الغنم وقال طارق بن شهاب

وراحت اصيلانا كان ضروعها   دلاء وفيها واتد القرن لبلب

له رعثات كالشنوف وغرة   شديخ ولون كالوذيلة مذهب

فذكر انه له غرة وقال آخر في وصف عنز

سوداء الا وضحا في الشوى   كانما الجوزاء في الاكرع

فذكر بياض اكرعها وذلك موضع التحجيل با. لو قال لو لم تقل الاوضاح والغرر في البهم لما حمدت في الخيل لكان اقرب الى الصواب لاني اظنها في البهم اقل وفي الخيل اكثر وليس في هذا البيت دليل على هذا ولا ذاك

ومن خطأ المدح قوله

ساحمد نصرا ما حييت وانني   لاعلم ان قد جل نصر عن الحمد

فانه رفع الممدوح عن الحمد الذي ندب الله عباده اليه بان يذكروه به وينسبوه اليه وافتتح فرقانه في أول سورة بذكره وحث عليه وللعرب في ذكر الحمد ما هو كثير في كلامها واشعارها ما فيهم من رفع احداً عن ان يحمد ولا من استقل الحمد للممدوح قال زهير بن أبي سلمى

منصرف للمجد معترف   للرزء نهاض الى الذكر

أي حيث ما رأى خلة تكسبه الحمد التمسها وطلبها وقال زهير أيضا

اليس بفياض يداه غمامة   ثمال اليتامي في السنين محمد

فقوله محمد أي يحمد كثيراً وقال الاعشى

ولكن على الحمد انفاقه　　وقد يشتريه باغلى ثمن

وقال أيضا

اليك ابيت اللعن كان كلالها　　الي الماجد الفرع الجواد محمد

فوصفه بان جعله محمداً اي يحمد كثيراً وقال الآخر

ومن يعط اثمان المحامد يحمد* فهذه هي الطريقة المعروفه في كلام العرب ولو قال الطائى لو جل أحد عن المدح لجللت عنه كان اعذر كما قال البحترى

لو جل خلق قط عن اكرومة　　تبني لجلت عن الندى والباس

أي كنت تجل لعلو شأنك عن ان يقال سخي أو شجاع اذ كان هذان الوصفان قد يوصف بهما من هو دونك وقال البحترى أيضاً

والحمد انفس ماتعوضه امرو　　رزىء التلاد ان المرزأ عوضا

فاما قول البحترى

كيف تثنى على ابن يوسف لا كيف سرى مجده فعاب الثناء

فعيبه الثناء انما معناه عظم أن يدركه و يبلغ حده الاثراه قال كيف تثنى على ابن يوسف لا كيف أى لا طريق الى كيف الثناء الذى يستحقه و يليق به ثم قال سرى مجده فعاب الثناء قطعاً من الكلام الاول* ومن خطائه قوله

ظعنوا فكان بكاى حولا بعدهم　　ثم ارعويت وذاك حكم لبيد

اجدر بجمرة لوعة اطفاؤها　　بالدمع ان تزداد طول وقود

وهذا خلاف ماعليه العرب وضد مايعرف من معانيها لان من شان الدمع ان يطفى الغليل و يبرد حرارة الحزن ويزيل شدة الوجد ويعقب الراحة وهو فى أشعارهم كثير موجود ينحي به هذا النحو من المعنى فمن ذلك قول امرء القيس

وان شفاءي عبرة مهراقة　　فهل عند رسم دارس من معول

وقول ذى الرمة

لعل انحدار الدمع يعقب راحة　　من الوجد او يشفى نجى البلابل

وقال الفرزدق

فقلت لها ان البكا لراحة — به يشتفي من ظن أن لا تلاقيا

وهو كثير في أشعارهم ماعدل به أحد منهم عن هذا المعنى وكذلك المتأخرون هذا السبيل سلكوه وأبو تمام من بينهم ركب هذا المعنى وكرره فى شعره متعبا لمذاهب الناس فمن ذلك قوله

نثرت فريد مدامع لم تنظم — والدمع يحمل بعض ثقل المغرم

وقال في موضع آخر

واقعا بالخدود والبرد منه — واقع بالقلوب والاكباد

وقال ايضا

فلعل عينك ان تجود بمائها — والدمع منه خاذل ومواسي

وقال ايضا

فلعل عبرة ساعة اذريتها — تشفيك من أرباب وجد محول

فلو كان اقتصر على هذا المعنى الذي جرت به العادة في وصف الدمع لكان المذهب المستقيم ولكنه احب الاغراب فخرج الى مالا يعرف في كلام العرب ولا مذاهب سائر الامم وقد تبعه على الخطا البحتري فقال

فعلام فيض مدامع تدق الجوي — وعذاب قلب فى اجتناب معذب

قوله تدق الجوى من قولهم لم يدق الارض منه شيء أى لم يصل وفى شعر امرء القيس مافيه مودقي اى على اثر واصله من الدنو فكانه قال تدق الجوى تدنى الجوى يقال اتان وديق أي تدنو من الفحل ومنه الوديقة الهاجرة لدنو الحر وقيل لقطر المطر ودق لانحلاله من السحاب ودنوه من الارض * ومن خطائه قوله

رضيت وهل أرضي اذا كان مسخطي — من الامر ما فيه رضي من له الامر

فمعنى هذا البيت التقرير والتقرير على ضربين تقرير للمخاطب على فعل قد مضى ووقع أو على فعل هو فى الحال ليوجب المقرر بذلك ويحققه ويقتضى من المخاطب في الجواب الاعتراف به نحو قوله هل اكرمتك هل احسبت اليك هل اودك واوثرك واقضى حاجتك وتقرير على فعل يدفعه المقرر وينبغي أن يكون قد وقع نحو قوله هل كان قط اليك شيء

كرهته هل عرفت مني غير الجميل فقوله في البيت وهل ارضى تقرير لفعل ينفيه عن نفسه وهو الرضى كما يقول القائل وهل يمكنني المقام على هذه الحال أى لا يمكنني وهل يصير الحر على الذل وهل يروي زيد ويشبع عمرو وهذه افعال معناها النفي فقوله وهل ارضى انما هو نفي للرضي فصار المعني ولست ارضي اذا كان الذى يسخطني مافيه رضي من له الامر اى رضى الله تعالى وهذا خطأ منه فاحش فان قال قائل فلم لا يكون قوله وهل ارضى تقريرا على فعل هو في الحال ليؤكده من نفسه نحو قول الشاعر

هل اكرم مثوى الضيف ان جا طارقا وابذل معروفي له دون منكري

قيل له ليس قول القائل لمن يخاطبه هل اودك هل أوثرك وقول سل عني هل اصلح للخير أو هل كتم السر أو هل اقنع بالميسور مثل قول ابي تمام رضيت وهل ارضى فان صيغة الكلام دالة على انه نفي الرضى هذا عن نفسه بادخاله الواو على هل وانما يشبه هذا قول القائل وهل اودك اذا كانت افعالك كذا وهل اصلح للخير عندك اذا كانت تعتقد غير ذلك وهل ينفع في زيد المعتاب كقول الشاعر

وهل يصلح العطار ما افسد الدهر

وقول ذي الرمه

وهل يرجع التسليم او يكشف العمى ثلاث الاثافي والرسوم البلاقع

لان الواو ههنا كأنها عطفت جوابا على قول قائل أن فلانا سيصلح و يرجع الى الجميل فقال آخر وهل يصلح العطار ما افسد الدهر وكقول الرمة

امنزلتي مي سلام عليكما هل الازمن اللآ ي مضين رواجع

لما علم أن التسليم غير نافع عاد على نفسه فقال وهل يرجع التسليم وكما قال امرؤ القيس وان شفاى عبرة مهراقة ثم قال وهل عند ربع دارس من معول وكذلك قول أبي تمام رضيت ثم قال وهل أرضى اذا كان مسخطي انما معياه ولست ارضى فكان وجه الكلام أن يقول رضيت وكيف لا ارضي اذا كان مسخطى مافيه رضي الله تعالي وكذا اراد فاخطا في اللفظ واحال المعني عن وجهته الى ضده فان قيل أن هل ههنا بمعني قد وانما اراد الطائى رضيت وقد ارضي كما قال الله تعالى هل أتى علي الانسان حين من الدهر اى قد أتى قيل هذا انما قاله قوم من أهل التفسير وتبعهم قوم من النحويين وأهل اللغة جميعا على خلاف ذلك اذ لم يات في كلا العرب وأشعارها هل قام زيد بمعنى قد قام زيد واذا

كان ذلك معدوما في كلام العرب ولغاتها فكيف يجوز أن يوخذ به أو يعول عليه وقد قال أبو اسحق الزجاج وجماعة من أهل العربية فى قوله عز وجل هل أتى على الانسان معناه المريات على سبيل التقرير وهب الامر فى هذا كما ذكروا والخلاف ساقط فيه فان بيت أبى تمام لا يحتمل من التأويل ما احتملته الاية لان هل انما شبهها من شبهها بقد اذا وليت لفظ الماضى خاصة وأبو تمام انما أوقعها على الفعل المستقبل فسقط عنها أن تضارع قد لان قد حينئذ قد تكون بمعني فان كان الرجل انما اراد بهل معني قد فلم لم يقل رضيت ارضى فيأتى بلفظة قد نفسها اذ انما يريد الخبر ولا ياتى بهل فيلتبس الخبر الذي اياه قصد بالاستفهام فان البيت كان يستقيم بهل و يغنينا عن الاحتجاج الطويل وقد استقصيت القول فى هذا البيت وما ذكره النحويون وسيبويه وغيره في معنى قد وهل ولخصته في جزء مفرد وانما فعلت ذلك لكثرة من عارضني فيه وادعي الدعاوي الباطلة في الاحتجاج لصحته * ومن خطائه قوله في البكا على الدار

دار أجل الهوى عن ان الم بها　　　فى الركب الا وعيني من منائحها

وهذا لفظ محال عن وجهه لان الا ههنا تحقيق وايجاب فكيف يجوز أن تكون عينه من منائحها اذا لم يلم بها وانما وجه الكلام دار أجل الهوي عن ان لم بها وليس عيني من منائحها وقد كنت اظن ان أبا تمام على هذا نظم الشعر أو ان غلطا وقع عليه في نقل البيت حتى رجعت الى النسخة العتيقة التى لم تقع في يد الصولي واضرابه فوجدت البيت فى غير نسخة منبتا على هذا الخطا

﴿ومن خطائه أيضا فى وصف الربع وساكنه قوله﴾

قد كنت معهودا باحسن ساكن　　　ثاو واحسن دمنة ورسوم

والربع لا يكون رسما الا اذا فارقه ساكنوه لان الرسم هو الاثر الباقي بعد سكانه والصواب قول البحتري

يامغاني الاحباب صرت رسوما　　　وغدا الدهر فيك عندى ملوما

وقال امرؤ القيس وهل عند رسم دارس من معول فقال ذلك لان الرسم يكون دارسا وغير دارس وقال

قفا نبك من ذكري حبيب وعرفان　　　ورسم عفت آياته منذ أزمان

(ومن خطائه قوله)

طَلَلَ الجميع لقد عفوت حميدا　　وكفى على رزئي بذاك شهيدا

أراد وكفى بانه مضى حميداً شاهدا على انى رزئت وكان وجه الكلام ان يقول وكفى برزئي شاهداً على ان مضى حميداً لان حمدا أمر الطلل قد مضى وليس بشاهد ولا معلوم ورزؤه بناظر من تفجعه شاهد معلوم فلان يكون الحاضر شاهداً على الغائب أولى من ان يكون الغائب شاهدا على الحاضر فان قيل انما أراد ان يستشهد على عظيم رزئه عند من لم يعلمه قيل فمن لا يعلم قدر مرزئته التى بعضها ظاهر عليه كيف يعلم ما مضي من حميد أمر الطلل حتى يكون ذلك شاهدا على هذا فان قال هذا انما جاء به على القلب قيل له المتأخر لا يرخص له فى القلب لان القلب انما جاء فى كلام العرب على السهو والمتأخر انما يحتذى على امثالهم ويقتدى بهم وليس ينبغي له ان يتبعهم فيما سهوا فيه فان قيل فقد جاء القلب فى القران ولا يجوز أن يكون ذلك على سبيل السهو والضرورة لان كلام الله عز وجل يتعالى عن ذلك وهو قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة وانما العصبة تنوء بالمفاتيح أي تنهض بنقلها وقال عز وجل ثم دنا فتدلى وانما هو تدلى فدنا وقال وأنه لحب الخير لشديد أى وان حبه للخير لشديد ولهذا أشياء كثيرة فى القرآن قيل هذا ليس بقلب وانما هو صحيح مستقيم انما أراد الله تعالى اسمه ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أي تميلها من ثقلها ذكر ذلك القرآن وغيره وقالوا انا المعني لتنىء العصبة وقوله أنه لحب الخير لشديد قيل المعنى أنه لحب المال لشديد والشدة البخل يقال رجل شديد أى بخيل يريد أنه لحب المال لبخيل متشدد يريد أنه لحب المال أى لاجل حبه المال يبخل وقالوا في قوله عز وجل ثم دنا فتدلى انما كان تدليه عند دنوه واقترابه وكما قال أبو النجم قبل دنو الافق من جوزائه والجوزاء اذا دنت من الافق فقد دنا الافق منها وليس هذا من القلب المستكره ومثله فى الشعر كثير قال الشاعر

ومهمه مغبرة ارجاؤه　　كان لون ارضه سماؤه

قوله كان لون أرضه أى كان لون سمائه من غبرتها لون أرضه وليس الامر في ذلك بواجب لان ارضه وسماءه مضافان جميعا الى الهاء وهى كناية عن المهمه فامهما يشبه بصاحبه كانا فيه سواء انما تغبر آفاق السماء من الجدب واحتباس القطر قال الحطيئة * فلما خشيت الهون والعير ممسك * على رغمه ما امسك الحبل حافره * قال وكان الوجه ان يقول ما امسك الحافر حبله وكلاهما متقاربان لان الحبل اذا أمسك الحافر فان الحافر أيضا قد شغل

الجبل فهذا كله سائغ حسن ولكن القلب القبيح لا يجوز في الشعر ولا في القرآن وهو ماجاء في كلامهم على سبيل الغلط نحو قول خداش ابن زهير

وتركب خيلا لا هوادة بينها ... وتعصي الرماح بالضياطرة الحمر

وانما الضياطرة هي التي تعصي بالرماح وكقول الآخر

كانت فريضة ماتقول كما ... كان الزناء فريضة الرجم

وانما الرجم فريضة الزناء وكقول الفرزدق يصف ذئباً

واطلس عسال وما كان صاحبا ... رفعت لناري موهنا فاتاني

وانما أراد رفعها للذئب وانشده المبرد وقال القلب جائز للاختصار اذا لم يدخل الكلام ليس كانه يجيز ذلك للمتقدمين دون المتأخرين وما علمت احداً قال للاختصار غيره فلو قال لاصلاح الوزن أو للضرورة كما قال غيره كان ذلك أشبه ويجوز أن يكون الفرزدق في البيت سها أو اضطر لاصلاح الوزن وأبو تمام وغيره من المتأخرين لا يسوغون مثل هذا لانه القلب المستكره فان قيل انه لم يرد القلب وانما أراد وكفى على رزئي بجمود امر الطلل شهيدا قيل وأي شيء استشهد واين شهيده (ومن خطائه قوله في باب الفراق)

دعا شوقه ياناصر الشوق دعوة ... فلباه طل الدمع يجري ووابله

أراد ان الشوق دعا ناصرا ينصره فلباه الدمع بمعنى أنه يخفف لاعج الشوق ويطفى حرارته وهذا انما هو نصرة للمشتاق على الشوق والدمع انما هو حرب للشوق لانه يثلمه ويتخونه ويكسر منه حده كما قال البحترى

وبكاء الديار مما يرد الشوق ذكرا والحب نضوا ضئيلا

قوله يرد الشوق ذكرا أى يخففه ويثلمه حتى يصير ذكرا لا يقلق ولا يزعج كاقلاق الشوق وقوله والحب نضوا أى يصغره ويمحقه كما قال جرير

فلما التقى الحيان القيت العصي ... ومات الهوى لما اصيبت مقاتله

فلو كان الدمع ناصرا للشوق لكان يقويه ويزيد فيه ألا ترى انك تقول قد ذبحني الشوق اليك فالشوق عدو المشتاق وحربه والدمع سلم لتخفيفه عنه وهو حرب للشوق وليس بهذا الخطا خفاء وقد تبعه البحترى في هذا الخطا فقال ينعى الديار التى وقف عليها

نصرت لها الشوق اللجوج بادمع تلاحقن في اعقـاب وصل تصرما

(ومن خطائه في معنى الشوق قوله)

يكفيك شوق قد يطيل ظماءه فاذا سقاه سقاه سم الاسود

فقوله شوق يطيل ظماءه غلط لان الشوق هو الظما نفسه ألا ترى انك تقول أنا عطشان الى رؤيتك وظمآن ومشتاق بمعنى واحد فكيف يكون الشوق هو المطيل للظما وكيف يكون هو الساقي والمحبوب هو الذى يظمىء ويسقى أو البعد أو الهجر لا الشوق فكيف يكون الشوق يطيل شوقه (ومن خطائه قوله)

أمر التجلد بالتلدد حرقـة امرت جمود دموعه بسجوم

جعل الحرقة آمرة التجلد بالتلدد والحرقة التى يكون معناها التلدد تسقط التجلد البتة وتذهب به فاما أن يجعله متلددا فان هذا من احق المعاني وأولاها بالاستحالة وأيضاً فاى لفظ اسخف من أن يجعل الحرقة آمرة وانما العادة في مثل هذا أن تكون باعثة أو جالبة أو نحو هذا واما الامر فليس هذا موضعه ولو قال بعثت أو جلبت لكان له وجه (ومن خطائه قوله)

من حرقة اطلقتها فرقة أسرت قلبا ومن عذل في نحره غزل

قوله اطلقتها فرقة أى نورتها واظهرتها وانما قال اطلقتها من اجل قوله اسرت ليطابق بين الاطلاق والاسر وقوله اسرت قلبا يعني الفرقة وهو معنى رديء لان القلب انما يأسره ويملكه شدة الحب لا الفراق فان لم يكن ماسورا قبل الفراق فما كان هناك حب فلم حضر للتوديع وما كان وجه البكاء والاستهلاك والوجل الذي ذكره قبل البيت والقصة الفظيعة التي وصف الحال فيها عند مفارقتهم وما علم أن الفراق لوعة صعبة عند وروده ومفاجأته فلا يسمي ذلك اسرا ولا علاقة وانما يسمي محنة نظرعلى اسير الحب وربما قتلته كما يقتل الاسير والفراق انما له لوعة ثم تبرد ناره وتخمد وفتاوقتا حتى يدرس الحب فالفراق يفك اسر الحب وينسى الخليل خليله اذا امتد به زمان ألا ترى الى قول زهير الكلبي

اذا ما شئت أن تسلى حبيبا فاكثر دونه عد الليالي

فما انسى خليلك مثل نأى وما أبلى جديدك بابتذال

وقول الآخر

ينسى الحبيبين طول النأى بينهما ويلتقى طرق شتى فيأتلف

هذا هو المعنى الصحيح المعروف وان كان قد تقدم أبا تمام في هذا المعنى من تبعه وحذا على حذوه والردى لا يؤتم به ولعله سمع معنى سائغا حسنا فافسده لسوء عبارته وكثيرا ما يفعل هذا وكان ينبغي أن يقول من حرقة بعثتها فرقة أو اظهرتها فرقة جرحت قلبا حتى يكون اسير الهوي قتيل الفراق فان قيل فلم لا يكون اسرت قلبه الحرقة للفراق قيل لا يكون ذلك لان الاسر اذا قبح أن يكون فعلا للفرقة قبح أيضاً أن يكون فعلا للحرقة لان الفرقة هى التي جلبت الحرقة فشأنها كشأنها (ومن خطائه قوله)

ما لامرء خاض في بحر الهوي عمر   الا وللبين فيه السهل والجلد

وهذا عندى خطا ان كان أراد بالعمر مدة الحياة لانه اسم واحد للمدة باسرها فهو لا يتبعض فيقال لكل جزء منه عمر كما لا يقال مالزيد رأس الا وفيه شجة أو ضربة وما له لسان الا وهو ذرب أو فصيح وكذلك لا يقال ماله عمر الا وهو قصير وانما يسوغ هذا فيما فوق الواحد مثل ان تقول ما له ضلع الا مكسورة وما له يد الا وفيها اثر ولا رجل الا وفيها حنف وليس قولهم ماله عيش الا متنغص ولا حيوة الا كدرة مثل قولك ما له عمر الا قصير ولو قلته لان عيش الانسان ليس له مدة حياته باسرها لانك قد تقول كان عيشي بالعراق طيبا وكانت حياتى بمكة لذيذة وكان عيشي بالحجاز أطيب من عيشي باليمن ولا تقول كان عمرى لان العمر هو المدة باسرها والعيش والحياة ليسا كذالك لانهما يتبعضان فان قيل فانت تقول مالزيد راس حسن ولا أنف أشم ولا لسان ذرب قيل يصلح هذا من أجل النفى لانك انما تريد ليس له رأس من الرؤوس الحسنة ولا لسان من الالسن الذربة واذا دخلت الا ههنا فقد جعلت المنفى موجبا وحقيقة واذا قلت ليس لزيد راس الا حسن فقد أوجبت له عدة رؤوس و هذا خطا وكذلك سبيل العمر وان كان أراد بالعمر منزله الذى يوطنه و يعمره فذلك هو المعمر وما علمت ان أحدا سماء عمرا الا ان يكون دير النصاري فانهم يسمونه عمرا وما كان يمنعه لن يقول وطن مكان عمر لان لفظهما ومعناهما واحد وقد يكون للانسان عدة أوطان توطنها وقد ذكر العمر في موضع آخر من شعره وهو يريد مدة الحيوة فقال .

اذا مارق بالغدر جاور عمره   فذاك حري ان تئم حلائله

أراد انه ان جاوز عمره أي قاربه بالغدر فقد عرضه للزوال والنفاد وهذا من عويص الفاظه وما أراد بالبيت الاول الا مدة الحيوة لان ماقبل البيت وما بعده عليه يدل وقال فى على ابن الجهم

هي فرقة من صاحب لك ماجد ... فغدا اذابة كل دمع جامد

فافزع الى ذخر الشؤون وغربه ... فالدمع يذهب بعض جهد الجاهد

واذا فقدت اخا فلم تفقد له ... دمعا ولا صبرا فلست بفاقد

قوله يذهب بعض جهد الجاهد أى بعض جهد الحزن الجاهد أي الحزن الذى جهدك فهو الجاهد لك ولو كان استقام له بعض جهد المجهود لكان أحسن وأليق وهذا أغرب وأظرف وقد جاء أيضا فاعل بمعني مفعول قالوا عيشة راضية بمعني مرضية ولمح باصر وانما هو مبصر فيه واشباه هذا كثيرة معروفة ولكن ليس في كل حال يقال وانما ينبغي ان ينتهي فى اللغة الى حيث انتهوا ولا يتعدي الى غيره فان اللغة لا يقاس عليها وقوله فلم تفقد له دمعاً ولا صبراً من أفحش الخطا لان الصابر لا يكون باكياً والباكي لا يكون صابرا فقد نسق بلفظة على لفظة وهما نعتان متضادان ولا يجوزان يكونا مجتمعين ومعناه انك اذا فقدت أخا فادام البكا عليك فلست بفاقد وده ولا اخوته وهو محصل لك غير مفقود وان كان غائباً عنك والى هذا ذهب الا انه أفسده بذكر الصبر مع البكاء وذلك خطا ظاهر ولو كان قال فلم تفقد له دمعاً ولا جزعا أو دمعاً ولا شوقا ولا قلقا لكان المعنى مستقيما وظننته قال غير هذا وان غلطا وقع فى كتابة البيت عند النقل حتى رجعت الى أصل أبي سعيد السكرى وغيره من الاصول القديمة فلم أجد الا دمعاً ولا صبراً وذلك غفلة منه عجيبة وقد لاح لى معني أظنه والله أعلم اليه قصد وهو ان يكون أراد اذا فقدت أخا فلم تفقد له دمعا أى يواصل البكا عليك فلست بفاقده على ماذكره أي فقد حصل لك وصار ذخراً من ذخائرك وان غاب عنك وغبت عنه وان لم تفقد له صبراً أى وان صبر عنك فلست بفاقد لانه ان صبر وسلاك فليس ذاك باخ يعول عليه فلست أيضا بفاقده لانك لا تعتد به موجوداً ولا مفقوداً ولكن ذهب على أبي تمام ان هذا غير جائز لانه وصف رجلا واحداً بالوصفين جميعا وهما متضادان ولو كان جعلهما وصفين لرجلين فقال

واذا فقدت اخا لفقدك باكيا ... او صابرا جلدا فلست بفاقد

أي لست بفاقد هذا لانه محصل لك أو لست بفاقد هذا لانه غير ناس مودتك لكان المعني سائغاً حسناً واضحاً أو لو جعله شخصاً واحداً وجعل له أحد الوصفين فقال

واذا فقدت اخا فاسبل دمعه ... او ظل مصطبرا فلست بفاقد

لكان أيضاً سائغاً على هذا المذهب أو كان استوى له فى ذاك اللفظ بعينه ان يقول

فلم تفقد له دمعا ولا صبرا حتى لا يجعل له الا أحدهما لساغ ذلك لكنه نسق بالصبر على الدمع فجعلهما جميعاً له فأفسد المعنى فهذا وأشباهه الذي قاله الشيوخ فيه انه يريد البديع فيخرج الى المحال وقال أبو تمام

لما استحر الوداع المحض وانصرمت اواخر السير الا كاظما وجما

رأيت أحسن مرئي وأقبحه مستجمعين لى التوديع والعنما

العنم شجر له أغصان لطيفة غضة كأنها بنان جارية الواحدة عنمة كأنه استحسن أصبعها واستقبح اشارتها اليه بالوداع وهذا خطأ في المعنى أتراه ما سمع قول جرير.

أتنسى اذ تودعنا سليمى. بفرع بشامة سقي البشام. فدعا للبشام بالسقيا لانها ودعته به فسر بتوديعها وأبو تمام استحسن اصبعها واستقبح أشارتها ولعمرى ان منظر الفراق منظر قبيح ولكن اشارة المحبوبة بالوداع لا يستقبحه الا اجهل الناس بالحب وأقلهم معرفة بالغزل وأغلظهم طبعا وأبعدهم فهما وقال

فلويت بالمعروف اعناق الورى وحطمت بالانجاز ظهر الموعد

حطم ظهر الوعد بالانجاز استعارة قبيحة جدا والمعنى أيضا فى غاية الرداءة لان انجاز الموعد هو تصحيحه وتحقيقه وبذلك أجرت العادة أن يقال قد صح وعد فلان وتحقق ما قال وذلك اذا انجز فجعل أبو تمام فى موضع صحة الوعد حطم ظهره وهذا انما يكون اذا اخلف الوعد وكذب الا تراهم يقولون قد مرض فلان وعده وعلاه ووعد وعدا مريضا واذا أخلف وعده فقد اماته فالاخلاف هو الذى يحطم ظهر الموعد لا الانجاز ولا خفا بفساد ما ذهب اليه وكان ينبغي أن يقول وحطمت بالانجاز ظهر المال لا الموعد وحينئذ فالموعد كان يصح ويسلم ويتلف المال وقال

اذا وعد انهلت يداه فاهدتا لك النجح محمولا على كاهل الوعد

وكاهل الوعد اذا حمل النجح من سبيله ان يكون صحيحا مسلما الا أن يكون محطوما كما قال فى البيت الاول فهذه استعارة صحيحة على هذا البيت وان كان كاهل الوعد قبيحا ومثل هذا البيت الاول فى الفساد أو قريب منه قوله

اذا ما رحى دارت أدرت سماحة رحى كل انجاز على كل موعد

وهذا اتلاف الموعد وابطاله لانه جعله مطحونا بالرحى وانما ذهب الى ان الانجاز اذا وقع بطل الوعد وليس الامر كذلك لان الموعد ليس بضد للانجاز فاذا صح هذا بطل ذلك بل الوعد الصادق طرف من الانجاز وسبب من اسبابه فاذا وقع الانجاز فهو تمام الوعد وتصحيح

له وتحقيق وتصديق فهو فى هذه الاستعارة غالط والمعنى الصحيح قوله

ابليهم ريثا وكنا لسائل   وانضرهم وعدا اذا صوح الوعد

فتصويح الوعد هو ان يخلفه الواعد فيبطل ولا يصح لانه من صوح النبت اذا جف ومثله فى الصحة قوله * تزكو مواعده اذا وعدامرء * انساك احلام السكرى الاضغاثا * فهذا هو المعنى الصحيح أن يكون الوعد يزكو لا ان يبطل ويذهب ولله در أبي اسحاق ابراهيم ابن هرمة اذ يقول * يسبق بالفعل ظن سائله * ويقتل الريث عنده العجل * فهذه الاستعارة الصحيحة ان يقتل العجل الابطاء لا ان يقتل الانجاز الوعد اما قوله تؤم أبا الحسين وكان قدما * فتى أعمار موعده قصار . وقول البحترى . وجعلت فعالك تلو قولك ناصرا . عمر العدو به وعمر الموعد . فان عمر الموعد مدة وقته فاذا انجز صار مالا فنفاد وقته ليس بمبطل له بل ذلك نقله من حال الى حال اخري الا ترى الى البحترى كيف كشف عن هذا المعني وجاء بالامر من فصه فقال . يوليك صدر اليوم مافيه الغنى . بمواهب قد كن أمس مواعدا . فبطلان الموعد وبطلان الشيء الذى الموعد واقع به وصحته هو صحة ذلك الشيء ثم اتبع البحتري هذا البيت بان قال

شيم السحائب ما بدان بوارقا   فى عارض الا انثنين رواعدا

فجعل البوارق مثالا للمواعيد وجعل الرواعد هي البوارق على الحقيقة وحالهما واحدة مثالا للغيث الذى هو العطايا فالرواعد ليست بمبطلة للبوارق بل هي هي لان تلك نور يحدثه ازدحام السحاب والرعد صوت ذلك الازدحام فالبرق يرى أولا والرعد يسمع آخرا وهو هو وذلك أن العين اسبق الى الابصار من الاذن للاستماع لان العين ترى الشيء في موضعه والاذن لا تسمع الصوت الا اذا وصل اليها فشبهها بالمواعد التى تجر المواهب وهذا أحسن ما يكون من التمثيل واصحه وانما اقام الرواعد مقام المواهب لانه قد يكون برق ومطر فيه ولا يكاد يكون رعد الا ومعه مطر ثم ان التشبيه صح بان صار الرعد بعد البرق وما احسن ما قال مخلف بن خليفة الاقطع . مواعدهم فعل اذا ما تكلموا . فتلك التى ان سميت وجب الفعل . يعنى قول نعم فجعل الوعد هو الفعل نفسه لصحته وصدقه وقد مثل البحترى ايضا الموعد وكيف تحول عطاء تمثيلا آخر حسنا فقال

وشكرت منك مواهبا مشكورة   لو سرن فى فلك لكن نجوما

ومواعدا لو ان شيئا ظاهرا   تفضي اليه العين كن غيوما

وذلك لان الغيم يصير مطرا كما أن الموعد يصير عطاء وابو تمام فيما يذهب اليه غالط لانه وضع الاستعارات في غير موضعها (ومن خطائه قوله)

فلو ذهبت سنات الدهر عنه ... والقى عن مناكبه الدثار

لعدل قسمة الارزاق فينا ... ولكن دهرنا هذا حمار

قوله والقى عن مناكبه الدثار لفظ ردي وليس من المعنى الذي قصده في شيء وصدر البيت لائق بالمعنى فلو كان أتبعه بما يكون مثله في معناه بان يقول فلو ذهبت سنات الدهر عنه لاستيقظ من رقدته وانتبه من نومته وانكشف الغطاء عن وجهه لكان المعني معنى مستقيما لان من كان في سنة أو نوم أو مغطي على وجهه أو عينيه فانه لا يبصر الرشد ولا يكاد يهتدى لصواب وانما هذه كلها استعارات والمراد بها هداية القلب وابصاره وفهمه وقد جرت العادة باستعارتها في هذا المعنى فاما دثار المناكب فليس من هذا الباب في شيء اذ قد يبصر الانسان رشده ويهتدى لصواب امره وعلى مناكبه دثار وعلى ظهره أيضا حمل ولا يكون ذلك مع النوم والرقاد والغطا على العين لانه انما يراد نوم القلب والتغطيه عليه لان الانسان انما يقال له قد عمى قلبك وقد عميت عن الصواب عينك وقد غطي على فهمك ولا يقال قد غطيت بالدثار عن الصواب مناكبه ولا ظهرك ولفظة الدثار ايضا انما تستعمل لمنع الهواء والبرد لا لمنع الفهم والرشد ومن خطائه قوله

وارى الامور المشكلات تمزقت ... ظلماتها عن رأيك المتوقد

عن مثل نصل السيف الا أنه ... مذ سل أو سلة لم يغمد

فبسطت ازهرها بوجه ازهر ... وقبضت اربدها بوجه أربد

فقال الامور المشكلات وجعل لها ظلمات فكيف يقول فبسطت ازهرها والزهر هي النيرات والمشكلات لا يكون شيء منها نيراً وكانه يريد أن الامور المشكلة منها جيد قد اشكل الطريق اليه ومنها ردي قد جهلت ايضاحاله فهي كلها مظلمة فيمزق ظلماتها برايه ويكشف عن الجيد منها ويبسطه اى يستعمله ويكشف عن رديها ويقبضه اى يكفه ويطرحه ولكن ما كان ينبغي له أن يقول بوجه ازهر وبوجه اربد لانه لا صنع ههنا للوجه ولا تأثير لان الصنع انما هو للرأى وللعقل فاذا رأى ذو الرأى امرا استبان منه الاشياء المظلمة وانفتحت المغلقة أو رأى أن يغلق امرا مفتوحا اذ كان الصواب موجبا ذلك عنده فالرأى على الاحوال كلها ازهر مسفر والوجه على الاحوال كلها ابيض وليس

يريد ابيض في لونه والعاجز اذا ورد عليه الامر يبهظه تبينت الكآبة في وجهه ولله در منصور النمري حيث يقول

ترى ساكن الاوصال باسط وجهه   يريك الهوينا والامور تطير

فقال ساكن الاوصال باسط وجهه فدل على قلة اكتراثه بالامور التي ترد عليه وقول ابي تمام بوجه اربد لا معنى له لانه من صفات الغضبان أو المكتئب من امر ورد عليه وهو عندي في ذلك غالط وفي ذلك مسيء * ومن خطائه قوله

كالارحبي المذكي سيره المرطى   والوخد والملع والتقريب والخبب

فالارحبي من الابل منسوب الى ارحب حي من همدان تنسب اليهم النجائب والمذكي الذي قد انتهى في سنه وقوته والمرطى من عدو الخيل فوق التقريب ودون الاهذاب والوخد الاهتزاز في السير مثل وخد النعام والملع من سير الابل السريع والتقريب من أعدو الخيل معروف والخبب دونه وليس التقريب من عدو الابل وهو في هذا الوصف مخطىء وقد يكون التقريب لاجناس من الحيوان ولا يكون للابل وانا ما راينا بعيرا قط يقرب تقريب الفرس والمرطي ايضا من عدو الخيل لم اره في اوصاف الابل ولا سيرها * ومن خطائه قوله

ومشهد بين حكم الذل منقطع   صاليه او بحبال الموت متصل

جليت والموت مبد حر صفحته   وقد تفرعن في أفعاله الاجل

وقوله بين حكم الذل لو كان حكم الذل اشياء متفرقة لصحت فيها بين غير أن حكم الذل والذل بمنزلة واحده وكذلك حكم العز والعز فكما لا يقا بين العز فكذلك لا يقال بين حكم العز حتى يقال وكذا لان بين انما هي وسط بين شيئين فان قال ان حكم الذل مشتمل على مشهد الحرب ومن يصلاها فكانه ذهب بقوله بين الى معنى وسط أي ومشهد وسط حكم الذل قيل وسط لا يحل محل بين وبين لا يحل محل وسط لانك تقول البير وسط الدار ولا تقول البير بين الدار وتقول المال بيننا نصفين ولا تقول المال وسطنا والمعنى الذي بنى ابو تمام البيت عليه سياقة لفظه أن يقول ومشهد بين حكم الذل وحكم العز اي ومشهد بين الذل والعز محجم من يصلاه وهو الذليل أو مقدم وهو العزيز جليته وكشفته يعني الممدوح فحذف احد القسمين الذي لا يصلح بين الا به مع القسم الاخر وجعل قوله منقطع في موضع محجم ومتصل مقدم وليس هذا من مواضع متصل ولا منقطع وقد اغراه الله

بوضع الالفاظ في غير مواضعها من أجل الطباق والتجنيس اللذين بهما فسد شعره وشعر كل من اقتدى به وقوله رقد تفرعن في افعاله الاجل معنى في غاية الركاكة والسخافة وهو من الفاظ العامه ومازال الناس يعيبونه به ويقولون اشتق للاجل الذي هو مطل على كل النفوس فعلا من اسم فرعون وقد أتي الاجل على نفس فرعون وعلى نفس كل فرعون كان في الدنيا ومن خطائه قوله

سعي فاستنزل الشرف اقتسارا ولولا السعي لم تكن المساعي

قوله سعين فاستنزل الشرف اقتسارا ليس بالمعني الجيد بل هو عندى هجاء مصرح لانه اذا استنزل الشرف فقد صار غير شريف وذلك أنك اذا ذممت رجلا شريفا شريف الاباء كان ابلغ ما تذمه به ان تقول قد حططت شرفك ووضعت من شرفك وقد وكده بقوله اقتسارا وقوله ولولا السعي لم تكن المساعي فبئس السعي والله سعى لان الشرف لا يحط الا بألام ما يكون من الافعال وكانه انما اراد سعي لحوى الشرف نفسه فافسد المعني بذكر استنزاله اياه كانه لو لم يستنزله ما كان يكون حاويا له فهلا قال ترقي الى الشرف الاعلى لحواه او بلغ النجم او علا على الشمس كما قال الآخر

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بسؤددهم او مجدهم قعدوا

ومن خطائه قوله

يقظ وهو أكثر الناس أغضا ء على نايل له مسروق

قوله على نايل له مسروق خطا لان نايله هو ما ينيله كيف يكون مسروقا منه وهل يكون الهجو الا هكذا ان يجعل نائله مأخوذا منه على طريق السرقة وانما اعتمد المطابقة لما وصفه بالتيقظ جعله ممن يسرق منه اذ كان من شان المتيقظ ان لا يفعل حتى يستتم عليه السرق وقد كان يصح هذا المعني لو قال علي مال له مسروق حتى يكون يعطي ماله اختيارا بجوده ويغضى اذا سرق منه لكرمه ومن خطائه قوله

لو يعلم العافون كم لك فى الندى من لذة وقريحة لم تحمد

وروي فى لذة أو من فرجة أى من لذة وافتراج اي ابتداع واستخراج وهذا عندى غلط لان هـذا الوصف الذي وصفه داعية ان يتناهي الحامد له فى الحمد ويجتهد فى الثنا بان يدع حمده وانما ذهب الى ان الانسان انما يحمد على الشيء الذى يتكلفه ويتجشمه ويتحمل المشقه فيه لا على الشيء الذى له بواعث شهوة من نفسه وشدة صبابة

اليه ومحبة لفعله ومن كان غرامه بالجود هذا الغرام فعلي ذلك يجب ان يحمد ويمدح
فاما قول البحترى

ولقد ابدت المجد حتي لو بنت   كفاك مجدا ثانيا لم تحمد

فذهب صحيح يريد أنك قد افنيت الاوصاف والمحامد فان جئت بنوع من
مكارم تبني به مجدا آخر لم يقدر من يحمدك ويثني عليك على أكثر ما تقدم ومن
خطائه قوله

تناول الفوت أيدى الموت قادرة   اذا تناول سيفا منهم بطل

قوله تناولت الفوت ايدى الموت عويص من عويصاته وهذا أيضا محال وانما سمع
قول سعد بن مالك

هيهات حال الموت دون الفوت وانتضى السلاح

والفوت هو النجاة اى حال الموت دون النجاة وهذا صحيح مستقيم فقال هو تناول
الفوت ايدى الموت وهذا محال لان النجاة لا تتناولها يد الموت ولا تصل اليها والا لم تكن
نجاة وهذا من تعقده الذى يخرجه الى الخطا وانما قصد الى ازدواج الكلام فى الفوت
والموت ولم يتامل المعني والوجه الصحيح قول البحترى

تتداني الآجال ضربا وطعنا   حين يدنو فيشهد الهيجاء

ومن خطائه قوله

واكتست ضمر الجياد المذاكي   من لباس الهيجا دما وحميما

فهي بكر تلوكها الحرب فيه   وهى مقورة تلوك الشكيما

فهذا معنى قبيح جدا ان جعل الحرب تلوك الخيل من أجل قوله تلوك الشكيما
وتلوك الشكيما ايضا ههنا خطأ لان الخيل لا تلوك الشكيم في المكر وحومة الحرب وانما
تفعل ذلك واقفة لا مكر لها فان قيل انما أراد أن الحرب تلوكها كما تلوك هى الشكيم قيل
هذا تشبيه وليس فى لفظ البيت عليه دليل والفاظ التشبيه معروفة وانما طرح أبا تمام فى
هذا قلة خبره بامر الخيل الا ترى الى قول النابغة

خيل صيام وخيل غير صائمة   تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

والصيام ههنا القيام أى خيل واقفة مستغني عنها لكثرة خيلهم فهي واقفة وخيل

تحت العجاج في الحرب وخيل تعلك اللجما قد اسرجت والجمت واعدت للحرب والشاعر الحصيني كان احذق من أبي تمام واعلم بامر الخيل قال

واذ احتبى قربوسه بعنانه علك الشكيم الي انصراف الزائر

والافنى رأى فرسا يجرى وهو يلوك شيكمه فاما قول انس ابن الريان

اقود الجياد الي عامر عوالك لجم تمج الدماء

فان القود قد يكون فى خلاله تلبث و توقف تلوك فيه الخيل لجمها والمكر لا يستقيم ذلك فيه فاما قول ابى حزانة التميمي

خاض الردي فى العدى قدما عنصله والخيل تعلك ثن الموت باللجم

فانما جعل ثن الموت مثلا والثن حطام النبات اليابس ولم يرد أن الخيل تعلك اللجم على الحقيقة ومن خطائه قوله

والحرب تركب رأسها فى مشهد عدل السفيه به بالف حليم

في ساعة لو أن لقمانا بها وهو الحكيم لكان غير حكيم

جثمت طيور الموت فى أوكارها فتركن طير العقل غير جثوم

فالبيتان الاولان جيدان وقوله جثمت طيور الموت فى أوكارها بيت ردىء في القسمة ردى في المعنى لانه جعل طير الموت في أوكارها جاثمة أى ساكنة لا ينفرها شيء وطير العقل غير جثوم يعنى انها نفرت فطارت يريد طيران عقولهم من شدة الروع وما كان ينبغي أن يجعل طير الموت جثوما فى أوكارها وانما كان الوجه ان يجعلها جاثمة على رؤوسهم أو واقعة عليهم فاما أن تكون جاثمة فى أوكارها فانها فى السلم أو فى الامن جاثمة فى أوكارها ايضا وطير العقل ليست بضد لطير الموت وانما هى ضد لطير الجهل وطير الحيوة هي الضد لطير الموت ولو كان قال

جثمت طيور الموت فوق رؤوسهم فتركن أطيار الحيوة تحوم

لكان أشبه واليق أو لو قال

سقطت طيور الموت فوق رؤوسهم فتركن أطيار العقول تحوم

لكان أيضا قريبا من الصواب لانهم يقولون طار عقله من الروع فاذا ثاب اليه عقله وسكن قيل قد أفرخ روعه وهذا مثل وذلك أن الطائر اذا افرخ لزم عشه وفراخه وقد يجوز

ان يكون فرخ روعه أي ذهب لان الطائر اذا أفرخ فطارت فراخه انتقل عن ذلك العش وقولهم جثم الطائر انما هو أن يلصق جثمانه بالارض يذهب الى أن طيور الموت ساكنة وطيور العقل منزعجة طائرة وقولهم غير جثوم لا ينوب مناب طائرة ولا منزعجة لان الطائر قد يكون جاثما وقد يكون قائما على رجليه ساكنا مطمئنا وهذه حاله في اكثر أوقاته فقد حمل المعنى على لفظ لا يليق به ولا يودي التادية الصحيحة عنه

ومن خطائه قوله في وصف الفرس

مامقرب يختال في اشطانه ملآن من صلف به وتلهوف

قوله ملآن من صلف يريد النية والكبر وهذا مذهب العامة في هذه اللفظة فاما العرب فانها لا تستعملها على هذا المعني وانما تقول قد صلفت المرأة عند زوجها اذا لم تحظ عنده وصلف الرجل كذلك اذا كانت زوجته تكرهه وقال جرير

اني أواصل من أردت وصاله بحبال لا صلف ولا لوام

والصلف الذي لا خير عنده ومثل يضرب رب صلف تحت الراعدة يعنون الرعد بغير مطر فهذا معني الصلف في كلامهم وعلى هذا قد ذم ابو تمام الفرس من حيث أراد أن يمدحه والتلهوف هو لطف المدارة والحيلة بالقول وغيره حتى يبلغ الحاجة ومنه قول الاغلب العجلي يصف مدارة رجل له امرأة حتى نال منها

فلم يزل بالحلف النجي لها وبالتلهوف الخفي

ان قد جاونا بفضاء في وغاب كل نفس محنى

وقد ذكر ابو عبيدة القاسم في الغريب المصنف في أول نوادر الاسماء التلهوف وقال وهو مثل التملق وما أرى ابا تمام في وضعه هاتين اللفظتين الا غالطا

وقال ابو تمام

عطفوا الخدور على البدور ووكلوا ظلم الستور بنور حور خرد

وثنوا على وشي الخدود صيانة وشي البرود بمسجف وممهد

البيت الاول حسن حلو وأخذ قوله وثنوا على وشي الخدود صيانة وشي البرود من قول الكميت

وأرخين البرود على خدود يزين الفراعم بالاسيل

وقوله بمسجف وممهد فالمسجف يريد ستر باب الحجلة وكل باب مشقوق فكل ستر منهما

سجف وكذلك سجف الخباء والمسجف المرخي والتسجيف ارخاء السجفين وقوله بمسجف أي من مسجف وممهد فجعل الباء في موضع من كما قال عنتره

شربت بماء الدحرضين فاصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم

أي من ماء الدحرضين والممهد الوطاء الذي يوطأ تحت المرأة فكيف يكون ذلك مشرفا على السجف الذي ذكر انهم ثنوه على وشي الخدود والممهد ليس هذه حاله فيعطفه عليه فان قيل كيف لا يكون محمولا على قول الشاعر

ورأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا

والرمح لا يتقلد وقول الاخر وزججن الحواجب والعيونا والعيون لا تزجج وانما أراد ذلك متقلدا سيفا وحاملا رمحا وأراد هذا وزججن الحواجب وكحلن العيونا قيل متقلد السيف هو حامله أيضا فحسن ان يعطف على السيف لانهما جميعاً محمولان وكذلك زججن وكحلن هما جميعاً زينة فحسن أن يعطف احدهما على الآخر والممهد لا يشترك الستر في شيء من تغطية الوجه ولا صيانته ولا بنيت الفاظ البيت الا على ستر الخدود بالستور ولا يتعلق الممهد بالمعنى باضمار لفظ ولا غيره ومن خطائه قوله

بقاعية تجرى علينا كؤوسها فتبدي الذي تخفي وتخفي الذي تبدى

ذهب في هذا الى ان الخمر تخفى الذى نبديه في حال الصحو من الحلم والوقار والكف عن الهزل واللعب وتبدي الذى نخفى أي الذى نعتقده ونكتمه من ضد ذلك كله لانه في الطبيعة والغريزة والذى كنا نظهره انما هو تصنع وتكلف ويدخل في هذا ما يبوح به المحب من الحب الذي كان يكتمه في صحوه ويظهر ضده أوما يبوح به من بغض زيد وكان يظهر في صحوه مودته ومنافعته وكذلك ما يظهر السكر من بخل البخيل ومنع ما كان يتحمله ببذله في الصحو أوما يظهر من السماحة التى كان لا يسمح بمثلها في صحوه خوف العاقبة ونحو هذا وما سقط من قول الحكماء ان الشراب يثير كل ما وجد أي يظهر كل ما في النفس من خير وشر وحسن وقبيح فكل شيء يظهره الانسان وليس في اعتقاده ولا نيته فان الذى يضمره ويكتمه في نفسه فهو ضده فاذا اظهر السكر اعتقاد المعتقد الذى هو الصحيح فان ضده مما كان يتجمل باظهاره يبطل ويتلاشى لان الشراب يخفيه ويطويه في الضمير حتى يكون مكتوما كما كانت الحقيقة مكتومة هذا محال لان القلب هو محل المعتقدات فلا يجوز ان يجتمع فيها الشيء وضده والاعتقادات لا تكون باللسان لان اللسان يكذب والقلب لا يتضمن الا الحقيقة وقول أبي تمام فتبدي الذي تخفى قول صحيح وقوله وتخفى

الذي نبدى اللفظ فاسد لان تخفى معناه تكتم وتستر والذى قد ابطلته وأزلته لا يجوز ان يعبر عنه بانك اخفيته ولا كتمته فان قيل ولم لا يكون هذا توسعا ومجازا قيل المجاز فى مثل هذا لا يكون لان الشيء الذي تكتمه وتطويه انما أنت خازن له وحافظ فهو ضد الشيء الذى تزيله وتبطله والاضداد لا يستعمل احدهما فى موضع الآخر الا على سبيل المجاز

ومن خطائه قوله في وصف فرس

وبشعلة نبذ كان فليلها في صهوتيه بدء شيب المفرق

قوله فليلها يريد ما تفرق منها فى صهوتيه والصهوة موضع اللبد وهو مقعد الفارس من الفرس وذلك الموضع أبدا ينحت شعره لغمز السرج اياه فينبت أبيض لان الجلد ههنا يرق وأنت تراه فى الخيل كلها على اختلاف شياتها وليس بالبياض المحمود ولا الحسن ولا الجميل فهذا خطأ من هذا الوجه وهو خطأ من وجه آخر وهو ان جعله شعلة والشعلة لا تكون الا فى الناصية أو الذنب وهو ان يبيض عرضها وناحية منها فيقال فرس اشعل وشعلا وذلك عيب من عيوب الخيل فان كان ظهر الفرس أبيض خلقة فهو أرحل ولا يقال اشعل وقد أخذ البحترى قوله بدء مشيب المفرق فجاء به حسنا جدا ثم سلم من العيب فقال

وبشعلة كالشيب مر بمفرقى غزال لها عن شيبه بغرامه

فقال بشعلة ولم ينص على موضعها ومعلوم انه أراد بياضا في الناصية وقال مر بمفرقى غزل فاوضح أنه ذلك الموضع أراد وقال لها عن شيبه بغرامه فاتى بشيء يفوق كل حسن الا ان البياض فى الناصية من عيوب الخيل وكذاك البياض في الذنب ليس بين الناس في ذلك اختلاف ويقال لبياض الناصية أيضا السعف وأيضا فان البحترى وصف فرسا ادهم فقال

جذلان تلطمه جوانب غرة جاءت مجيء البدر عند تمامه

ناي . . حسن يكون لبياض ناصية على بياض غرة ومن قبيح وصف شيات الخيل قول أبي . . م فى هذا الفرس أيضا

مسود شطر مثل ما اسود الدجي مبيض شطر كابيضاض المهرق

شطر الشيء جانبه وناحية قال الله عز وجل فول وجهك شطر المسجد الحرام أي

ناحيته وقد يراد بالشطر نصف الشيء يقال قد شاطرتك مالى أي ناصفتك فهذا هو الاكثر الاعم فيما يستعملون وذلك من اقبح شيات الابلق على ظاهر هذا المعنى ولم يرده أبو تمام وانما أراد بالشطر ههنا البعض أو الجزء أى مسود جزء مبيض جزء فجا بالشطر لانها لفظة أحسن من الجزء ومن البعض فى هذا الموضع والجيد النادر قول البحترى

او ابلق يلقى العيون اذا بدا   من كل لون معجب بنموذج

وقد جعله أبو تمام فى أول الابيات اشعل بقوله بشعلة ثم جعله هنا ابلق فهذا الفرس هو الاشعل الابلق على مذهبه في هذا التشبيه ولا ينكر مثل هذا من ابتداعاته

قال أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيي الآمدى قد ذكرت فى الجزء الثانى الموازنة بين شعر أبى تمام حبيب بن اوس الطاى وشعر أبى عبادة الوليد بن عبيد البحتري وخطا أبي تمام فى الالفاظ والمعانى وبيضت آخر الجزء لالحق به ما يمر من ذلك فى شعره واستدركه من بعد في قصائده وأنا اذكر في هذا الجزء الرذل من الفاظه والساقط من معانيه والقبيح من استعاراته والمستكره المتعقد من نسجه ونظمه على ما رأيت فى اشعار المتأخرين يتذاكرونه وينعونه عليه ويعيبونه وعلى أنى وجدت لبعض ذلك نظائر فى اشعار المتقدمين فعلمت انه بذلك اغتر وعليه فى العذر اعتمد طلبا منه للاغراق والابداع وميلا الى وحشى المعانى والالفاظ وانما كان يندر من هذه الانواع المستكرهة على لسان الشاعر المحسن البيت أو البيتان يتجاوز له عن ذلك لان الاعرابي لا يقول الا على قريحته ولا يعتصم الا بخاطره ولا يستقى الا من قلبه وأما المتأخر الذى يطبع على قوالب ويحذو على امثلة ويتعلم الشعر تعلما ويأخذه تلقنا فمن شأنه أن يتجنب المذموم ولا يتبع من تقدمه الا فيما استحسن منهم واستجيد لهم واختير من كلامهم أو فى المتوسط السالم اذا لم يقدر على الجيد البارع ولا يوقع الاحتطاب والاستكثار مما جاء عنهم نادرا من معانيهم شاذا ويجعله حجة له وعذرا فان الشاعر قد يعاب أشد العيب اذا قصد بالصنعة سائر شعره وبالابداع جميع فنونه فان مجاهدة الطبع ومغالبة القريحة مخرجة سهل التأليف الى سوء التكلف وشدة التعمل كما عيب صالح بن عبد القدوس وغيره ممن سلك هذه الطريقة حتى سقط شعره لان لكل شيء حدا اذا تجاوزه المتجاوز سمي مفرطا وما وقع الافراط فى شيء الا شانه وأعاده الى الفساد صحته والى القبيح حسنه وبهاه فكيف اذا تتبع الشاعر ما لا طايل فيه من لفظة شنيعة لمتقدم أو معنى وحشى فجعله اماما واستكثر من اشباهه ووشح شعره بنظائره ان هذا لعين الخطا وغاية في سوء الاختيار

﴿ باب ما في شعر أبي تمام من قبيح الاستعارات ﴾

فمن مرذول الفاظه وقبيح استعاراته قوله

يادهر قوم من أخدعيك فقد　　اضججت هذا الانام من خرقك

وقال

ساشكر فرجة اللبب الرخي　　ولين أخادع الدهر الابي

وقال

فضربت الشتاء في أخدعيه　　ضربة غادرته عودا ركوبا

وقال

تروح علينا كل يوم وتغدي　　خطوب كان الدهر منهن يصرع

وقال

الا لا يمد الدهر كفا لسيء　　الى مجتدي نصر فتقطع من الزند

وقال

والدهر الام من شرقت بلؤمه　　الا اذا اشرقته بكريم

وقال

تحملت مالو حمل الدهر شطره　　لفكر دهر اي عبأيه اثقل

وقوله يصف قصيدة

يحل يفاع المجد حتي كأنه　　على كل رأس من يد المجد مغفر

لها بين أبواب الملوك مزامر　　من الذكر لم تنفخ ولاهي تزمر

وقوله

به أسلم المعروف بالشام بعدما　　ثوي منذ أودي خالد وهو مرقد

اما وأبي احداثه ان حادثا　　حدي بي عنك العيس للحادث الوغد

وقوله

جذبت نداه غدوة السبت جذبة　　فخر صريعا بين أيدي القصائد

وقوله

لو لم تفت مسن المجد مذ زمن　　بالجود والباس كان الجود قد خرفا

وقوله

لدى ملك من ايكة الجود لم يزل　　على كبد المعروف من فعله برد

وقوله

في علة اوقدت على كبد النا　　ئل نارا اخنت على كبده

وقوله

حتى اذا اسود الزمان توضحوا　　فيـه فغودر وهو فيهم ابلق

وقوله

ايثار شزر القوى رأى جسد المعروف أولى بالطب من جسده

وقوله

وما ذكر الدهـر العبوس بانه　　له ابن كيوم السبت الا تبسما

وقوله

وكم احرزت منكم على قبح قدها　　صروف النوى من مرهف حسن القد

وقوله يصف الارض

اذا الغيث غادى نسجها خلت أنه　　مضت حقبة حرس له وهو حائك

وقوله

ولا اجتذبت فرش من الارض تحتكم　　هي المثل في لين بها والا رائك

وقوله

اذا للابتسام عار دهـر كانما　　ليـاليـه من بين الليالي عوارك

وقوله يرثي غالبا

انزلته الايام عن ظهرها من　　بعـد اثبات رجـله في الركاب

وقوله

كاني حين جردت الرجاء له　　غضبا صببت لها ماء على الزمن

وقوله يصف فرسا .

فكان فارسه يصرف اذ بدا   فى متنه ابنا للصباح الابلق

وأشباه هذا ما اذا تتبعته في شعره فجعل كما ترى مع غثاثة هذه الالفاظ للدهر اخدعا ويدا تقطع من الزند وكأنه يصرع ويحل ويشرق بالكرام ويتبسم وان الايام تبزله والزمان ابلق وجعل المدح يداً ولقصائده مزامر الا انها لا تنفخ ولا تزمر وجعل المعروف مسلما تارة ومرتدا أخرى والحادث وغدا وجذب ندي الممدوح بزعمه جذبة حتى خر صريعاً بين يدي قصائده وجعل المجد مما يعقد عليه الخوف وان له جسدا وكبدا وجعل لصروف النوى قدا وللامن فرشا وظن ان الغيث كان دهراً حايكا وجعل للايام ظهراً يركب والليالى كانها عوارك والزمان كانه صب عليه ماء والفرس كانه ابن الزمان الابلق وهذه استعارات فى غاية القباحة والهجانه والبعد من الصواب وانما استعارت العرب المعني لما ليس له اذ كان يقاربه أو يدانيه أو يشبهه في بعض أحواله أو كان سبباً من أسبابه فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذى استعيرت له وملايمة لمعناه نحو قول امر القيس

فقلت لها لما تمطي بجوزه   واردف اعجازا وناء بكلكل

وقد عاب امر القيس بهذا المعنى من لم يعرف موضوعات المعانى ولا المجازات وهو في غاية الحسن والجودة والصحة وهو انما قصد وصف أجزاء الليل الطويل فذكر امتداد وسطه وتثاقل صدره للذهاب والانبعاث وترادف اعجازه وأواخره شيئا فشيئا وهذا عندي منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته وذلك أشد ما يكون على من يراعيه ويترقب تصرمه فلما جعل له وسطا يمتد واعجازا رادفة للوسط وصدرا متثاقلا في نهوضه حسن ان يستعير للوسط اسم الصلب وجعله متمطياً من أجل امتداده لان تمطى وتمدد بمنزلة واحدة وصلح ان يستعير للصدر اسم الكلكل من أجل نهوضه وهذه أقرب الاستعارات من الحقيقة وأشد ملايمة لمعناها لما استعيرت له وكذلك قول زهير . وعرى أفراس الصبا ورواحله . لما كان من شان ذي الصبا ان يوصف أبدا بان يقال ركب هواه وجرى فى ميدانه وجمح فى عنانه ونحو هذا احسن ان يستعار للصبا اسم الافراس وان يجعل النزوع عنه تعري أفراسه ورواحله وكانت هذه الاستعارة أيضا من أليق شيء بما استعيرت له ونحو ذلك قول طفيل الغنوى

وجعلت كوري فوق ناجية   يقتات شحم سنامها الرحل

لما كان شحم السنام من الاشياء التى تقتات وكان الرحل ابدا يتحوفه و ينتقص منه و يذيبه كان جعله اياه قوتا للرحل من أحسن الاستعارات وأليقها بالمعني وكذلك قول عمرو بن كلثوم

الا ابلغ النعمان عنى رسالة   فمجدك حولى ولؤمك قارح

لما جعل مجده حديثاً غير قديم حسن ان يقول حولى لان العرب اذا نسبت الشيء الى الصغر وقصر المدة قالوا حولى لان أقل عدد الاحوال وهى السنون حول واحد ولهذا قال حسان

لو يدب الحولى من ولد الذر عليها لاندبتها الكلوم

لم يرد بالحولى من ولد الذر ما اتى عليه الحول ولكنه أراد بالحولى أصغر مايكون من الذر وانما أخذ ذلك من قول امرىء القيس

من القاصرات الطرف لو دب محول   من الذر فوق الاتب منها لاثرا

ومما يدل على صحة هذا المعنى وان الحولى انما يراد به الصغر دون معني الحول قول الراجز واستبقت تحذب حولى الحصي فاراد بحولى الحصى اصغره وقول الاخر انشده ثعلب

تلقط حولي الحصى فى منازل   من الحي اضحت بالاحيين بلقعا

ولما جعل لؤمه قديما حسن أن يقول قارح ونحو ذلك قول أبى ذؤيب

واذا المنية انشبت اظفارها   الفيت كل تميمة لا تنفع

لما كانت المنية اذا انزلت بالانسان وخالطته صح أن يقال نشبت فيه وصح أن يستعار لها اسم الاظفار لان النشوب قد يكون بالظفر وعلى هذا جاءت الاستعارات في كتاب الله تعالى اسمه نحو قوله عز وجل واشتعل الرأس شيبا لما كان الشيب ياخذ في الرأس ويسعي فيه شيئا فشيئا حتى يحيله الي غير حالة الاولى كالنار التى تشتعل في الجسم من الاجسام فتحيله الى النقصان والاحتراق وكذلك قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار لما كان انسلاخ الشيء من الشيء وهو أن يتبرأ منه حالا فحالا كالجلد من اللحم وما شاكلها جعل انفصال النهار عن الليل شيئاً فشيئاً حتى يتكامل الظلام انسلاخا وكذلك قوله عز وجل فصب عليهم ربك سوط عذاب لما كان الضرب بالسوط من العذاب استعير للعذاب سوط فهذا مجري الاستعارات في كلام العرب وأما قول ابي تمام ولين اخادع الزمن الابي

فاي حاجة الى الاخادع حتى يستعيرها الزمن وكان يمكنه ان يقول ولين معاطف الدهر الابى أو لين جوانب الدهر أو خلايق الدهر كما تقول فلان سهل الخلايق لين الجوانب وموطأ الاكناف ولان الدهر قد يكون سهلا وحزنا ولينا وصعبا على قدر تصرف الاحوال فيه لان هذه الفاظ كانت أولى بالاستعمال في هذا الموضع وكانت تنوب عن المعنى الذي قصده ويتخلص من قبح الاخادع فان فى الكلام متسعا الا ترى الى قوله ما احسنه وما اوضحه

لبالي نحن فى وسنات عيش ... كان الدهر عنا فى وثاق

وأيام لنا وله لدان ... غنينا فى حواشيها الرقاق

فاستعار للايام الحواشى وقوله

أيامنا مصقولة اطرافها ... بك والليالى كلها اسحار

وابلغ من هذا وابعد من التكلف واشبه بكلام العرب قوله

سكن الزمان فلا يد مذمومة ... للحادثات ولا سوام تذعر

فقد تراه كيف يخلط الحسن بالقبيح والجيد بالردى وانما قرب الاخادع لما جاء به مستعارا للدهر ولو جاء به فى غير هذا الموضع أو أتى به حقيقة ووضعه فى موضعه ما قبح نحو قول البحتري

واعتقت من ذل المطامع اخدعي

ونحو قوله

ولا مالت باخدعك الضباع ... وما يزيد على كل جيد قول الفرزدق

وكنا اذا الجبار صعر خده ... ضربناه حتى تستقيم الاخادع

فاما قوله

ضربت الشتاء فى اخدعيه ... فان ذكر الاخدعين على قبحها سوغ

لانه قال ضربة غادرته عودا ركوبا وذلك أن العود المسن من الابل يضرب على صفحتي عنقه فلذلك قربت الاستعارة ههنا من الصواب قليلا ومن القبيح في هذا قوله

يا دهر قوم من اخدعيك فقد ... اضججت هذا الانام من خرقك

أى ضرورة دعته الى الاخدعين وكان يمكنه ان يقول من أعوجاجك أوقوم م

تعوج صنعك أي يادهر أحسن بنا الصنيع لان الاخرق هو الذى لا يحسن العمل وضده الصنع وكذلك قوله

تحملت ما لو حمل الدهر شطره ... لفكر دهرا أي عبأيه أثقل

فجعل للدهر عقلا وجعله مفكراً في أي العبأين اثقل وما معنى ابعد من الصواب من هذه الاستعارة وكان الاشبه والاليق بهذا المعنى لما قال تحملت ما لو حمل الدهر شطره أن يقول لتضعضع أولانهد أولا من الناس صروفة ونوازله ونحو هذا مما يعتمده أهل المعاني في البلاغة والافراط وانما رأى ابو تمام اشياء يسيرة من بعيد الاستعارات متفرقة في اشعار القدماء كما عرفتك لا تنتهي في البعد الى هذه المنزلة فاحتذاها واحب الابداع والاغراق في ايراد امثالها واحتطب واستكثر منها فمن ذلك قول ذى الرمة

تيممن يافوخ الدجى فصدعنه ... وجوز الفلا صدع السيوف القواطع

فجعل للدجي يافوخا وقول تابط شرا

نحز رقابهم حتى نزعنا ... وانف الموت منخره رثيم

فجعل للموت انفا وقول ذي الرمة

يعز ضعاف القوم عزة نفسه ... ويقطع أنف الكبريا عن الكبر

فجعل للكبرياء انفا وقال معقل بن خويلد الهذلى او غيره

تخاصم قوما لا تلقى جوابهم ... وقد أخذت من أنف لحيتك اليد

فجعل للحية أنفا أي قبضت يدك على طرف لحيتك كما يفعل النادم او المهموم وما أظن ذا الرمة اراد الانف الا أول الشيء والمتقدم منه كما قال يصف الحمار

اذا شم أنف الضيف الحق بطنه ... مراس الاواسي وامتحان الكرائم

قال ابو العباس عبد الله بن المعتز في كتاب سرقات الشعراء وهذا البيت غر الطائى حتى اتى بما اتي به وانما اراد ذو الرمة بقوله أنف الضيف كقولهم انف النهار أى اوله قال امرؤ القيس

قد غدا يحملني فى أنفه ... لاحق الاصلين محبوك عمر

وقوله في انفه اي فى اول جريه واشده ويقال فى أنفه فى انف الغيث الذى ذكره في اوله يقول لم يطا هذا الغيث احد قبلي ولم يذهب هذا الشاعر حيث ذهب ابو العباس

وكذلك قول اعرابي يصف البرق

اذا شم انف الليل أومض وسطه سنا كابتسام العامرية شاغف

انما اراد اذا شتم اول الليل وقال آخر انشدناه الاخفش عن ثعلب يذم رجلا

مازال مذموما علي است الدهر ذا حسد ينمي وعقل يجري

فجعل للدهر استا وقول [illegible] وهو أحد شعراء عبد القيس

ولما رأيت الدهر ولى سبيله وابدى لنا ظهرا اجب مسلما

ومعرفة حصاء غير مفاضة عليه ولونا ذا عثانين اجما

وجبهة قرد كالشراك ضئيلة وصعر خديه وانفا مجدعا

فجعل للدهر ظهرا اجب ومعرفة حصاء ولونا ذا عثانين وشبه جبهته بجبهة قرد وجعل انفا مجدعا وهذا الاعرابي انما ملح بهذه الاستعارات في هجائه للدهر وجارىها هازيا ومثل هذا كلامهم قليل جدا ليس مما يعتمد ويجعل اصلا يحتذي عليه ويستكثر منه ومن ردى استعاراته وقبيحها وفاسدها قوله

لم تسق بعد الهوى ماء أقل قذي من ماء قافية يسقيكه فهم

فجعل للقافية ماء على الاستعارة فلو أراد الرونق لصلح ولكنه قال يسقيكه فبئس معنى الرونق لانك اذا قلت هذا ثوب له ماء لم تجعل الماء مشروبا فتقول ماشربت ماء اعذب من ماء ثوب شربته عند فلان ورايته على فلان الملك وكذلك لاتقول لاتقول ماشربت ماء اعذب من ماء قفا نبك أو أعذب من ماء كذا لان للاستعارة حدا تصلح فيه فاذا جاوزته فسدت وقبحت فاما قولهم فلان حلو الكلام وعذب المنطق اركان الفاظه فتات السكر فهذا كلام الناس علي هذه السياقة وليس يريدون حلاوة علي اللسان ولا عذوبة في الفم وانما يريدون عذبا في النفوس وحلوا في القلوب كما قال

بسيط الروح اللطيف نسيمها ارجا وتوكل بالضمير وتشرب

وكذلك قولهم حلو المنظر انما يريدون حلاوة في العين ولا تقول ماذقت احلى من كلام فلان ولا شربت اعذب من الفاظ عمرو لان هذا القول صيغة الحقيقة لا الاستعارة ولكن يقال هذا كلام يصلح ان يتنقل به وزيد يشرب من الماء الحسن

اخلاقه وحلاوته وعمرو يوكل و يشرب لرقة طبعه ولا تقول ماشربت أعذب من عمرو ولا ما اكلت احلى من عبدالله فاعلم هذا فان حدود الاستعارة معلومة فاما قوله

لمكاسر الحسن ابن وهب اطيب   وامر في حنك الحسود واعذب

فالمكاسر الاخلاق وانما أراد امر في حنك العدو اذا نطق بها أو أمر في حنكه أن يذكرها أو يخبر بها واعذب في حنك وليه وودیده اذا استرها وكما قال زهير

تلجلج مضغة فيها انيض   اصلت فهي تحت الكشح داء

لانه أراد كلمة فصلح أن يقول أنيض أي لم ينضج واصلت تغيرت وانتنت وكذلك لما جعلها مضغة أي لقمة في فيه فهذا طريق الاستعارة فيما يصلح و يفسد فتفهمه فانه واضح واما قوله

لا تسقني ماء الملام فانني   صب قداستعذبت ماء بكائي

فقد عيب وليس بعيب عندي لانه لما أراد ان يقول قد استعذبت ماء بكاى جعل الملام ماء ليقابل ما أراد وان لم يكن الملام ماء على الحقيقة كما قال الله عز وجل وجراء سيئة سيئة مثلها ومعلوم ان الثانية ليست بسيئة وانما هي جزاء عن السيئة وكذلك ان تسخروا منا فانا نسخر منكم والفعل الثاني ليس بسخريه ومثل هذا في الشعر والكلام كثير مستعمل فلما كان مجرى العادة ان يقول قائل أغلظت لفلان القول وجرعته منه كاساً مرة وسقيته منه أمر من العاقم وكان الملام مما يستعمل فيه التجرع على الاستعارة جعل له ماء على الاستعارة ومثل هذا كثير موجود وقد احتج محتج لابي تمام في هذا يقول ذو الرمة

ادارا بحزوي هجت للعين عبرة   فماء الهوي يرفض أو يترقرق

وقول الاخر وكاس سباها التجر من ارض بابل * كرقة ماء العين في الاعين النجل وهذا لا يشبه ماء الملام لان ماء الملام استعارة وماء الهوى ليس باستعارة لان الهوي يبكى فتلك الدموع هى ماء الهوى على الحقيقة وكذلك البين يبكى فتلك الدموع هى ماء البين على الحقيقة فان قيل فان أبا تمام ابكاه الملام والملام قد يبكى على الحقيقة فتلك الدموع هى ماء الملام على الحقيقة قيل لو أراد أبو تمام ذلك لما قال قد استعذبت ماء بكاى لانه لو بكى من الملام لكان ماء الملام هو ماء بكاء ايضا ولم يكن يستعفى منه ومن ردى استعاراته وقبيحها قوله

مقصرا خطوات البث في بدني   علما باني ما قصرت في الطلب

فجعل للبث وهو أشد الحزن خطوات في بدنه وانه قد قصرها لانه ما قصر في الطلب وهذا من وساوسه المحكمة وانما أراد به قد سهل امر الحزن عليه انه ما قصر في الطلب لانه لو قصر كان يأسف و يشتد جزعه فجعل للحزن خطي في بدنه قصيرة لما جعله سهلا خفيفا وهذا ضد المعنى الذي أراد لان الخطى اذا طالت يجوز أن يقع قلبه وكبده بين تلك الخطي الطويلة فلا يمسها من البث وهو الحزن قليل ولا كثير فان قيل انما أراد أن الحزن هو في قلبه خاصة وان قوله في بدني أي في قلبي لان قلبه في بدنه قيل الامر واحد في ان الخطى اذا طالت على الشيء قلبه كان أو ماسواه اخذت منه أقل مما تأخذ اذا قصرت فان قيل أراد بطول الخطى الكثرة و بقصرها القلة قيل هذا غلط من التأويل وليس العمل علي ارادته وانما العمل على توجيه معاني الفاظه و بعد فان من اعجب العجب خطوات البث في البدن ومن ردي استعاراته وقبيحها قوله

جاري اليه البين وصل خريدة   ماشت اليه المطل مشي الاكبد

الهاء في اليه راجعة الى المحب يريد أن البين ووصل الخريدة تجاريا اليه فكانه أراد أن يقول ان البين حال بينه و بين وصلها واقتطعها عن أن تصله واشباه هذا من اللفظ المستعمل الجارى فعدل الى أن جعل البين والوصل جاريا اليه وان الوصل في تقديره جري اليه يريده فجرى البين ليمنعه فجعلهما متجاريين ثم أتى بالمصراع الثانى بنحو من هذا التخليط فقال ماشت اليه المطل مشي الاكبد فالهاء هنا راجعة الى الوصل أي لما عزمت علي أن تصله عزمت عزم متثاقل مماطل فجعل عزمها مشيا وجعل المطل مماشيا لها فيا معشر الشعراء والبلغاء ويا اهل اللغة العربية خبرونا كيف يجارى البين وصلها وكيف تماشى هي مطالها ألا تسمعون ألا تضحكون وانشد أبو العباس بن المعتز في كتاب سرقات الشعراء اسلم الخاسر يعيبه بردى الاستعارة في قوله يرثي موسي الهادي

لولا المقادر ما خط الزمان به   لا بل تولى بانف كله دامي

وقال هذا ردي كانه من شعر أبي تمام الطاى ولو لم يكن لابي تمام من ردي الاستعارة الامثل استعارة سلم هذه أو نحوها ونعوذ بالله من حرمان التوفيق

(ماجاء في شعر أبي تمام من قبيح التجنيس)

ورأى أبو تمام ايضا المجانس من الالفاظ شرفا في اشعار الاوايل وهو ما اشتق بعضه من بعض نحو قول امريء القيس

لقد طمح الطماح من بعد ارضه ليابسني من دائه ما تلبسا

وقوله ايضا

ولكنني اسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل امثالي

وقول القطامى

ولما ردها في الشول شالت بذيال يكون لها لفاعا

وقول ذو الرمة

كان البرى والعاج عيجت متونه على عشر نهى به السيل ابطح

وقول رجل من عبس

وذلكم ان ذل الجار حالفكم وان انفكم لا يعرف الانفا

وقول مسكين الدارمى

واقطع الخرق بالخرقاء لاهية اذا الكواكب كانت فى الدجى سرجا

وقول حيان بن ربيعة الطاى

لقد علم القبائل ان قومى لهم حد اذا لبس الحديد

وقول النعمان بن بشير لمعاوية

الم تبتدركم يوم بدر سيوفنا وليلك عما ناب قومك نايم

وقول جرير

فما زال معقولا عقال عن الندى وما زال محبوسا عن الخير حابس

وقول الفرزدق

خفاف اخف الله عنه سحابة واوسعه من كل ساف وحاصب

وكأن هذين الشاعرين في تجنيس ما جنسا من هذه الالفاظ وحاجهما اليه يشبه قوله النبي ﷺ عصية عصت الله وغفار غفر الله لها واسلم سالمها الله ونحو هذا مما تعمد الشعراء لتجنيسه قول جندل بن الراعي

فما عمرت عمرو وقد جد سعيها وما سعدت يوم التقينا بنو سعد

ومن الطف ما جاء من التجنيس واحسنه فى كلام العرب قول القطامى

كنا الحي من ذي غبطة احتملوا مستحقبين فوادا ماله فادى

ومثل هذا في اشعار الاوايل موجود لكن انما ياتى منه في القصيدة البيت الواحد والبيتان على حسب مايتفق للشاعر ويحضر فى خاطره وفى الاكثر لا يعتمده ور بما غرضه وبني أكثر شعره عليه فلو كان قلل منه واقتصر على مثل قوله

يا ربع لو ربعوا على ابن هموم

وقوله ارامة كنت مألف كل ريم

وقوله يابعد غاية دمع العين ان بعدوا

واشباه هذا من الالفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى لكان قد اتى بالغرض وتخلص من الهجنة والعيب فاما أن يقول

قرت بقران عين الدين وانشترت بالاشترين عيون الشرك فاصطاما

فانشتار عيون الشرك في غاية الغثاثة والقباحة وايضا فان انشتار العين ليس بموجب للاصطلام وقوله

ان من عق والديه لملعو ن ومن عق منزلا بالعقيق

وقوله

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون أمذهب أم مذهب

وقوله

خشنت عليه اخت بني خشين فهذا كله تجنيس فى غاية الشناعة والركاكة والهجانة ولا يزيد زيادة على قبح قوله

فاسلم سلمت من الافات ما سلمت سلام سلمى ومهما اورق السلم

فان هذا من كلام المبرسمين وقد عابه ابو العباس عبد الله بن المعتز ببعض هذه الابيات في كتاب البديع جاء بها فى قبح التجنيس وفي اشعار العرب ما يستكره نحو قول امرى القيس

وسنا كسنيق سناء وسنما

ولم يعرف الاصمعى هذا وقال ابو عمرو وهو بيت مسجدي أى من عمل أهل المسجد وقال الاصمعي السن الثور ولم يعرف سنيقا ولا سنما ويقال سنيق جبل ويقال اكمة وسنم

ههنا البقرة الوحشية سناء اي ارتفاعا و يروى سنا رأى ارتفاعا ايضا من سنمت الجبل علوته وقول الاعشى

شاو شلول مشل شلشل شول وهذا عند أهل العم من جنون

الشعر وقرأ هذه القصيدة على أبي الحسن على بن سليمان النحوى قاريء فلما بلغ الى هذا البيت قال ابو الحسن صرع والله الرجل ومازلت اراهم يستكرهون قول ذى الرمة

عصاقس قوس لينها واعتدالها ويروى عسطوس وقد قيل انه الخيرزان

وهذا انما جاء عن هؤلاء مقللا نادر الا نك اجتهدت أن ترى لواحد منهم حرفا واحدا ما وجدته والطاى استفرغ وسعه فى هذا الباب وجد فى هذا الباب وجد فى طلبه واستكثر منه وجعله غرضا فكانت اساءته فيه أكثر من احسانه وصوابه اقل من خطائه (ما يستنكره للطائى من المطابق ورأي الطاى الطباق في اشعار العرب وهو اكثر واوجد مطابق لمساواة أحد القسمين صاحبه وان تضادا أو اختلفا فى المعنى الا ترى الى قولهم فى احد المعنيين اذا لم يشاكل صاحبه ليس هذا طبق هذا وقولهم فى المثل وافق شن طبقه للشيء انما قيل له طبق لمساواته اياه فى المقدار اذا جعل عليه أو عطى به وان اختلف الجنسان قال الله عز وجل لتركبن طبقا عن طبق أى حالا بعد حال ولم يرد تساويهما فى تمثيل المعنى وانما اراد جل وعز وهو اعلم تساويهما فيكم وتغيرهما اياكم بمرورهما عليكم ومنه قول العباس بن عبد المطلب

اذا انقضى عالم بدا طبق أي جاءت حال اخرى تتلوا الحال الاولى

ومنه طباق الخيل يقال طابق الفرس اذا وقعت قوائم رجليه فى موضع قوائم يديه فى المشي أو العدو وكذلك مشى الكلاب قال الجعدى

طباق الكلاب يطأن المراسا

فهذا حقيقة الطباق انما هو مقابلة الشيء لمثله الذي هو على قدره فسموا المتضادين اذا تقابلا مطابقين ومنه قول زهير

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا

فطابق بين قوله كذب و بين قوله صدقا وقول طفيل الغنوى يصف فرسا * يصان وهو ليوم الروع مبذول * فطابق بين قوله يصان و بين قول مبذول وقول طرفة بن العبد بطيء عن الحلى سريع الى الخنا . فطابق بين بطيء وسريع فلو اقتصر الطاى علي ما اتفق له فى هذا الفن من حلو الالفاظ وصحيح المعنى نحو قوله

نثرت فريد مدامع لم تنظم

ونحو قوله جفوف البلى أسرعت فى الغصن الرطب

ونحو قوله

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

وأشياء هذا من جيد ابياته وتجنب مثل قوله

قد لان اكثر ما تريد وبعضه خشن واني بالنجاح لواثق

وقوله

لعمرى لقد حررت يوم لقيته لو ان القضاء وحده لم يبرد

وقوله

وان خثرت اموال قوم اكفهم من النيل والجدوى فكفاه مقطع

ونحو هذا مما يكثر ان ذكرته ذهب عظم شعره وسقطا اكثر ما عيب عليه منه وهذا باب اعني المطابق لقب أبو الفرج قدامة بن جعفر في كتابه المؤلف فى نقد الشعر المتكافى وسمى ضربا من المجانس المطابق وهو ان تأتي الكلمة مثل الكلمة سواء فى تاليفها واتفاق حروفها و يكون معناها مخالفا نحو قول الافوه الاودي

واقطع الهوجل مستأنسا بهوجل عيرانة عنتريس

والهوجل الاول الارض البعيدة والهوجل الثاني الناقة العظيمة الخلق الموثقة وقول أبى داود الايادى

عهدت لها منزلا دارسا والا على الماء يجان الا

فالال الاول اعمدة الخيام والال الثاني ما يرفع الشخوص وقال زياد الاعجم

نبئتهم يستنصرون بكاهل وللؤم فيه كاهل وسنام

وما علمت ان أحدا فعل هذا غير أبى الفرج فانه وان كان هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقبات وكانت الالفاظ غير محظورة فانى لم أكن أحب له ان يخالف من تقدمه مثل أبى العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم في هذه الانواع والف فيها اذ قد سبقوه الى اللقب وكفوه المؤونة وقد رأيت قوما من البغداديين يسمون هذا النوع المجانس المماثل ويلحقون به الكلمة اذا تكررت وترددت نحو قول جرير

تزود مثل زاد ابيك فينا فنعم الزاد زاد ابيك زادا

وبابه قليل (وهذا باب في سوء نظمه) وتعقيد الفاظه نسجه ووحشي الفاظه واكثر ما تراه من ذلك في شعره وتجده اظنه سمع ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه في زهير بن ابى سلمي لما قال كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتتبع حوشيه ولا يمدح رجلا الا بما فى الرجال فلم يرتض هذا الشعر واحب أن يستكثر مما ذمه وعابه وقد فسر أهل العلم هذا من قول عمر وذكروا معني المعاظلة وهي مداخلة الكلام بعضه فى بعض وركوب بعضه لبعض كقولك تعاظل الجراد وتعاظلت الكلاب ونحوها مما يتعلق بعضها ببعض عند الفساد واكثر ما يستعمل في هذين النوعين وكذلك فسروا حوشى الكلام وهو الذي لا يتكرر فى كلام العرب كثيرا فاذا ورد ورد مستهجنا وقالوا فى معنى قوله وكان لا يمدح الرجل الا بما يكون فى الرجال أراد انه لا يمدح السوقه بما يمدح به الملوك ولا يمدح التجار واصحاب الصناعات بما يمدح به الصعاليك والابطال وحملة السلاح فان الشاعر اذا فعل ذاك فقد وصف كل فريق بما ليس فيه فذكروا هذه الجمل ثم مثلوا لها امثلة تزيد ما قاله عمر رضى الله عنه وضوحا وبيانا الا أبو الفرج قدامة بن جعفر فانه ذكر ذلك في كتابه المؤلف في نقد الشعر ومثل له امثلة فغلط فى امثلة المعاظلة غلطا قبيحا وقد ذكرت ذاك فى كتاب بينت فيه جميع ما وقفت عليه من سهوه وغلطه وأنا اذكر ههنا ما اليه قصدت من سائر ما في شعر أبي تمام من هذه الانواع فانها كثيرة وأورد من كل نوع قليلا فيستدل به على الكثير فاقول أن من المعاظلة التى قد لحظت معنا في الكتاب على قدامة شدة تعليق الشاعر الفاظ البيت بعضها ببعض وان يداخل لفظة من أجل لفظة تشبهها أو تجانسها وان اختل المعنى بعض الاختلال وذاك كقول أبي تمام

خان الصفاء اخ خان الزمان اخا عنه فلم يتخون جسمه الكمد

فانظر الى اكثر الفاظ هذا البيت وهي سبع كلمات اخرها قوله عنه ما أشد تشبث بعضها ببعض وما أقبح ما أعتمده من ادخال الفاظ في البيت من أجل ما يشبهها وهو خان وخان ويتخون وقوله اخ وأخا فاذا تأملت المعنى ما أفسده من اللفظ لم تجد له حلاوة ولا فيه كبير فايدة لانه يريد خان الصفاء اخ خان الزمان اخا من أجله ان لم يتخون جسمه الكمد وكذلك قوله

يا يوم شرد يوم لهوى لهوه بصبابتى واذل عز تجلدي

فهذه الالفاظ فى قوله بصبابتى كانها سلسلة في شدة تعلق بعضها ببعض وقد كان أيضا استغنى عن ذكر اليوم في قوله يوم لهوى لان التشريد انما هو واقع بلهوه فلو قال يا يوم شرد لهوى لكان أصح فى المعني من قوله يا يوم شرد يوم لهوى وأقرب

في اللفظ فجاء باليوم الثاني من أجل اليوم الاول و باللهو الثانى من أجل اللهو الذى قبله ولهو اليوم أيضاً بصبابته هو أيضاً من وساوسه وخطائه ولا لفظ أولى بالمعاطلة من هذه الالفاظ ونحو قوله أيضاً

يوم أفاض جوي أغاض تعزيا خاض الهوى بحري حجاه المزبد

فجعل اليوم أفاض جوي والجوي أغاض تعزيا والتعزى موصولا به خاض الهوى الى آخر البيت وهذا غاية ما يكون من التعقيد والاستكراه مع ان أفاض وأغاض وخاض الفاظ أوقعها في غير موضعها وأفعال غير لائقة بفاعلها وان كانت مستعارة لان المستعمل في هذا ان يقال قد علم ما بفلان من جوى وظهر ما يكتمه من هوى وبان عنه العزاء وذهب عنه العزاء والتعزي فاما ان يقال فاض الجوي أو أفيض أو غاض أو أغيض فانه وان احتمل ذلك على سبيل الاستعارة قبيح جداً وكذلك خوض الهوى بحر التعزى معنى فى غاية البعد والهجانه ثم اضطر الى ان قال بحري حجاه المزبد فوحد المزبد وخفضه وكان وجهه ان يقول المزبد بن صفة للبحرين فجعله صفة للحجي و يقال انه أراد ببحرى حجاه المزبد قلبه ودماغه لانهما موطنان للعقل وذلك محتمل الا انه جعل المزبد وصفا للحجى ولا يوصف العقل بالازباد وانما يوصف به البحر وهذا وان كان يتجاوز فى مثله فانه الى الوجه الاردى عدل به وجنب الطريق عن الوجه الاوضح فاذا تأملت شعره وجدت أكثره مبنياً على مثل هذا وأشباهه وقد ذكرت من هذه الامثلة من شعره ما دل على سواها فان قال قايل ان هذا الذي أنكرته وذممته في الابيات المتقدمة وفى هذا البيت من تشبث الكلام بعضه ببعض وتعلق كل لفظة بما يليها وادخال كلمة من أجل أخرى تشبهها وتجانسها هو المحمود من الكلام وليس من المعاطلة في شيء الا ترى ان البلغاء والفصحاء لما وصفوا ما يستجاد ويستحب من النثر والنظم قالوا هذا كلام يدل بعضه على بعض وآخذ بعضه برقاب بعض قيل هذا صحيح من قولهم ولم يريدوا هذا الجنس من النثر والنظم ولا قصدوا هذا النوع من التاليف وانما أرادوا المعاني اذا وقعت الفاظها في مواقعها وجاءت الكلمة مع أختها المشاكلة لها التى تقتضى ان تجاورها لمعناها اما على الاتفاق أو التضاد حسبما توجبه قسمة الكلام وأكثر الشعر الجيد هذه سبيله ونحو ذلك قول زهير ابن أبي سلمى

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم

لما قال ومن يعش ثمانين حولا وقدم فى أول البيت سئمت اقتضى ان يكون في آخره

يسأم وكذلك قوله أيضاً

الستر دون الفاحشات وما ... يلقاك دون الخير من ستر

الستر الاول اقتضى الستر الثانى وكذلك قوله

ومن لا يقدم رجله مطمئنة ... فيثبتها فى مستوي الارض تزلق

لما قال ومن لا يقدم رجله مطمئنة اقتضي ان يأتى فى آخر البيت يزلق وكذلك قول مرىء القيس

الا أن بعد العدم المرء قنوة ... وبعد المشيب طول عمر وملبسا

اقتضي العدم فى البيت ان يأتى بعده قنوة وكذلك اقتضى قوله وبعد المشيب طول عمر وملبسا وكذلك قوله

فان تكتموا الداء لا نخفه ... وان تقصدوا لدم نقصد

كل لفظة تقتضي ما بعدها فهذا هو الكلام الذي يدل بعضه على بعض و يأخذ بعضه برقاب بعض اذا أنشدت صدر البيت علمت ما يأتي في عجزه فالشعر الجيد أو أكثره على هذا مبني وليست بنا حاجة الى الزيادة فى التمثيل على هذه الابيات واما قول عمر رضي الله عنه فى زهير انه كان لا يتتبع حوشى الكلام فان أبا تمام كان لعمرى يتتبعه و يتطلبه و يتعمد ادخاله فى شعره فمن ذلك قوله

اهلس اليس لجا الي همم ... تغرق الغيس في اذيها الاليسا

و يروى اهيس اليس والاهيس الجاد وهذه الروايه اجود وهى مثل

احدى لياليك فهيسى هيسي

والهلاس السلال من الهزلان فكان قوله اهلس يريد خفيف اللحم والاليس الشجاع البطل الغاية فى الشجاعة وهو الذي لا يكاد يبرح موضعه فى الحرب حتى يظفر أو يهلك فهاتان لفظتان مستكرهتان اذا اجتمعتا لم يقنع باهلس اليس ثم قال في آخر البيت الاليسا يريد جمع اليس وقوله

وان بجرية نابت جأرت لها ... الى ذرى جلدي فاستوهل الجلد

فقال بجرية وجأرت لها وهذه الالفاظ وان كانت معروفة مستعملة فانها اذا اجتمعت استقبحت وثقلت وكذلك قوله : هن البجاري ياجير. والبجارى جمع بجريه

وهى الداهية وقوله

بنداك يوسي كل جرح يعتلي ... راب الاساة بدردبيس قنطر

الدردبيس والقنطر من اسماء الدواهى وقوله قدك اتئب اربيت فى الغلواء ومثل هذه الالفاظ هجنة في ابتداء القصيدة وقوله

لقد طلعت وجه مصر بوجهه ... بلا طائر سعد ولا طائر كهل

وانما سمع قول بعض الهذليين

فلو كان سامي حازه واجازه ... رياح بن سعد رده طائر كهل

ووجدت في تفسير أشعار هذيل ان الاصمعي لم يعرف قوله طائر كهل وقال بعضهم كهل ضخم وما أظن أحدا قال طائر كهل غير هذا الهذلى فاستغرب ابو تمام معنى الكلمة فاتي بها وأحب أن لا تفوته فمثل هذه الالفاظ لا يستعملها شاعر الان يأتي في جملة شعره منها اللفظة واللفظتان وهى في شعر أبى تمام كثيرة فاشية وقد انكر الرواة على زهير مع ما قاله عمر رضى الله عنه انه كان لا يتتبع حوشى الكلام قوله

نقى تقى لم يكثر غنيمة ... بنهكة ذى قربى ولا بحقلد

واستشنعوا بحقلد وهو المسيء الخلق ولا يعرف فى شعره لفظة هي انكر منها وليس مجيئه بهذه اللفظة الواحدة قادحا فيما وصفه به عمر رضي الله عنه وأكثر ما ترى هذه الالفاظ الوحشية في اراجيز الاعراب نحو قول بعضهم

فحشا جيحا فله حراب هبلع أنشده ابو تمام وقول آخر

عربا حرورا وجلالا حرحر

وأنشد الاصمعى

واجد طعم للسقاء سامط ... وخاثر عجالط عكالط

اذا ذهب عن اللبن حلاوة الحليب ولم يتغير فهو سامط واذا خثر اللبن جدا حتى ثخن فهو عكالط

وقال آخر انشده الاصمعي

وربرب خماص ... يأكلن من قراص

وحميص راص * واص نبت متصل بعضه ببعض واذا كان هذا يستحسن من الاعرابي القح الذي لا يتعمل له ولا يطلبه وانما يأتى به على عادته وطبعه فهو من المحدث الذي ليس هو من لغته ولا من الفاظه ولا عن كلامه الذى تجرى عادته

به اخرى ان يستهجن ولهذا انكر الناس على رؤية استعماله الغريب الوحشي وذلك لتأخره وقرب عهده حتى زهد كثير من الرواة في رواية شعره الا اصحاب اللغة وقد ذكر ابو العباس عبدالله بن المعتز فى كتابه المولف فى سرقات الشعراء ومعانيهم عن العنزى قال حدثني محمد بن عبدالرحمن بن عبدالصمد السلمي الزارع قال حدثني ابن ابى عائشة قال قال ابو العتاهية لابن مناذر ان كنت أردت بشعرك شعر العجاج ورؤبة فما صنعت شيئا وان كنت أردت شعر أهل زمانك فما أخذت مأخذنا ارأيت قولك . ومن دعاك يلقي المرمر يسا اى شيء فى المرمريس اعجبك ووجدت ابي عبيدة ذكر فى كتاب الخيل في باب مايستدل به على جودة الفرس وهو يحضر و بيضة مرمريس وهي الضخمة واراد ابن مناذر الداهية وقد جاء ابو تمام بالدردبيس وهي أخت المرمريس فقال .

بنداك يوسى كل جرح يعتلي   راب الاساة بدردبيس قنطر

وهي الداهية ايضا وكذا القنطر

باب ما كثر في شعره من الزحاف واضطراب الوزن

وذلك هو ماقاله دعبل بن على الخزاعي وغيره من المطبوعين ان شعر ابى تمام بالخطب وبالكلام المنثور اشبه منه بالكلام المنظوم فمن ذلك قوله

وانت بمصر غايتي وقرابتي   بها وبنو ابيك فيها بنو أبي

وهذا من أبيات النوع الثانى من الطويل ووزنه فعولن مفاعيلن وعروضه وضربه مفاعل فحذف نون فعولن من الاجزاء الثلاثة الاول وحذف الياء من مفاعيلن التى هى المصراع الثاني وذلك كله يسمي مقبوضا لانه حذف خامسه وكذلك قوله من هذا النوع

كساك من الانوار أبيض ناصع   واصفر فاقع واحمر ساطع

فحذف النون من آخر فعولن كلها وهي رابعة وحذف اليا من مفاعيلن التى هي المصراع الثاني أيضاً كما فعل في البيت قبله ومن ذلك قوله من هذا النوع أيضاً

يقول فيسمع ويمشي فيسرع   ويضرب في ذات الاله فيوجع

فحذف النون من فعولن الاول واليا من مفاعيل التى تليها ومن فعول التى هي أول

المصراع الثانى وذلك كله يسمي مقبوضا وهي من الزحاف الحسن الجائز الأ أنه اذا جاه على التوالى والكثرة قبح جداً وقال

لم تنتقض عروة منه ولا قسوة   لكن أمر بني الامال ينتقض

وهذا من النوع الاول من البسيط ووزنه مستفعلن فاعلن وعروضه وضربه فعلن فزادفى عروضه حرفا فصار فاعلن لانه قال قوة فشدد وذلك انما يحسب له فى اصل الدائرة لا في هذا الموضع فان خففها حتى تصير على وزن فعلن فيتزن البيت كان مخطئاً من ثم حين نقص الاول من المصراع الالف فصار فعلن وهذا يسمي مخبونا لانه حذف ثانيه وقال

الى المفدي ابي يزيد الذي   يضل غمر الملوك فى غمرة

وهذا من النوع الاول من المنسرح ووزنه مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن فحذف السين من مستفعلن التى هى المصراع فبقي مفتعلن وهذا ينقل الى مفاعلن ويسمي مخبونا لانه حذف ثانيه وحذف الفا من مستفعلن الاخيرة فبقي مستفعلن فنيقل الى مفتعلن ويقال له مطوى لانه ذهب رابعه وحذف الواو من مفعولات الاولى والثانية فصار فاعلات ويقال له أيضاً مطوى فافسد البيت بكثرة الزحاف وتقطيعه

للى مفد * دا أبي ي * زيد للذي * يضل غم * رلملوك * فى غمره *
مفاعلن * فاعلات * مستفعلن * مفعاعلن * فاعلات * متفعلن *

ثم قال في هذه القصيدة

جلة انماره وهمدانه   والشم من ازده ومن اده

فحذف الفاء من مستفعلن الاولى فعادت الى مفتعلن وحذف الواو من مفعولات الاولى فصارت فاعلات وحذف الفاء من مستفعلن الاخيرة فصارت مفتعلن وتقطيعه

جلة ان * مارهى و * همداتهى * والشممن * ازدهى و * من اده *
منتعلن * فاعلات * مستفعلن * مستفعلن * فاعلات * مفتعلن *

وهذه الزحافات جائزة فى الشعر غير منكرة اذا قلت واذا جاآت فى بيت واحد فى اكثر اجزآئه فان هذا في نهاية القبح ويكون بالكلام المنثور أشبه منه بالشعر الموزون ومن هذا النوع من المنسرح قوله

ولم يغيرو جهي عن الصنيعة ال   أولي بمسموع اللون ملتممه
وتقطيعه

ولم يغي * يروجهيع * نعن صن عتل * اولى بمس * و فعل لون * ملتممه
مفاعلن * مفعولات * مستفعلن * مستفعلن * مفعولات * مفتعلن

فحذف السين من مستفعلن الاولى فصارت مفاعلن وحذف الفاء من مستفعلن الاخيرة فصارت مفتعلن ومثل هذه الابيات فى شعره كثير اذا أنت تتبعته ولا تكاد ترى في اشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيئا

تم السفر الثانى من الموازنة على ما جزاه مؤلفه رحمه الله تعالى والحمد لله رب العالمين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين ﴾

قال أبو القاسم الحسن بن بشر الامدي لما كنت خرجت مساوى أبي تمام وابتدأت بسرقاته وجب ان ابتدي من مساوي البحترى بسرقاته فانه أخذ من معانى من تقدم من الشعراء وممن تأخر اخذا كثيراً وحكى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح فى كتابه ان ابن أبي طاهر اعلمه انه اخرج للبحترى ستمائة بيت مسروق منها ما اخذه من أبى تمام خاصة مائة بيت فكان ينبغى ان لا اذكر السرقات فيما اخرجه من مساوى هذين الشاعرين لانى قدمت القول فى ان من ادركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعانى من كبير مساوى الشعرآء وخاصة المتأخرين اذ كان هذا بابا ما تعرى منه متقدم ولا متأخر ولكن أصحاب أبي تمام ادعوا أنه أول سابق وانه أصل في الابتداع والاختراع فوجب اخراج ما استعاره من معاني الناس فوجب من اجل ذلك اخراج ما اخذه البحترى أيضاً من معانى الشعرآء ولم استقص باب البحترى ولا قصدت الاهتمام الى تتبعه لان اصحاب البحترى ما ادعوا ما ادعاه اصحاب أبي تمام بل استقصيت ما اخذه من أبى تمام خاصة اذ كان من اقبح المساوي ان يتعمد الشاعر ديوان رجل واحد من الشعرآء فيأخذ من معانيه ما اخذه البحترى من أبى تمام ولو كان عشرة ابيات فكيف والذي اخذه منه يزيد على مائة بيت فاما مساوى البحترى من غير السرقات فقد دققت واجتهدت ان اظفر له بشيء يكون بازآء ما اخرجته من مساوى أبي تمام فى سائر الانواع التى ذكرتها فلم اجد فى شعره لشدة تحرزه وجودة طبعه وتهذيبه الفاظه من ذلك الا ابياتا يسيرة انا اذكرها عند الفراغ من سرقاته فان مر بى شيء منها الحقته به ان شاء الله تعالى *

(سرقات البحترى قال)

يخفى الزجاجة لونها فكأنها   في الكاس قائمة بغير اناء

اخذه من قول على بن جبلة حيث يقول

كأن يد النديم تدير منها   شعاعا لا يحيط عليه كاس

وقال البحترى

كالرمح فيه بضع عشرة فقرة   منقادة تحت السنان الاصيد

اخذه من قول بشار

خلقوا قادة فكانوا سواء   ككعوب القناة تحت السنان

اخذه أبو تمام فقال

جمعت عرى أعماله بعد فرقة   اليك كما ضم الانابيب عامل

وقال البحترى

اعطيتني حتى حسبت جزيل ما   اعطيتنيه وديعة لم توهب

اخذه من قول الفرزدق

اعطانى المال حتى قلت يودعني   أو قلت اعطيت مالا قد رآه لنا

وبيت البحتري اجود وقال البحترى

ارد دونك يقظانا ويأذن لى   عليك سكر الكرى ان جئت وسنا

اخذه من قول قيس بن الحطيم

ما تمنعي يقظي فقد تؤتينه   في النوم غير مصرد محسوب

وقال البحترى

ملوك يعدون الرماح مخاصرا   اذا زعزعوها والدروع غلائلا

وهذا مثل قول محمد بن عبدالملك الفقعسى ولعله منه اخذه

ولا لاقيا كعب بن عمرو يقودهم   ابو دهثم نسج الحديد ثيابا

وقال البحترى

كوعول الهضاب رحن وما يملكن الا الصم الرماح قرونا * وهذا من نوادر المعا

وماعرف مثله الا قول نصر بن حجاج بن علاط السلمي ولعله منه اخذه

تري غابة الخطي فوق بيوتهم   كما اشرفت فوق الصوار قرونها

وقال البحتري

ينال الفتى مالم يؤمل وربما   اتاحت له الاقدار مالم يحاذر

اخذه من قول الآخر وأنشده ثعلب

وحذرت من أمر فمر بجانبي   لم يلقني ولقيت مالم احذر

وقال البحتري

واذا الانفس اختلفن فما يغنى   اتفاق الاسماء والالقاب

اخذه من قول الفرزدق

وقد تلتقي الاسما في الناس والكني   كثيرا ولكن فرقوا في الخلائق

وقال البحتري

لم تخط بات الدهليز منصرفا   الا وخلخالها مع الشنف

اخذه من قول أبي نواس قد جمعوا آذانه وعقبه

وقال البحترى

ولست أعجب من عصيان قلبك لي   عمرا اذا كان قلبي فيك يعصيني

اخذه من قول حسين بن الضحاك الخليع

وتطمع ان يطيعك قلب سعدي   وتزعم ان قلبك قد عصاك

و بيت البحترى اجود وقال محمد بن وهب

هل الدهر الا غمرة ثم تنجلى   وشيكا والا ضيقة تتفرج

اخذه البحترى فقال

هل الدهر الا غمرة وانجلاؤها   وشيكا والا ضيقة وانفراجها

وقال في وصف الذئب

فاتبعتها أخرى واضللت نصلها   بحيث يكون اللب والرعب والحقد

وقال فى هذا المعنى

قوم ترى ارماحهم يوم الوغي　　مشغوفة بمواطن الكتمان

اخذه من قول عمر بن معدى كرب الزبيدى

والضاربين بكل ابيض مرهف　　والطاعنين مجامع الاضغان

ألا إن قول عمرو والطاعنين مجامع الاضغان في غاية الجودة والاصابة لانهم انما يطاعنون الاعداء من اجل اضغانهم فاذا وقع الطعن موضع الضغن فذلك غاية كل مطلوب

وقال البحترى

الي فتى يتبع النعمي نظائرها　　كالبحر يتبع أمواجا بامواج

اخذه من قول أبي ذهبل الجمحى

وليلة ذات اجراس وأروقة　　كالبحر يتبع أمواجا بامواج

وهذا انما أراد قول امرىء القيس

وليل كموج البحر أرخي سدوله　　على بانواع الهموم ليبتلى

وقال البحترى

محركا رأسه توهمه　　من عطسة قائما على شرف

يشبه قول الآخر

كأن أبا الشمى اذا تغني　　يحاكي عاطسا فى عين شمس

وقال البحترى

سقم دون اعين ذات سقم　　وعذاب دون الثنايا العذاب

اخذه من قول بشار

ذات الثنايا العذاب　　من دونهن عذاب

وقال البحتري

وكان فى جسمي الذي　　في ناظريك من السقم

اخذه من قول منصور بن الفرج

حل فى جسمي ما　　كان بعينيك مقيما

وقال البحترى

يجد بدر الدجي يدنو بشمس الي من الرحيق الخسرواني

اخذه من قول الخليع

قمر يحمل شمسا من رحيق الخسروان

وقال البحترى

كان سهيلا شخص ظمآن جانح مع الافق في نهى من الارض يكرع

اخذه من قول محمد بن يزيد الحصني السلمي يصف النجوم

حتى اذا ما الحوت فى حوض من الدلو كرع

وقال البحترى

قوم اذا شهدوا الكريهة صيروا كمم الرماح جماجم الاقران

اخذه من مسلم بن الوليد حيث يقول

يكسو السيوف رؤوس الناكثين به ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

واخذه مسلم من قول جرير

كان رؤوس القوم فوق رماحنا غداة الوغي تيجان كسري وقيصرا

وقال البحترى

ولم لا اغالى بالضياع وقد دنا على مداها واستنام اعوجاجها

اذا كان لي توسيعها واغتلالها وكان عليكم عشرها وخراجها

اظنه والله اعلم خذا على قول شبيب بن البرصاء

تري ابل الجار الغريب كانما بمكة بين الاخشبين مرادها

يكون عليه نقصها وضمانها وللجار ان كانت تريد ازديادها

وقال أبو صخر الهذلى

اغر اسيدى تراه كانه اذا جد يعطى ماله وهو لاعب

اخذه البحترى فقال

وادع يلعب بالدهر اذا جد فى اكرومة هزل

وقال عبد الصمد بن المعذل

ظبي كأن بخصره من رقة ظمأ وجوعا

اني علقت لشقوتي ياقوم ممنوعا منيعا

اخذه البحترى فقال

من غادة منعت وتمنع نيلها ولو انها بذلت لنا لم تبذل

فزاد على عبد الصمد بقوله بذلت لنا لم تبذل

وقال البحتري

سلبوا واسرقت الدمآ عليهم محمرة فكانهم لم يسلبوا

وهذا مثل قول الحسف بن السجف الضبي ويجوزان يكون اخذه منه

ففرقت بين اثنى همم بطعنة لها عاند يكسو السليب ازارا

قوله لها عاند يزيد الدم وقال عبد الملك بن عبد الرحمن الحارثى

واني ايدعوني لان استزيدها فؤادي واخشي سخطها واهابها

ونحوه قول البحتري ويجوز ان يكون اخذه منه

وعتبت من حبيك حتى انى اخشي ملامك ان ابثك مابي

وقال أبو نواس

بح صوت المال مما منك يشكو ويصيح

اخذه البحتري فقال

فكم لك فى الاموال من يوم وقعة طويل من الاهوال فيه عويلها

وقال جابر بن السليك الهمذاني

ارى بها الليل قدامى فيهشم بى اذا الكواكب مثل الاعين الحول

اخذه البحترى فقال

وخدان القلاص حولا اذا قا بلن حولا من انجم الاسحار

وقال عروة بن الورد

مطلا على اعدآئه يزجرونه   بساحاتهم زجر المنيح المشهر

فان بعدوا لا يامنون اقترابه   تشوف اهل الغائب المتنظر

الم به البحتري فقال

فترى الاعادي مالهم شغل   الا توهم موقع يقعه

وقال البحتري

على نحت القوافى من مقاطعها   وما على اذا لم تفهم البقر

ذكر على بن يحيي المنجم أن البيت للمحتم الراسي وكان شاعرا اتصل بمحمد ابن منصور بن زياد فكسب معه الف درهم فلما مات اتصل بمحمد بن يحيي بن خالد البرمكى فاساء صحبته فهجاه فقال

شتان بين محمد ومحمد   حي أمات وميت أحياني

فصحبت حيا فى عطايا ميت   وبقيت مشتملا على الخسران

فهذا مامر بي من سرقة البحتري من اشعار الناس على غير تتبع تخرجتها ولعلى لو استقصيتها لكانت نحو ما خرجته من سرقات ابى تمام وتزيد عليها وعلى انني قد بينت فى آخر الكتب فهما مر بى شيء الحقته به ان شاء الله تعالى *

وهذا ما اخذه البحترى من معاني ابي تمام خاصة

مما نقلته من صحيح ما خرجه الضياء بشر بن تمام الكاتب لانه استقصى ذلك استقصاء بالغ فيه حتى تجاوز الى ما ليس بمسروق فكفانا مؤونة الطلب

قال ابو تمام

فسواء اجابتى غير داع   ودعائي بالقفر غير مجيب

فقال البحتري

وسألت مالا يستجيب وكنت فى استخباره كمجيب من لا يسأل

وقال أبو تمام

فكاد بان يري للشرق شرقا   وكاد بان يري للغرب غربا

فقال البحترى

فأكون طورا مشرقا للمشرق الاقصي وطورا مغربا للمغرب

وقال ابو تمام

وإذا أراد الله نشر فضيلة   طويت أتاح لها لسان حسود

فقال البحتري

وإن تستبين نعمة الدهر موضع   اذا أنت لم تدلل عليها بحاسد

وقال ابو تمام

فإن تكن وقعة قاسيت سورتها   فالورد حلف لليث الغابة الاجم

إن الرياح اذا ما أعصفت قصفت   عيدان نجد ولم يعبأن بالرتم

فقال البحترى

فلست ترى شوك القتادة خائفا   سموم الرياح الآخذات من الرند

ولا الكلب محموما وان طال عمره   الا انما الحمى على الاسد الورد

وقال ابو تمام

رأيت رجائي فيك وحدك همة   ولكنه في سائر الناس مطمع

فقال البحتري

ثنى أملي فاحتازه عن معاشر   يبيتون والآمال فيهم مطامع

وقال ابو تمام

بمجند ومسود ومحسد   ومكفر وممدح ومعذل

فقال البحتري

ذاك المحمد والمسود والمكرم والمحسد

وقال ابو تمام

وقد قرب المرمي البعيد رجاؤه   وسهلت الارض العزاز ركائبه

فقال البحترى

ادار رحاه فاغتدي جندل الفلا   ترابا وقد كان التراب جنادلا

وقال ابو تمام

رافع كفه لبرى فما أحسبه جاني لغير الالطام

فقال البحترى

ووعد ليس يعرف من عبوس انقباضهم أو عـد أم وعيد

وقال ابو تمام

ونغمة معتف جدواه أحلى علي أذنيه من نغم السماع

فقال البحتري

نشوان من طرب السوال كانما غناء مالك طيء أو معبد

وقال أبو تمام

ومجربون سقاهم من بأسه فاذا لقوا فكانهم أغمار

فقال البحترى

ملك له في كل كريهة اقدام غر واعتزام مجرب

وقال أبوتمام

لا المنطق اللغو يزكوا في مقاومه يوما ولا حجة الملهوف تستلب

فقال البحتري

ان اغلموا حجة لم يلف مسترقا لها وان يهموا في القول لم يئا

وقال أبوتمام

مجد رعي تلعات الدهر وهو فتي حتى غدا الدهر يمشي مشية الهرم

فقال البحترى

صحبوا الزمان الفرط الا انه هرم الزمان وعزهم لم يهرم

وقال أبي تمام

كريم متى امدحه امدحه والوري معي واذا ما لمته لمته وحدي

فقال البحترى

اشكو نداه بعد أن وسع الورى ومن ذا يذم الغيث الا مذمم

وقال أبي تمام

البيد والعيس والليل التمام معاً ثلاثة ابدا يقرنّ فى قرن

فقال البحترى

اطلبا ثالثا سوآى فاني رابع العيس والدجى والبيد

وقال أبو تمام

نفع من قدمات بالامس صاديا اذا مالسماء اليوم طال انهمارها

فقال البحترى

واعلم بأن الغيث ليس بنافع للناس ما لم يأت فى أبانه

وقال أبو تمام

كاد مغانيه تهش عراصها فتركب من شوق الى كل راكب

فقال البحتري

ولو أن مشتاقا تكلف غيرما فى وسعه لمشي اليك المنبر

وقال أبو تمام

وكيف احتمالى للسحاب صنيعة باسقائها قبرا وفي لحده البحر

فقال البحترى

ملان من كرم فليس يضره مر السحاب عليه وهو جهام

وقال أبو تمام

فليشكروا جنح الظلام وزرودا فهم لزرود والظلام موالي

فقال البحتري

نجا وهو مولى الريح يشكر فضلها عليه ومن يولي الصنيعة يشكر

وقال أبو تمام

... المقيم فما تعدوا رواحله وعزمه ابدا منه على سفر

فقال البحتري

مسافر ومطاياه محللة غروضها ومقيم وهو مرتحل

وقال ابو تمام

وتشرف العليا وهل بك مذهب　　عنها وأنت على المكارم قيم

فقال البحترى

متقلقل العزمات في طلب العلا　　حتي تكون على المكارم قيما

وقال أبو تمام

فلم يجتمع شرق وغرب لقاصد　　ولا المجد فى كف امرىء والدراهم

فقال البحترى

ليغر وفرك الموفي وان اعوز　　ان يجمع الندى ووفوره

وقال أبو تمام

فوفرت يافوخ الجبال على الردى　　وزدت غداه الروع في نجدة النجد

فقال البحترى

ويغدو ونجدته في الوغى　　تدرب نجدات فرسانه

وقال أبو تمام

مازال وسواسي لعقلي خادعا　　حتى رجا مطرا وليس سحاب

فقال البحترى

وعجب أن الغيوم يرجين　　من لايري مكان الغيوم

وقال أبو تمام

بكل صعب الذري من مصعب يقظ　　اقام متئدا أم سار معتزما

فقال البحترى

لايبرح الحزم يستوفى صريمته　　أقام متئدا أم سار معتزما

فقال أبو تمام

لرددت تحفته عليه وان علت　　عن ذالك واستهديت بعض خصاله

وقال أبو تمام أيضا

وانفخ بنار طيب خيمك نفخة　　ان كانت الاخلاق مما توهب

فقال البحترى

لاتسل ربك الكثير وسله خصلة تستفيدها من خصاله

وقال أبو تمام

غريبة تونس الآداب وحشتها فما تحل على قوم وترتحل

فقال البحترى

ضوارب فى الافاق ليس بنازح بها من محل اوطنته ارتحالها

وقال أبو تمام

كانما خامره اولق أو غازلت هامته الخندريس

فقال البحترى

وتخال ريعان الشباب يروعه من جنة أو نشوة أو أفكل

وقال أبو تمام

حمد حبيت به وأجر حلقت من دونه عنقاء ليل مغرب

فقال البحترى

فانت تصيب المجد حيث تلالات كواكبه إن انت لم تصب الاجرا

وقال أبو تمام

تدعى عطاياه وفرا وهى ان شهرت كانت فخارا لمن يعفوه موتنقا

فقال البحترى

واذا اجتداه المجتدون فانه يهب العلي فى سيبه الموهوب

وقال أبو تمام

وتلبس اخلاق كراما كانها على العرض من فرط الحصانة ادرع

فقال البحترى

قوم اذا لبسوا الدروع لموقف لبسوا من الاحسان فيه دروعا

وقال أبو تمام

لما اظلتني غمامك اصبحت   تلك الشهود علي وهي شهودي

فقال البحتري

وممترضون ان حاولت امرا   بهم شهدوا على وهم شهودي

وقال أبو تمام

انضرت ايكتى عطاياك حتى   صار ساقا عودى وكان قضيبا

فقال البحتري

حتى يعود الذئب لثيا ضيغما   والغصن ساقا والقرارة نيقا

وقال أبو تمام   فما تصطاد غير الصيد

فقال البحتري   وتصطاد الفوارس صيدها

وقال أبو تمام

الان حين غرست فى كرم الندي   تلك المني وبنيت فوق أساس

فقال البحتري

غفل الرجال بنوا على جدد الثرى   لما بنوا وبنيت فوق أساس

وقال أبو تمام

فعلام الصدود من غير جرم   والصدود الفراق قبل الفراق

فقال البحتري

على ان هجران الحبيب هو النوى   لدي وعرفان المشيب هو العذل

وقال أبو تمام

وفتى اذا جنف الزمان فما يرى   الا الى عزماتـه يتظـلم

فقال البحتري

ولو انصفتني سر مراء لم أ كن   الي العيش من أوطانها أتظلم

وقال أبو تمام

من دوحة الكلم الذي لم ينفكك   وقفا عليك رصينه محبوسا

فقال البحتري

ولك السلامة والسلام فانني غاد وهن على علاك حبائس

وقال أبو تمام

وكذاك لم تفرط كآبة عاطل حتي يجاورها الزمان بحال

فقال البحترى

وقد زادها افراط حسن جوارها خلائق اصفار من المجد خلب

وقال أبو تمام

وما العرف بالتسويف الا كخلة تسلبت عنها حين شط مزارها

فقال البحترى

وكنت وقد املت مرا لحاجتي كطالب جدوى خلة لا تواصل

وقال أبو تمام

آساد موت مخدرات مالها الا الصوارم والقنا آجام

فقال البحترى

حشدت حولها سباع الموالى والموالي غاب لتلك السباع

وقال أبو تمام

ولاذت بحقويه الخلافة والتقت على خدرها ارماحه ومناصله

فقال البحترى

لاذت بحقويه الخلافة انها قسم لافضل هاشم بالافضل

وقال أبو تمام

قد جاءنا الرشأ الذي أهديته خرقا ولو شئنا لقلنا المركب

فقال البحترى

جملت عليه في سبيل فتوة هي الثغر خاف المجد بل تفضل الثغرا

وقال أبو تمام

وقد تألف العين الدجي وهو قيدها ويرجى شفاء السم والسم قا

فقال البحترى

ويحسن دلها والموت فيه | وقد يستحسن السيف الصقيل

وقال أبو تمام

أورقت لى وعدا وثقت بنجحه | بالامس الا انه لم يثمر

فقال البحترى

والوعد كالورق الجني تاودت | منه الغصون ونجحه ان يثمرا

وقال أبو تمام

ان الهلال اذا رأيت نموة | أيقنت ان سيكون بدرا كاملا

فقال البحترى

مثل الهلال بدا فلم يبرح به | صوغ الليالى فيه حتي اقمرا

وقال أبو تمام

ترمي باشباحنا الى ملك | نأخذ من ماله ومن أدبه

فقال البحتري

نغدوا فاما استمحنا من مواهبه | فضلا واما استفدنا منه آدابا

وقال أبو تمام

وما خير برق لاح في غير وقته | وواد غدا ملآن قبل أوانه

فقال البحتري

واعلم بان الغيث ليس بنافع | للناس ما لم يات في ابانه

وقال أبو تمام

لا يكرم السائل المعطى وان أخذت | منه الرغائب حتى يكرم الطلب

فقال البحترى

علمتنى الطلب الشريف وانما | كنت الوضيع من انضاع مطالبى

وقال أبو تمام

ارسي بناديك الندى وتنفست | نفسا بعقوتك الرياح ضعيفا

فقال البحتري

راحت لاربعك الرياح ضعيفة واصاب مغناك الغمام الصيب

وقال ابو تمام

الود للقربي ولكن رفده للأبعد الاوطاز دون الاقرب

فقال البحتري

بل كان اقربهم من سيبه سببا من كان ابعدهم من جذمه رحما

وقال ابو تمام

شرخ من الشرف المنيف يهزه هز الصحيفة شرخ عمر مقبل

قال البحتري

ادركت مافات الكهول من الحجي في عنفوان شبابك المستقبل

وقال ابو تمام

بعثن الهوي في قلب من ليس هائما فقل في فواد رعنه وهو هائم

فقال البحتري

فبعثن وجداً للخلي وزدن في برحاً وجد الهائم المستهتر

وقال ابو تمام

غرة مرة الا انما كنت اغرا أيام كنت بهيما

فقال البحتري

عجبت لتفويف القذال وانما تفويقه لو كان غير مفوف

وقال ابو تمام

وما زالت تجد أسي وشوقا له وعليه اخلاق الرسوم

فقال البحتري

فهيج وجدي ربعها وهو ساكن وجد شوقي رسمها وهو مخلق

وقال ابو تمام

يراه يذب عن حرم المعالى   فتحسبه يدافع عن حريم

فقال البحتري

حامى عن المكرمات مجتهداً   ذب المحامى عن ماله ودمه

وقال ابو تمام

تنصل ربها من غير جرم   اليك سوى النصيحة والوداد

فقال البحترى

اقر بما لم اجنه متنصلا   اليك على اني اخالك الوما

وقال ابو تمام

وتند عندهم العلي الا علا   جعلت لها مرر القصيد قيوداً

فقال البحتري

والمجد قد يابق عن أهله   لولا عري الشعر الذى قيده

وقال ابو تمام

شك حشاها بخطبة عنز   كأنها منه طعنة خلس

فقال البحترى

فرحت جونها بخطبة فيصل   مثل لها فى الروع طعنة فيصل

وقال ابو تمام

جم التواضع والدنيا بسودده   تكاد تهتز من اقطارها صلفا

فقال البحترى

ايدى التواضع لما نالها رعة   عنها فنالته فاختالت به تيها

وقال ابو تمام

اذا اطلقوه عن جوامع عقله   تيقن ان المن أيضاً جوامع

فقال البحتري

وفى عفوه لم يعلمون عقوبة   تقعقع فى الاعراض ان لم يعاقب

وقال ابو تمام

قصر بذلك عمر وعدلا تحولي شكراً يعمر عمر سبعة انسر

فقال البحترى

وجعلت نيلك تلو وعدك قاصراً عمر العدو به وعمر الموعد

وقال ابو تمام

دعا شوقه ياناصر الشوق دعوة فلباه طل الدمع يجري ووابله

فقال البحترى

نصرت له الشوق اللجوج بعبرة تواصل فى أعقاب وصل تصرما

وقال ابو تمام

من ليلة في وبلها ليلاء فلو عصرت الصخر صار ماء

فقال البحترى

أشرقن حتى كاد يقتبس الدجى ورطبن حتى كاد يجرى الجندل

وقال ابو تمام

ير بدأت به ودار بابها للخلق مفتوح ووجه مقفل

فقال البحترى

الم بابك معقود على خلق وراءه مثل مد النيل محلول.

هذا ماأخذه البحترى من ابي تمام

ولعل قائلا يقول قد تجاوزت فى هذا الباب وقصرت ولم تستقص جميع ماخرجه ابو الضيا بشر ابن تميم من المسروق وليس الامر كذلك بل قد استوفيت جمعية فاوضحت وسامحت بان ذكرت ما لعله لا يكون مسروقا وان اتفق المعنيان أو تقاربا غير انى اطرحت سائر ماذكره أبو الضيا بعد ذلك لانه لم يقنع بالمسروق الذي يشهد التامل الصحيح بصحته حتى تعدى ذلك الى التكثير والى أن ادخل في الباب ما ليس عنه بعد أن قدم مقدمة افتتح بها كلامه وقال ينبغي لمن نظر فى هذا الكتاب أن لا يعجل بان يقول ما هذا ماخوذ من هذا حتى يتامل المعنى دون اللفظ ويعمل الفكر فيما خفى وانما السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه وابعد آخذه فى اخذه قال ومن الناس من يبعد ذهنه الا عن مثل بيت امرء القيس وطرفة حين لم يختلفا الا فى القافية فقال أحدهما وتجمل وقال الآخر وتجلد قال وفى الناس طبقة اخرى يحتاجون

الى دليل من اللفظ مع المعنى وطبقة يكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر وهم قليل فجمل هذه المقدمة توطيئة لما اعتمده من الاطالة والحسد وان يقبل منه كل ما يورده ولم يستعمل مما وصي به من التأمل واعمال الفكر شيئاً ولو فعل ذلك لرجوت ان يوفق لطريق الصواب فيعلم أن السرق إنما هو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر لا في المعاني المشتركة بين الناس التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده ان يقال أخذه من غيره غير أن أبا الضيا استكثر من هذا الباب وخلط به ما ليس من السرق في شيء ولا بين المعنيين تناسب ولا تقارب وانى بضرب آخر ادعى فيه أيضاً السرق والمعاني مختلفة وليس فيه الا اتفاق الفاظ ليس مثلها ما يحتاج واحد ان يأخذه من آخر اذا كانت الالفاظ مباحة غير محظورة فبلغ غرضه في توفير الورق وتعظيم حجم الكتاب وانا اذكر من هذه الابواب امثلة تدل على صحة ما ذكرناه ونجعلها قياساً على ما لم نذكره فان في البعض غنى عن الاطالة بذكر الكل فما أورده ابو الضياء من المعاني المستعملة الجارية مجارى الامثال وذكر ان البحتري اخذه من أبي تمام قول ابو تمام

جري الجود مجرى النوم منه فلم يكن بغير سماح أو طعان بحالم

وقول البحتري

ويبيت يحلم بالمكارم والعلي حتى يكون المجد جل منامه

وهذا الكلام موجود في عادات الناس ومعروف في معاني كلامهم وجار كالمثل على السنتهم بان يقولوا لمن أحب شيئاً أو استكثر منه فلان لا يحلم الا بالطعام وفلان لا يحلم الا بفلانه من شدة وجده بها وهذا الزنجي ما حلمه الا بالتمر ولا يقال الا لمن كانت هذه سبيله سرق وانما يقال له اتفاق فان كان واحد سمع هذا المعنى أو مثله من آخر فاحتذاه فانما ذكر معنى قد عرفه واستعمله لا انه أخذه أخذ سرقة وانشد لابي تمام

اذا القصائد كانت من مدائحهم يوماً فأنت لعمري من مدائحها

فذكر ان البحتري اخذه فقال

ومن يكن فاخراً بالشعر يذكر في أضعافه فبك الاشعار تفتخر

وهذا غلط على البحتري لان الناس لا يزالون يقولون فلان زين الثياب ولا تزينه ويجمل الولاية ولا تجمله وفلانة تزيد في حسن الحلي ولا يزيد في حسنها وفلان تفتخر به الانساب ولا يفخر بها وهذا ليس من المعاني التي لا يجوز ان يدعي أحد من الناس انه ابتدعها

واخترعها أو سبق اليها ولا يجوز ان يكون مثل هذا اذا اتفق فيه خطيبان أو شاعران أن يقال أحدهما أخذه من الآخر

وانشد لابى تمام

ثم انقضت تلك السنون واهلها فكأنها وكأنهم احلام

وذكر أن البحترى اخذه فقال

وايامنا فيك اللواتي تصرمت مع الوصل اضغاث واحلام نائم

وكأنه ما سمع الناس يقولون ما كان الشباب الاحلما وما كانت ايامه الا نومة نائم وأما أشبه ذلك اللفظ فكيف يجوز أن يكون ذلك مسروقا وذكر أن من ذلك قول ابى تمام قد يقدم العير من ذعر على الاسد وقول البحترى

فجاء مجيء العير قادته حيرة الى اهرت الشدقين تدمى اظافره

أولم يسمع ما هو كالمجمع عليه من أن العير اذا رأى السبع اقبل اليه من شدة خوفه منه حتى صار مثلا يتمثل به كما يتمثل بالفراشة اذا تهافتت فى النار وفي ذلك امثال واشعار كثيرة فما اظن علمها سقط عن البحترى

ومن ذلك قول ابى تمام

هيهات لم يعلم بانك لو ثوى بالصين لم تبعد عليك الصين

وقول البحترى

يضحى مطلا على الاعداء لو وقعوا فى الصين من بعدها ما استبعد الصينا

وهذا جار على افواه العامة والخاصة والنساء والصبيان أن يضربوا المثل فى البعد بالصين وأن يوقعوا التهدد به فيقولون لو انك بالصين لما بعدت على فكيف لا يهتدى البحترى الى مثل هذا ومن ذلك قول ابي تمام

كان بني نبهان يوم وفاته نجوم سماء خر من بينها البدر

وقول البحترى

فاذا لقيتهم فموكب انجم زهر وعبد الله بدر الموكب

وهذا معنى متقدم مبتذل جاء النابغة وغيره وكثر على الالسن حتى صار اشهر من كل مشتهر و بيت ابي تمام خاصة فانما سرقه على سياقه من مريم بنت طارق ترثى اخاها

كنا كأنجم ليل بينها قمر يجلو الدجى فهو من بيننا القمر

ومن ذلك قول ابى تمام

همة تنطح النجوم وجد آلف للحضيض فهو حضيض

وقول البحترى

متحير يغدو بعزم قائم فى كل نائبة وجد قاعد

وهذان المعنيان جنسهما واحد ولفظهما مختلف وهما شائعان فى الكلام وجاريان في الامثل يقال فلان عالى الهمة وهمته فى الثريا وحاله فى الحضيض وفلان سلم بهمته ولكن قعد به حظه ونحو هذا من اللفظ فليس يجوز أن يعتور هذا المعنى شاعران فيقال احدهما أخذه من الآخر

ومن ذلك قول ابى تمام

وليست فرحة الاوبات الا لموقوف على ترح الوداع

وقول البحترى

ما لشيء بشاشة بعد شيء كتلاق مواشك بين بعد

وهذا معنى مستفيض معروف ومنه قول الحجاج بن يوسف لولا فرحة الاوبات لما عرفتهم الا بالاسفار وغرض كل واحد من هذين البيتين مخالف لغرض صاحبه لان اباتمام ذكر انه لا يفرح بالقدوم الا من شجاه واحزنه التوديع واراد البحترى انه ليس شىء من المسرة والجذل اذا جاء فى اثر شيء ما كالتلاقى بعد التفرق فليس وان كان جنس المعنيين واحدا وجب ان يقال ان احدهما أخذه من الاخر لان هذا قد صار جاريا فى العادات وكثيرا على الالسن فالتهمة ترتفع عن أن ياخذ أحد عن أحد ومن ذلك قول ابى تمام

لهم نشب وليس لهم سماح واجسام وليس لهم قلوب

وقول البحترى

خلق ممثلة بغير خلائق ترجى وأجسام بلا ارواح

وهذا الكلام ايضا هو اعرف في كلامهم واشهر من أن يحتاج شاعر ان ياخذه من الآخر وهم دائما يقولون ما فلان الا شبح من الاشباح وماهو الا صورة فى حائط أو جسد فارغ ونحو هذا من القول الشائع المشتهر

ومن ذلك قول ابى تمام

لا تدعون نوح بن عمرو دعوة ... للخطب الا ان يكون جليله

وقول البحترى

يا أبا جعفر وما أنت بالمد ... عو الا لكل امر كبارَ

ونسي قول الناس اختر لعظيم الحوائج العظيم من الناس ولكبير الامور كبيرهم وقال رجل لابن عباس ان لى حاجة صغيرة فقال اطلب لها رجلا صغيرا

ومن ذلك قول أبى تمام

بيض فهن اذا رمقن سوافرا ... صور وهن اذا رمقن صوار

وقول البحترى

اني لحظت فانت جؤذر رملة ... واذا صردت فانت ظبي كناس

وهذا تشبيه أعين النساء باعين البقر وتمثيلهن بالصوار وبالظباء وجل كلام العرب عليه يجرى فلا تكون الشعراء فيه الا متفقين * ومن ذلك قول أبى تمام

ولقد جهدتم ان تزيلوا عزه ... فاذا أبان قد رسا ويلملم

وقول البحتري

ولن ينقل الحساد مجدك بعدما ... تمكن رضوي واطمأن متالع

وهذا المعني أيضا شائع من معانيهم وكثير في اشعارهم ومنه قول الفرزدق

وادفع بكفك ان أردت بناءنا ... ثهلان ذا الهضبات هل يتحلحل

وقوله يخاطب جريراً أيضاً * فرم حضننا فانظر متى أنت ناقله افترى البحتري ما سمع هذا من قول الفرزدق ولا من قول غيره حتى سمعه أبو تمام فنقله

ومن ذلك قول أبى تمام

وفى شرف الحديث دليل صدق ... لمختبر على شرف القديم

وقول البحتري

على أنا نوكل بالاداني ... وتخبرنا الفروع عن الاصول

وهذا معنى شائع فى الكلام أيضا مشهور كثير على الافواه ان يقولوا ان العروق عليها نبتت

الشجر ومن أشبه أباه فما ظلم والعصى من العصية والغصن من الشجرة ودلت على الام السخلة ومثل هذا لا يكون مأخوذاً مستعاراً

ومن ذلك قول أبي تمام

ولذاك قيل من الظنون جلية　　صدق وفى بعض القلوب عيون

وقول البحتري

واذا صحت الروية يوما　　فسواء ظن امرء وعيانه

وهذا ايضا من الامثال المشهورة المبذولة السائرة وهو قولهم ظن كيقين ومن ذلك قول أوس بن حجر

الا لمعى الذى يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا

وقول أبي تمام

لانجم من معشر الا وهمته　　عليك دائرة ياأيها القطب

بقي بيت البحتري لم يذكره وهو هذا

ودارت بنو ساسان طرا عليهم　　مدار النجوم السائرات على القطب

وكأنه ماسمع قول الناس فلان قطب هذا الامر وعلى فلان مدار القصة ونحو هذا من القول الذى يستغنى الانسان بما جرى منه في عادته ان يستعيره من غيره ومن ذلك قول أبي تمام

واقل الاشيا محصول نفع　　صحة القول والفعال مريض

وقول البحترى

وما لمثلى فى القول منك رضي　　والقول فى المجد غير محسوب

وأبو تمام زعم ان رونق القول بالمواعيد لا يتحصل منه نفع اذا لم يكن فعال وجعل الصحة فى القول والمرض فى الافعال مثلين في الاستعارة والبحتري انما ذكر انه لا يرضى بالقول لان القول لا يحتسب به للماجد بغير فعل فالغرضان مختلفان والمعنى معني واحد شائع جار في عادات الناس ان يقولوا انما زيد كلام وانما عمرو قول بلا فعل ومثل هذا مع كثرته على الالسن لا يقال انه مسروق

ومن ذلك قول أبي تمام

ستر الصنيعة واستحر ملعنا   يدعو عليه النائل المظلوم

وقول البحتري

إكافر منك فضل نعمى   وستر نعمى الكريم كفر

فذكر أبو تمام رجلا ذمه بستر الصنيعة وجعله ملعنا يدعو عليه النائل المظلوم على الاستعارة والبحتري ذكر ان ستر النعمي كفر وكلا اللفظين مستعملان شائعان على الالسن فلا يقال لمن تكلم باحد اللفظين انه استعارة من الآخر

ومن ذلك قول أبي تمام

شهدت جسيمات العلى وهو غائب   ولو كان ايضا شاهدا كان غائبا

وقول البحترى

بشير لكم فيها نذير لغيركم   له شاهد عن موضع الفهم غائب

وهذا المعنى أيضاً جار على الافواه ومستعمل فى الكلام تعرفه العامة كما تعرفه الخاصة وذلك قولهم فلان شاهد كغائب وحاضر كمن لم يحضر وفلان سواء والعدم ومن ذلك قول أبي تمام

دعيني علي اخلاقي الصمل التي   هى الوفر أو سرب ترن نواديه

وقول البحترى

وخد القلاص يردنى لك بالغنى   فى بعض ذا التطواف أو يردينى

وهذان المعنيان اصلهما واحد وهو قول امرء القيس

نحاول ملكا أو نموت فنعذرا وشهرته وكثرة استعمال الناس اياه يغني البحترى عن ان يقال أنه استعاره أو اخذه   ومن ذلك قول أبي تمام

كحلت بقبح صورته فامسي   لها انسان عينى فى السياق

وقول البحترى

شكوت قذى بعينك بات يدمي   كانك قد نظرت الي طماس

وهذا أيضا من المعاني التى تمنع شهرتها وابتذال العامة والخاصة لها من ان يقال أنها

مسروقة وان واحداً ائتم فيها بآخر وماجاء به أبو الضيا على أنه مسروق والمعنيان مختلفان ليس بينهما اتفاق ولا تناسب قول أبي تمام

فاقسم الاحظ بيننا. ان في الاحظ لعنوان مايجن الضمير

وقول البحتري

سلام وان كان السلام تحية فوجهك دون الرد يكفي المسلما

وأبو تمام سال من يخاطبه ان يقبل عليه ويجعل له قسطاً من النظر فان ادامة النظر تدل على المودة كما ان الاعراض يدل على البغض والبحتري انما سلم على الهيثم الغنوى وذكر ان السلام تحية وان وجهه لجماله وطلاقته يكفى المسلم قبل رده والمعنيان مختلفان وليس لواحد منهما من الرقة والغرابة ماينسب احدها أنه محذو على الآخر أو مسروق منه ومن ذلك قول أبي تمام

ورحب صدر لو ان الارض واسعة كوسعه لم يضق عن أهله بلد

وقول البحتري

مفازة صدر لو تطرق لم يكن ليسلكها فردا سليك المقانب

وأبو تمام ذكر ان رحب صدر الممدوح وسعته تزيد على سعة الارض فاسرف واخطا فى المعنى بما قد ذكرته في باب خطائه فى المعانى والبحتري ذكر سعة صدر الممدوح وجعل له مفازة على الاستعارة وذكر أنه لو تطرق لم يكن ليسلكها سليك الذى لم يكن ليتعذر عليه سلوك الارض وان عرضت وطالت وانما أراد جميعا سعة صدر الممدوح كما جرت العادة بهذا الضرب من المدح فافرطا ولكن سلك كل واحد منهما معني غير معنى صاحبه كما ترى ومن ذلك قول أبي تمام

انما البشر روضة فاذا ما كان بر فروضة وغدير

وقول البحتري

فان العطاء الجزل مالم تحله بشرك مثل الروض غير منور

فاراد ابو تمام البشر مع البركا لروضة والغدير واراد البحتري ان العطا ما لم يكن معه بشر كان كالروض غير منثور فليس بين المعنيين اتفاق الا فى ذكر البشر والروض والالفاظ غير محظورة على واحد

ومن ذاك قول ابي تمام

واني ما حورفت فى طلب الغنى ولكنما حورفتم فى المكارم

وقول البحترى

اذ ابتدا بخلاء الناس عارفة يتبعها المن فالمرزوق من حرما

فاراد ابو تمام انه ليس بمجدود ولا محارف في ملتمساته ومطالبه ولكن الذين امهم وطلب ماعندهم حورفوا في مكارمهم فاحسن فى المعني واللفظ كل الاحسان واراد البحترى ان البخيل اذا امتن بمعروفه فالمرزوق من حرم ذاك المعروف فهذا المعنى غير معني ابي تمام وليس بينهما اتفاق ولا تقارب

ومن ذلك قول ابى تمام

اذا شب ناراً أقعدت كل قائم وقام لها من خوفه كل قاعد

فقال البحترى

ومبجل وسط الرحال خفوفهم لقيامه وقيومهم لقعوده

وليس احد المعنيين من الاخر في شيء لان ابا تمام اراد أن الممدوح اذا شب نار الحرب اقعدت كل قائم لقتاله ومنابذته اى ترعج كل واحد خوفا وفرقا وذلك ماخوذ من قول الفرزدق

أتاني ورحلي بالمدينة وقعة لآل تميم اقعدت كل قائم

وقوله وقام لها من خوفه كل قاعد أى زال عن الطمأنينة والقرار فقام وانما تريد انزعاج الخائف فجعل ذلك قياما له والبحترى انما ذكر أن الرجال انما يخفون لقيام ممدوحه أى يسرعون بين يديه اذا قام فاذا قعد قاموا اجلالا وهيبة وان من شأنه ان لا يجلس احد بجلوسه وان يكون الناس كلهم قياما اذا جلس والمعنيان مختلفان وليس بينهما اتفاق الا فى ذكر القيام والقعود والالفاظ مباحة

ومن ذلك قول ابي تمام

ورب يوم كأيام تركت به متن القناة ومتن القرن منقصفا

وقول البحترى

فى معرك ضنك تخال به القنا بين الضلوع اذا انثنين ضلوعا

وليس بين المعنيين اتفاق الا في ان الشاعرين وصفا حال الطعن بالقنا كيف يقع فذكر

والاتفاق ههنا انما هو في القول والفعل ومن ذلك قول ابى تمام

وما يوم زرت الحديو مالك وحده عليها ولكن يوم زيد وحاتم

وقول البحتري

يابيض وضاح كان قميصه يزر على الشيخين زيد وحاتم

افترى البحترى ماسمع بذكر زيد الخيل ولا حاتم الطاي اللذين يفخر بهما اليمن كانهما فيشبه ممدوحه بهما الا من بيت ابى تمام ومن ذلك قول ابى تمام

لعمرك ما كانوا ثلاثة أخوة ولكنهم كانوا ثلاث قبائل

وقول البحتري

كانوا ثلاثة أبحر أفضي بهم ولسع المنون الى ثلاثة أقبر

فجعلهم ابو تمام ثلاث قبائل وجعلهم البحترى ثلاثة ابحر فليس ههنا اتفاق الافي ذكر ثلاثة ومن ذلك قول ابي تمام

كتابا من الالوان أبيض ناصع واحمر قاني واصفر فاقع

وقول البحترى

من واضح يقق واصفر فاقع ومضرج جسد واحمر قاني

افتري البحترى لم يكن ليهتدى الى اصفر فاقع واحمر قاني لولا بيت ابى تمام ومن ذلك قول ابى تمام

لولا منا شدة القربي لغادركم فريسة المرهفين السيف والقلم

وقول البحترى

زنت الخلافة اشراقا وقد حبطت وذدت عن حقها بالسيف والقلم

وكذلك ايضا لم يكن البحتري يهتدى الى الجمع بين السيف والقلم لو لم يجمعهما ابو تمام ومن ذلك قول ابى تمام

أبى لى نجر الغوث ان أرأم التى اسب بها والنجر يشبهه النجر

وقول البحترى

سيد نجر المعالي نجره يملك الجود عليه ماملك

وقد كان ينبغي لابي الضيا ان لايخرج مثل هذا فى السرق ولا يفضح نفسه
ومن ذلك قول ابي تمام

متوطئوا عقبيك في طلب العلى   والمجد ثمة تستوى الاقدام

وقول البحترى

حزت العلى سبقا وصلى ثانياً   ثم استوت من بعده الاقدام

ومثله قول ابى تمام

في غداة مهضومة كان فيها   ناضر الروض للسحاب نديما

وما يجعل مثل هذا مسروقا الا من لامعرفة له بجلي المعانى فضلا عن خفيها ومن
ذلك قول ابي تمام يصف الفرس

من كل كل تليدة اعراقه   طرف معم فى السوابق مخول

وقول البحتري

وافى الضلوع يشد عقد حزامه   يوم اللقاء على معم مخول

وما في معم مخول من الغرابة حتى يتلقنه البحتري من أبي تمام على كثرته على الالسن
وقول الناس في مدح الفرس كريم الآباء والامهات وشريف الانساب
ومن ذلك قول ابى تمام

فاذرت جمانا من دموع نظامها   على الخد إلا أن طالعها السفر

وقول البحتري

جري فى نحرها من مقلتيها   جمان يستهل على جمان

فالاتفاق ههنا انما هو فى لفظ جمان وقول ذلك نظامها على الخد وقول هذا جري
بنحرها فلا يقتضي ان يكون أحدها ماخوذا من الاخر لان الدمع على الخد
جريه والى النحر يصل وهذه حال لايجهلها احد ممن وصف الدمع
ومن ذلك قول ابي تمام

وهل للقريض الغض أو من يحوكه   على أحد إلا عليك معول

وقول البحترى

وعليك سقياهم لنا إذ لم يكن   فى توبة إلا عليك معول

حظر على البحترى لفظة معول وحرمها عليه من اجل ان أبا تمام لفظ بها

ومن ذلك قول أبي تمام

وإذ امرؤ أهدي اليك صنيعة من جاهه فكانها من ماله

وقول البحترى

فان حمدي وللرياح اللواتي تجلب الغيث مثل جمد الغيوم

فمعنى أبي تمام مشترك بين الناس وليس مخترعا لانك أبداً تسمع قول القائل اذا بلغ حاجته بشفاعة أن يقول للشفيع ما اعتد هذه الا من الله ومنك فليس لابى تمام فيه شيء اكثر من ان اعبر فيه بعبارة حسنة مكشوفة فالبحتري لم يأخذ المعني منه لانه فى العادات موجود ولكنه احسن فى التمثيل واغرب وابدع

﴿ وهذا الآن ما أخطأ فيه البحترى من المعانى قال البحتري ﴾

ذنب كما سحب الرداء يذب عن عرف وعرف كالقناع المسبل

هذا خطأ من الوصف لان ذنب الفرس اذا مس الارض كان عيبا فكيف اذا سحبه وانما للممدوح من الاذناب ما قرب من الارض ولم يمسها كما قال امرؤ القيس

يضاف فريق الارض ليس باعزل فقال فويق الارض بقليل

وقد عيب على امرىء القيس قوله

لها ذنب مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دبر

وما أرى العيب لحق امريء القيس في هذا لان العروس اذا كانت تسحب ذيلها وكان ذنب الفرس اذا مس الارض فهو عيب فليس ينكر ان يشبه الذنب به وان لم يبلغ أن يمس الارض لان الشيء انما يشبه بالشيء اذا قرب منه أو دنا من معناه فاذا اشبهه في اكثر احواله فقد صح التشبيه ولاق به ولان امرىء القيس لم يقصد طول الذنب أن يشبهه بطول ذيل العروس فقط وانما أراد السبوغ والكثرة والكثافة ألا تراه قال تسد به فرجها من دبر وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس الارض ولا يكون كثيفا بل يكون رقيقا نزر الشعر خفيفا فلا يسد فرج الفرس فلما قال تسد به فرجها علمنا انه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول فانما أشبه الذنب الطويل ذيل العروس من هذه الجهة وكان في الطول قريبا منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب ولا أن يكون ذنب الفرس من أجل تشبيهه بالذيل مما يحكم على الشاعر أيضا انه قصد الى ان

الفرس يسحبه على الارض وانما العيب في قول البحتري ذنب كما سحب الرداء فانسح
بان الفرس يسحب ذنبه ومثل قول امرىء القيس قول خداش بن زهير

لها ذنب مثل ذيل الهدي   الي جؤجؤ أيد الزافر

الهدي العروس التي تهدى الى زوجها وأيد شديد والزافر الصدر لانها تزفر منه فانما أراد
بذيل العروس طوله وسبوغه فشبه الذنب السابغ به وان لم يبلغ في الطول الى أن يمس الارض
ومما يصحح ذلك قولهم فرس ذيال اذا كان طويلا طويل الذنب فاذا كان قصيرا طويل الذنب
قالوا ذائل وانما قالوا ذلك تشبيها للذنب بالذيل لا غير قال النابغة

بكل مدجج كالليث يسمو   الي أوصال ذيال رفن

رفن ورفل واحد وهو الطويل الذنب وقد استقصيت الاحتجاج لبيت امرء القيس فيما
بينته من سهو ابي العباس عبد الله بن المعتز فيما أدعاه على امرء القيس من الغلط في كتابه الذي
جمع فيه سرقات الشعراء   وقال البحتري

هجرتنا يقظى وكادت على عا   داتها في الصدود تهجر وسنى

وهذا غلط لان خيالها يتمثل له في كل أحوالها يقظي كانت أو وسنى والجيد قوله

أرد دونك يقظانا ويأذن لي   عليك سكر الكرى ان جئت وسنانا

فصحح المعني واتى به على حقيقته وكذلك قوله

اذا ما تباذلنا النفائس حلنا   من الجد أيقاظا ونحن نيام

وقوله   نعذب ايقاظا وننعم هجدا

جيد أيضا لانه حملها على أن حالها مع خياله اذا نامت كحاله مع خيالها اذا نام وان كل واحد منهما
ينعم مفردا مع خيال صاحبه لانهما ينعمان معا في حال واحدة اذا نام أحدهم نرى خيال
الآخر وانما أخذ معنى بيته الاول وعليه بني أكثر أوصافه للخيال من قول قيس بن الخطيم

أني سربت وكنت غير سروب   وتقرب الاحلام غير قريب

ما تمنعي يقظي فقد تؤتينه   في النوم غير مصرد محسوب

وما أظن أحدا سبق قيسا الى هذا المعنى في وصف الخيال وهو حسن جدا ولكن فيه

أيضا مقال لمعترض وذلك هو الذى أوقع البحترى فى الغلط لان قيسا قال ما تمنعي يقظي فقد تؤتينه فى النوم فاراد أيضا انها تؤتيه نائمة وخيال المحبوب يتمثل فى حال نوم المحب ويقظته كما ذكرت وكان الاجود لو قال ما تمنعي فى اليقظة فقد تؤتينه في النوم أى ما تمنعينه في يقظتى فقد تؤتينه في حال نومى حتى يكون النوم واليقظة معا منسوبة اليه الا انه يتسع من التأويل لقيس ما لا يتسع للبحتري لان قيسا قال فقد تؤتينه فى النوم فقد يجوز أن يحمل على انه أراد ما تمنعي يقظي وأنا يقظان فقد تؤتينه فى نومي ولا يسوغ مثل هذا فى بيت البحترى لان البحتري قال وسنى ولم يقل فى الوسن وقال البحترى في مدح المعتز بالله

لا العذل يردعه ولا التعنيف عن كرم يصده

وهذا عندي من اهجن ما مدح به خليفة وأقبحه ومن ذا يعنف الخليفة أو يصده ان هذا بالهجو أولى منه بالمدح وقال البحترى

تشق عليه الريح كل عشية جيوب الغمام بين بكر وايم

وهذا أيضا غلط لانه ظن أن الايم هي بالثيب وقد غلط في مثله أبو تمام وذكرته فى غاليطه وسها فيه أيضا بعض كبار الفقهاء فظن البحترى ان الايم هي الثيب فجعلها في البيت ضد البكر والايم هي التى لا زوج لها بكرا كانت أو ثيبا قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم أراد جل ثناءه اللواتى لا أزواج لهن فالبكر والثيب جميعا داخلتان تحت الآية فتكون بكرا وتكون ثيبا وتكون بكرا ومعنسا وكعابا الا أن لفظة أيم لا تزول عن شيء من هذه الاوصاف وليست عبارة الاعن التى لا زوج لها لا غير وقد شرحت هذا المعنى شرحا شافيا في غلط أبي تمام وقال البحترى

شرطي الانصاف أن قيل اشترط وصديقى من اذا قال قسط

وكان يجب أن يقول أقسط أي عدل وقسط بغير الف معناه جار قال الله تبارك وتعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقال ان الله يحب المقسطين

وقال البحيرى

صبغة الافق بين اخر ليل منقض شانه وآخر فجر

يصف فرسا اشقر أو خلوقيا والحمرة لا تكون بين آخر الليل وأول الفجر وهو عندى في هذا غالط لان أول الفجر الزرقة ثم البياض ثم الحمرة عند بدوء قرن الشمس كما أن آخر النهار عند غيبوبة الشمس الحمرة ثم البياض ثم الزرقة وهى آخر الشفق

وقال البحترى

وازرق الفجر يبدو قبل أبيضه   واول الغيث رش ثم ينسكب

وقال آخر

وان يسجع القمري فيها اذا غدا   بركبانه قرن من الشمس أزرق

وكان البحترى اراد أن يقول بين آخر ليل منقض شانه وأول نهار فيكون قد قابل بين الليل والنهار والحمرة قد تكون بين آخر الليل وأول النهار كما تكون بين آخر النهار وأول الليل فقال وأول فجر صفرة والجيد فى هذا قول ابي تمام يصف فرسا اشقر * كأن قد كسفت فى اديمة الشمس   وقال البحترى

قف العيس قد ادني خطاها كلالها   وسل دار سعدي ان شفاك سؤالها

هذا لفظ حسن ومعنى ابس بالجيد لانه قال قد ادنى خطاها كلالها أى قارب من خطوها الكلال وهذا كانة لم يقف لسؤال الدار التى تعرض لان يشفيه سؤالها وانما وقف لاعياء المطي والجيد قول عنتره لانه لما ذكر الوقوف على الدار احتاط بان اشبه ناقته بالقصر فقال

فوقفت فيها ناقتي وكانها   فدن لاقضي حاجة المتلوم

قال ذالك ليعلم انه لم يقف بها ليريحها وقد كشف عن هذا المعنى ذو الرمة فاحسن واجاد فقال

انخت بها الوجناء لا من سآمة   لثنتين بين اثنين جاء وذاهب

يقول انخت بها الاصلى لا من سآمة بها وقوله لثنتين يريد اللتين يقصرها المسافر بين اثنين جاء يريد الليل وذاهب يريد النهار فان قيل فانما قال قد ادنى خطاها كلالها ليعلم انه قصد الدار من شقة بعيدة قيل العرب لا تقصد الدار للوقوف عليها وانما تجتاز بها فيقول الرجل لصاحبه أو صاحبيه قف وقفا وانما ذالك تعريج على الديار فى مسيرها وسأزيد فى شرح هذا المعنى فيما بعد عند ذكر الوقوف على الديار   وقال البحترى

غريب السجايا ماتزال عقولنا   مدلهة فى خلة من خلاله

اذا معشر صانوا السماح تعسفت   به همة مجنونة فى ابتذاله

قوله اذ معشر صانوا السماح معنى ردىء لان البخيل ليس من أهل السماح فيكون

له سماح يصونه وسواء عليه قال صانوا السماح أو صانوا الجود أو صانوا الكرم فان هذا كله لا يملك البخلاء منه شيئاً وهو منهم بعيد فكيف يصونونه فان قيل انما اقام السماح مقام الشيء الذي يسمح به وفي مجازات العرب ماهو ابعد من هذا قيل البحتري لا يسوغ مثل هذا ولا يجوز له لانه متأخر ولاسيما ان ليست ههنا ضرورة لانه كان يمكنه أن يقول صانوا الثري مكان صانوا السماح ﴿وهذا ما عيب به البحترى وليس بعيب﴾ وانما ذكرته ليلا يظن ظان انه صحيح واني تخطيئته فمن ذلك ما نعاه عليه اصحاب ابى تمام وهما بيتان وقد ذكرت احتجاج اصحاب البحترى فيهما في الجزء الاول من هذا الكتاب وانا اعيد ذكرهما لزيادة عندى فى الاحتجاج يحتاج اليها

انكروا عليه قوله

تخفي الزجاجة لونها فكانها   فى الكف قائمة بغير اناء

وقالوا لو ملىء الاناء دبسا فكانت هذه حاله والعني عند صحيح لا عيب فيه ولا قدح وذلك أن الرجل قد دل بهذا الوصف على أن شعاع الشراب فى غاية الرقة فاعتمد أن وصف الاناء وما فيه وصف الهيئة على ماهى عليه وانما أخذ المعنى من قول على بن جبلة

كان يد النديم تدير منها   شعاعا لا تحيط عليه كاس

الاترى أن هذا ايضا قد دل على أن الكاس فى غاية الرقة ومثله قول الآخر

انما نعجتنا موسومة   ضمنت حمراء ترمى بالزبد

واذا ما نزلت فى كاسها   فهي والكاس معا شيء أحد

وقد انشد ابو العباس ثعلب بيت البحترى هذا فى اماليه وقال انه أخذ المعنى من قول الاعشى

تريك القذى من دونها وهى دونه   اذا ذاقها من ذاقها يتمطق

قال ابو العباس وهذا البيت اجود ماقيل فى وصف الخمر لانه جمع بين اللون والطعم ونحوه قول الآخر وهو الاخطل

وانمد تباكرني على لذاتها   صهباء عارية القذي خرطوم

يريد انها صافية فالقذى فيها لا يستتر ولم يعب أبو العباس البحترى ولا طعن فى بيته بل ذلك انشاده وذكره فى موضع السرق على استجادته واستحسانه اياه وانكروا قوله

ضحكات فى اثرهن العطايا ... وبروق السحاب قبل رعوده

وقالوا أقام الرعود مقام العطايا وانما كان ينبغي أن يقيم الغيوث مقام العطايا وهذا جهل ممن قاله بمعاني كلام العرب ومعني التمثيل فى البيت صحيح لان الرعد مقدمة الغيث وقل رعد لا يتلوه المطر واذا كان هذا هكذا فقد صار المعني كانه أول له وانما اخذ البحترى المعني من قول بشار

وعد الجواد يحث نائله ... كالبرق ثم الرعد فى أثره

واظنهما جميعا اخذا المعني من قول الاعشى

والشعر يستنزل الكريم كما استنزل رعد السحابة السبلا

فاقام الرعد مقام الغيث ونحو قوله بشار

حلبت بشعري راحتيه فدرتا ... سماحا كما در السحاب على الرعد

وانشد ابن الاعرابي فى نوادره

فان لم أصدق ظنهم بتيقنى ... فلا سقت الاوصال منى الرواعد

فجعل التى تسقى هى الرواعد وقال الكميت

وأنت في الشتوة الجماد اذا ... اخاف من أنجم رواعدها

ومثل هذا كثير في كلامهم لا ينكره منكر وقال أبو تمام

وكذا السحائب قلما تدعو الى ... معروفها الرواد ما لم تبرق

فجعل البرق عند الرواد دليل الغيث وقد يكون برق لا مطر معه كثيرا وبرق الخلب هذه حاله فالبحترى في أن اقام الرعد مقام الغيث اعذر من أبي تمام لانه قد يرتفع سحاب وبرق لا مطر فيه فاذا ارعد لا يكاد يخالف ومن ذلك قول أبي تمام

ياهلالا أوفي باعلى قضيب ... وقضيبا على كثيب مهيل

وقالوا هذا خطأ لان الكثيب اذا كان مهيلا فانه يذهب ولا يستمسك وذلك مذموم من الوصف قالوا والجيد قوله ٠

كالبدر غير مخيل والغصن غير مميل والدعص غير مهيل

وقالوا قد تراه هنا كيف شرط في الدعص لما مثل العجز به أن جعله غير مهيل لان

لعرب اذا شبهت اعجاز النساء بكثبان الرمل شرطت فيها أن تكون ندية وأن تكون مطورة كأنها الكثبان غب سارية ناوية سمان من النيوهو الشحم كقول الآخر مثل الكثيب اذا مابله المطر وكما قال مرداس بن أبي عامر السلمي

اذا هي قامت في النساء حسبت ما   فويق نطاق العقد صعدة مأسم

وأسفل منه ظهر دعص أصابه   نجاء السماك في الكثيب المحسم

وقال الاخضر بن جابر الفزارى

بكرت أثناء اللفاع الاتحمي   بمثل دعص الرملة المديم

أراد الذى قد بلته الديمة وهي السحابة وقال جندل بن المثني الطهوى

لا بل كدعصاء نفاها مثرى   عقرآ حفت برمال عفر

وقال امرؤ القيس

كحقف النقا يمشي الوليدان فوقه   بما احتسبا من لين مس وتسهال

والحقف المستدير من الرمل لان الريح تنحله وتجمعه وقال يمشي الوليدان فوقه لان الندى اصابه فهو صلب وفيه مع ذلك لين ونعمة وقد شبه امرؤ القيس ايضا كفل الفرس بالدعص الندى فقال

له كفل كالدعص لبده الندي   الى كاهل مثل الرتاج المضبب

وقال عبدالرحمن بن حسان بن ثابت

وان مال الضجيع بها فدعص   من الكثبان ملتبد مطير

قالوا هذا الوصف المجرد والمعنى الصحيح من معاني العرب ولولا أن تشبيه أرادفه بالكثيب المنهال خطأ لما قال البحتري في بيته الآخر والدعص غير مهيل وهذا المذهب الذى ذهبوا اليه لعمرى صحيح من مذاهبهم الا أن الشعراء اذا شبهت اعجاز النساء بكثبان الرمل ووصفتها بالانهيال فانما تقصد الى تحرك اعجازهن عند المشي كما قال رؤبة بن العجاج

اذا وصلن العوم بالهركل   رجرجن من اعجازهن الخزل

اوراك رمل والج في رمل

فقال اوراك رمل والج في رمل وولوجه تحركه ودخول بعضه في بعض وكما قال الاعشى

ورادفة تثنى الرداء تساندت الي مثل دعص الرملة المتهيل

غياف كغصن البان ترتج ان مشت دبيب قطا البطحاء فى كل منهل

فدل بقوله ترتج ان مشت على ان قوله الى مثل دعص الرملة المستهيل انما أراد تحرك عجزها فى حال مشيها وكذلك قول روبة

ميالة مثل الكثيب المنهال عزز منه وهو معطي الاسهال

صوب السوارى متنه بالتهتال

التهيال والهتان واحد فقال مثل الكثيب المنهال لما قال ميالة أى انها تتثنى في مشيتها وتتحرك روادفها وشرط أنه عزز منه صوب السواري أى شده ليمنع من سيلانه وذهابه وانما أراد حالا بين الحالين الاثراه قال وهو معطي الاسهال شدة صوب السوارى وهو مع ذلك يتهيل وقال ابن أخي سفيان الغامدى

ذات شوي عبل وخصر ابتل وكفل مثل الكثيب الاهيل

فاراد بالاهيل الذى يتدحرج عند المشى وقال المقنع الكندى

اذا قامت تنوء بمرجحن كدعص الرمل ينهال انهيالا

فجا بذكر الانهيال من اجل ذكره للقيام ولو لم يذكره لكان غرضه فيه معروفا وقال عبد الرحمن بن الحكم

كان مابين قصراها وخصرها منها نقا دمث من عالج هار

فقصراها آخر الاضلاع وهى القصرى والقصيري فدل بقوله هار على انه اراد تحرك روادفها فكذلك قول البحتري وتضيب على كثيب مهيل انما أراد تحرك اردافه وقد دل على المشي بقوله يا هلالا أو في باعلى قضيب فالمعنيان لا يتناقضان لان الشاعر ان ذكر الانهيال فانه أراد الحركة عند المشي وان لم يذكر ذلك وشرط في الكثيب الندى واصابة الغيث فانما قصد ان ينص على اجتماعه واستمساكه كما قال روبة ميالة مثل الكثيب المنهال ثم قال عزز منه وهو معطي الاسهال صوب السواري متنه بالتهتال فانتظم الوجهان جميعا والذى شرح هذين المعنيين اتم الشرح واير في الوصف على كل محسن تميم بن أبي بن مقبل في قوله يصف مشى النساء

يمشين هيل النقا مالت جوانبه ينهال حينا وينهاه الثري حينا

انما أراد بقوله ينهال حينا تحرك اعجازهن اذا مشين كما يتحرك جانب الرملة للانهيال ينهاه الثري وهو ما تحته من التراب والرمل الندى وهذا لاشى أوضح منه ومن ذلك قوله

متى أردنا وجدنا من يقصر عن مسعاته وفقدنا من يدانيه

وقالوا ليس هذا بالجيد لانه وصف يشرك ممدوحه فيه البقال والمراق وباعة الدوآء ولقاط النوى لان هؤلاء أيضا متى شيئاً وجدنا من يقصر عن مسعاتهم وهو الحجام والكناس والنباش والبيت عندى صحيح وغرض البحتري فيه معروف ومثله قول الاعشى

وأخو النسا متى يشا يصرمنه ويعدن أعداء بعيد وداد

وهو لايشاء بذلك وانما أراد ان ذلك سهل موجود فى النسا وكذلك قول البحترى متى أردنا وجدنا أى ان ذلك موجود سهل حاصل وان لم يكن هناك ارادة ولا طلب لان تلك حال قد علمت منه وقد صحح المعنى ووكد المدح بقوله وفقدنا من يدانيه والبقال والمراق وامثالهما غير مفقود من يدانيهم فجعل البحترى أحد القسمين فى البيت معلقاً بالاخر أى ذلك كله سهل موجود ولو اقتصر على النصف الاول كان لعمرى فيه متعلق ومن ذلك قوله

تهاجر أمم لا وصل تخالطه الا تزاور طيفينا اذا هجرا

قالوا والطيفان لا يهجران وانما أراد اذا هجرانا فقال اذا هجر وقد سمعت من يحتج فيه بما لا يبعد عندي من الصواب وهو ان قال انه أراد الا تزاور نفسينا اذا هجرا فاقام الطيف مقام النفس وقال هجراً ولم يقل هجرنا للفظ الطيف وهو مذكر وقال ان النفس تنام على الحقيقة كما قال تعالى الله يتوفي الانفس حين موتها والتى لم تمت في منامها فقيل له النفس لعمرى يطلق عليها النوم فاذا نامت رأت خيالات الاشياء التى ترى حقائقها في اليقظة فالنفس غير الخيال وقد تتمثل للنفس في حال يقظتها وان لم ترها العين فليس النفس من الخيال فى شيء قال فاذا كانت النفس والخيال يلتقيان فى النوم فلم لا اسميها خيالين وان كان أحدها خيالا والاخر نفسا على المجاز الذى تفعله العرب وهذا عندي احتجاج صحيح ويصح عليه البيت ومما نسبوا فيه البحترى الى سوء التقسيم

فكان مجالسه المحجب محفل وكان خلوته الخفية مشهد

وقالوا أنه ليس المصراع الثاني من الفائدة الا ما في الاول لان مجلسه المحجب هي خلوته الخفية وقوله محفل كقوله مشهد والمعنى عندي صحيح لان المجلس المحجب قد يكون فيه الجماعة الذين يخصهم وفي الاكثر الاعم لا يسمي مجلسا الا وفيه قوم الا تري الى قول مهلهل واستب بعدك يا كليب المجلس أي اهل المجلس على الاستعاره فجعل البحتري مجلسه الذي احتجب فيه مع ما يخصه كالمحفل والمحفل هو المجمع الكثير والخلوة الخفية قد يكون فيها منفردا وقد يكون معه محبوب فيها و بين المجلس والمحفل فرق فكأنه اذا خلا خلوة خفية وفيها معه من يشاهده ومن يشاهده يجوز أن يكون واحدا أو اثنين والمحفل لا يكون الا عددا كثيرا فهذا أيضا فرق صحيح وانما أراد البحتري انه لا يفعل في مجلسه المحجب الا ما يفعله في المحفل ولا يفعل في خلوته الخفية الا ما يفعله مع من يشاهده بنسبه الى شدة التصاون وكرم السريرة ومثله قوله

أمين الله دمت لنا سليما　　ومليت السلامة والدوايا

قالوا وقوله دمت لنا سليما هو قوله مليت السلامة والدوايا فان هذا قبيح جدا وليس الامر عندي كذلك بل القسمة صحيحة لانه لما تقدم ذكر السلامة والدوام في أول البيت قال في عجزه ومليت السلامة اى اديمت لك تلك السلامة والملاوه بكسر السين وضمها وفتحها ذكر ابن السكيت لها ثلاث لغات وذلك الدوام وليس بمنكر أن يقول دام لك الدوام كما يقول طال طولك وقر قرارك وضل ضلالك وزال زوالك وذلك كلام مستعمل حسن ومعني مليت اطيلت واديمت مثل تمليت وهو مأخوذ من الملاوة والملواة وهما الدهر والملوان الليل والنهار ومنه قولهم وقفت مليا وقال البحتري

اليوم أطلع للخلافة سعدها　　وأضاء فينا بدرها المتهلل

لبست جلالة جعفر فكأنها　　سحر تجلله النهار المقبل

وقالوا هذا معنى فاسد لان السحر طرة النهار وأوله وبدء ضيائه والشيء في مثل هذا لا يتجلل أوله لان التجلل هو أن يشتمل عليه ويغطيه والسحر أمام النهار أبدا فلا يجوز أن يتغشاه لان المتصل بالظلمة والمختلط بها والطارد لها فهو يدور حول كرة الارض دائما على صورة واحدة لا يتغير وهذا عندي معارضة صحيحة الا ان هذا

معني يتجاوز فى مثله لان البحترى انما اراد تجاله النهار في رأى اعيننا ومانشاهده لان زرقة السحر لما استطار الضوء صار كانه شيء غطي عليها وان كانت حقيقتها انها انقلبت الى قطر آخر من الارض

وقال البحترى

لم أر كالهجر يرحم معذبه والوصل لم يعتمد معطاه بالجود

وهذا بعضهم كان يراه سهوا ويقول ان المعذب بالهجر مرحوم فاما الذي يواصله حبيبه فمغبوط ابدا ومحسود وقد قيل فى ذلك من الاشعار ماهو أشهر وأكثر فنها قول يزيد بن الطثريه

اعوذ بجديك الكريمين ان يري لنا حاسد فى غير الوصل مطمعا

وقول أبى صخر الهذلى

فقد تركتني احسد الطير ان اري اليفين منها لم يروعهما النفر

وقول جرير

ويحسد ان يزوركم ويرضى بدون البذل لو علم الحسود

وقول جميل بن معمر

لولا الوشاة لزرتكم ببلادكم لكن أخاف مقاله الحساد

وقول عتبة بن مجر الحارثى

أيام تهجرني ليلى واحسدها وأطيب العيش عندي مضغة الحسد

اي هى تهجرني وانا احسدها اى احسد عليها وليس الامر عندى في هذا البيت ماتاوله المتاول وظنه وذلك ان البحترى لم يرد بقوله لم اركالهجر لم يرحم معذبه حسن الهجر ولا حسن التوصل فيخرج الكلام مخرج العموم لكل هجر وكل وصل يقال أهلك الناس الدينار والدرهم وانما أراد لم اركالهجر لم يرحم معذبه اى كالهجر الذى هذه حاله ولم يرد كل الرجال وكيف يظن مثل هذا بالبحتري وهو يقول

وتحسد أن يسري الينا من الهوي عقائل يعتاد الهوى باعتيادها

فكم نافسوا فى حرقة اثر فرقة تعجب من أنفاسنا وامتدادها

فقد ترى كيف يزعم انه يحسد على الجوي وعلى الحرق فكيف على الوصل

وقال البحتري

اي ليل يبهي بغير نجوم وسحاب يندي بغير بروق

عابه بعضهم بهذا وقالوا قد يكون برق ولا عبث معه وهو بر في الخلب والرجل لم يقل لا برق الا ومعه مطر وانما قال لامطر الا ومعه برق وسمعت من يعيب قوله

كالروض مؤتلقا بحمرة لونه وبياض زهرته وخضرة عشبه

ويقول النور هو الابيض والزهرة والاصفر بلا محالة فاذا قلت في هذا الروض أنوار مختلفة جاز ذلك لانك تضم الى البياض غيره فيجري الرسم على الجميع على سبيل المجاز كما تقول العمران لابي بكر وعمر رضي الله عنهما والقمران للشمس والقمر وما أشبه ذلك وكذلك اذا قلت فيها ازهار كثيرة جاز ذلك وان كان فيها أبيض واحمر وماسواها من الصفرة توسعا ومجازا فاذا فصلت مقيدا لان تخص كل جنس باسم كما فعل البحتري لم يجز أن يعدل بكل جنس عن اسمه المخصوص فتقول حينئذ يعجبني من هذا الموضع صفرة زهره وبياض نوره وحمرة شقائقه ولا يجوز أن تقول يعجبني حمرة نوره ولا بياض زهره كما قال البحتري لان ذلك خطأ في اللغة على ما استعملته العرب ولعمري أن هذا هو الاشهر في كلامهم والاغلب في المأثور عنهم الا انهم قد جعلوا الزهر نورا والنور زهرا وجاء ذلك في الشعر قال عدي بن زيد

حتى تهول مشتكا له زهر من التناوير شكل العهن في اللوم

اللوم جمع لامة ولومة وهي متاع الرجل من الاشلة والولايا تكون موشاة بالعهن والصوف المصبوغ بالحمرة وغير ذلك من الالوان فقال زهر ثم قال من التناوير وقال شكل العهن وقال زهير بن مسعود

متنور غدق مندى قريانه مثل العهون من الخوطر مقمر

وقال أبو النجم

فالروض قد نور في حوثه مختلف الالوان في اسمائه

نور تحار الشمس في حمراء مكللا بالنور من صفرائه

فقال بالنور من صفرائه وقال حميد بن ثور

كان على اشداقه نور حنوة اذا هو مد الجيد منه ليطعما

يصف فرخ الحمامة وصفرة أشداقه ويشبهها بصفرة نور الحنوة ولم يقل زهرة حنوة
قال الاعشى

وشمول تحسب العين اذا صففت وردتها نور الدبح

والدبح ثبت ونور احمر شديد الحمرة و يقال له الذبح وهذا كله دليل على ان هذه الاسماء تستعمل في هذه الالوان كما ترى على اختلافها وسمعت من يعيب قوله

فمجدل وموسد ومرمل ومضرج ومضمخ ومخضب

و يقولون أن قوله مضرج ومضمخ ومخضب بمعنى واحد ذكر انه ان أراد رجلا واحدا انه مضرج ومضمخ ومخضب جاز لان لفظة تكون موكدة للاخرى قال ولكنه أراد منهم مضرج ومنهم مخضب كما فهم في صدر البيت ولعمرى أن البحترى كذلك أراد وليس بمنكر لان التضرج من التضريج وهى الحمرة المشرقة التى ليست بقانية والمضمخ يريد غلظ الدم وأنه فى متانة الطيب الذي يتضمخ به والمخضب أراد ان الدم قد خضبه كما يخضب بالحناء ففي كل لفظة ماليس فى الاخرى وان كانت الحمرة قد شملت الجميع لان المضرج يجوز ان يكون أراد به طراوة الدم أى منهم حديث عهد بالقتل والمضمخ من قد خثر عليه الدم كان قتله قد تقدم قبل الاخر والمخضب يجوز أن يكون مضى لقتله يوم وأكثر فقد اسود عليه الدم وهذه معان كلها محتملة وقد يجوز ان يريد بقوله مضرج سائر جسده وبالمضمخ أن السيف أخذ عوارضه وتحت لحيته وذلك موضع من مواضع التضمخ بالطيب. وأراد بالمخضب أن السيف أخذ فى رأسه ويديه ورجليه وذلك مواضع الخطاب وقد يكون المضرج المقطع يقال ضرجته اذا قطعته وهذه معان لطيفة وقد يجوز أن يعتد بها والوجه القوى هو الاول وسمعت قوما ينكرون قوله في وصف الخمر

وفواقع مثل الدموع ترددت في صحن خد الكاعب الحسناء

ويقولون أن الدموع لا تتردد في الخد كما يتردد الحباب في الكاس وانما الدمع يجرى ويتتابع والمعنى صحيح ولا عيب فيه لان التردد قد يكون الجولان وقد يكون التتابع والتواتر يقال قد تتابعت كتبي اليك وترددت بمعنى وتواترت كتبي وتتابعت والكتاب الاول هو غير الثاني وكذلك قد يكون الرسول الثانى وانما حسن أن يقال تتابعت وترددت لان كل واحد من الرسل رسول فلما ضمهم اسم واحد حسن استعمال التتابع والتردد وان كانت أشخاصا متباينة وكل واحد غير الاخر فكذلك الدمع حسن أن يقال قد تتابعت دموعه

على خده وترددت وان كانت كل دمعة غير الاخرى والحباب وان جال في القدح حائرا فيه فانه ربما جري فيه على جهة واحدة كما يجري الدمع على جهة واحدة وهذا من أحسن التشبيه واليقه لان الخمر قد يكون منها أحمر الى التوريد الخفيف كحمرة الخدو خاصة اذا أرقت بالماء كما قال الشاعر

كميت اذا فضت وفي الكاس وردة   لها فى عظام الشاربين دبيب

فاذا شبهت الخمرة بالخدوذكر الحباب فمن اليق ما شبه به وأحسنه وأصحه الدمع لان الدمع قد يقف في الخد كوقوف الحباب فى صحن الكاس و باب اختلاف حركة الحباب أوحركة الدمع فليس كل شيء يشبه بشيء يقع التشبيه فيه من جميع الجهات حتى لا يغادر منها شيء وقد يكون انما شبه به ببعض ما فيه لا بكله

ورأيت ممن عاب قوله

وصبغت أخلاقى برونق خلقه   حتى عدلت أجاجهن بعزبه

وقالوا انما كان ينبغي لما ذكر الاجاج والعذب ان يقول فمزجت لا ان يقول وصبغت أو لما قال وصبغت ان يقول حتى عدلت ألوانهن بحسن لونه وليست هذه المعارضة بشيء والمعني صحيح وذلك انه ليس هناك صبغ على الحقيقة فيقابل بذكر لون حتى يتكافيء المعنيان ولا مشروب عذب ولا اجاج على الحقيقة فيستعمل بذكر المزاج وهذه استعارات ينوب بعضها عن بعض و يقوم بعضها مقام بعض لانها ليست بحقائق فيما استعيرت له الا ترى انك تقول فلان قد شارك فلانا وخالطه ومازجه وانصبغ به بمعنى واحد وان كان بعضها أوكد من بعض ولا يكون هناك مداخلة ولا ممازجة لجسم في جسم ولا مخالطة على الحقيقة

ومما عيب عليه من التعسف والتعقيد فى اللفظ قوله

فتي لم يمل بالنفس منه عن العلى   الي غيرها شيء سواه مميلها

وكان بعض الناس يرى انه لاحن و يقول انه انما أراد فتى لم يمل بنفسه عن العلى شيء مميل نفس سواه أى ما يميل النفس عن المعالى اللهو واللعب والدعة وحب الراحة والضن بالمال ونحو هذا من الاشياء الشاغلة عن السودد فقدم سواه وكني عن النفس بقوله مميلها بعد ان حذفها قال وذلك غير جائز لانك اذا قلت لن يضرب هامة عمرو فقلت لن يضرب هامة عمرو واحد غير ضاربها وجعلت الهاء فى ضاربها كناية عن الهامة لتقدمها جاز

يريد من تساقط في أثر مكرمة اذا سعي لطلبها ولم يكن له نهوض فيها فداب الممدوح دابه المعروف المشهور منه أي جده ولحاقه ونحرك الداب الثاني وسكن الاول ومعناهما واحد و يجوز أن يكون ارادفدابه في اتباعها اى عادته فى اتباعها دابه أى شعيه وحركته وهو أجود ومن ردى التجنيس ايضا قوله

حييت بل سقيت من معهودة عهدى عدت مهجورة ماتعهد

ويروى سقيت من معمورة يخاطب الدمن أي عهدي بها معموره معهودة ومن روي معهودة عهدي أى عهدى بها معهودة فغدت معهودة ماتعهد وقد يكون تعهد من التعهد و يكون قوله ماتعهد أى قد نسيت وهذه شبه تجنيسات أبى تمام

باب في اضطراب الاوزان

وما رأيت شيئا مما عيب به ابو تمام الا وجدت في شعر البحتري مثله الا انه فى شعر ابى تمام كثير وفى شعر البحترى قليل من ذلك اضطراب الاوزان فى شعر ابي تمام وقد جاء فى شعر البحتري بيت هو عندى اقبح من كل ماعيب به ابو تمام في هذا الباب وهو قوله

ولماذا تتبع النفس شيئا جعل الله الفردوس منه بواء

وكذلك وجدته في اكثر النسخ وهذا هذا خارج عن الوزن والبيت من العروض هو البيت الاول من الخفيف سداسى فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

قلت وجدت على حاشية النسخة التى كتبها الشيخ عبد الكريم اعتراضا على قول المصنف وكذلك وجدته فى اكثر النسخ وهذا نص ماقاله

قوله وكذلك وجدته فى اكثر النسخ لا يلزم من وجدانه فى اكثر النسخ أن تكون لفظة الفردوس فى البيت من نظم البحترى لاحتمال انها من الكاتب الاول وقعت سهوا لان البحتري أجل من أن يجهل اوزان الشعر فلو كان الرواة رووا عنه هذا لامكن التأويل باحتمال السهو منه حال الرواية ثم قوله وجدته فى اكثر النسخ مشكل ومن اين له أن الذي وقف عليه من النسخ فان الاكثرية لا تعلم الا اذا علم عدد النسخ جميعها الموجودة في ذلك الوقت وهو أمر متعذر فالاعتراض حينئذ لا محل له لظهور أن الغلط من الكاتب الاول لبعض النسخ وتقطيعه

ولماذا * تتبعن * نفس شيئا * جعلل لاهل * فردوس من * هبواء

فعلاتن * مفاعلن * فاعلاتن * فعلاتن * مستفعلن * فعلاتن

فحذف الف فاعلاتن الاول والثانية والاخيره فصارت فعلاتن وسين مستفعل الاول فصارت مفاعلن وذلك كله زحاف جائز وزاد فى البيت سببا وهو حرفان الهاء من اسم الله عز وجل واللام من لفظ الفردوس وهو اكفاء ولا أعرف مثل هذا البيت وقد رأيت في بعض النسخ جعل الخلد منه بوآء فان يكن هكذا قال فقد تخلص من العيب ويكون تقطيع البيت جعلا لاهل خلد من هبوآء .

وقال البحتري

حلائتنا عن حاجة ممنوع مبتغاها وحاجة ممطوله

وهذا من العروض هو البيت الاول من الخفيف وتقطيعه

حلاسا عن حاجتن ممنوعن مبتغاها وحاجتن ممطوله

فاعلاتن مستفعلن مفعولن فاعلاتن مفاعلن مفعولن

وكان يجب أن تكون عروض البيت وهى مفعولن الاول فاعلاتن ولا يجوز فيها مفعولن لو كان البيت مصرعا لجاز في عروضه مفعولن كما جاز في ضربه وهى القافية وذلك قوله ممطوله واما جعله مفاعلن فى موضع مستفعلن الثانية فى البيت فذلك جائز من الزحاف وقد غير قوم هذه اللفظة في البيت وهى ممنوع فقالوا بمنوع مبتغاها من عاتق ووال عليها ويكون مبتغاها فى موضع نصب بمنوع وهو محتمل

قال ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيي الآمدى وأنا اذكر باذن الله الآن في هذا الجزء المعاني التى يتفق فيها الطائيان فاوازن بين معنى ومعنى واقول ايهما اشعر فى ذلك المعنى بعينه فلا تطلبني أن اتعدى هذا الى أن افصح لك بايهما أشعر عندي على الاطلاق فاني غير فاعل ذلك لانك ان قلدتني لم تحصل لك الفائدة بالتقليد وان طالبت بالعلل والاسباب التى أوجبت التفضيل فقد أخبرتك فيما تقدم بما أحاط به علمى من نعت مذهبيهما وذكر مطلوبيهما في سرقة معاني الناس واستحالهما وغلطهما فى المعاني والالفاظ واساءة من اساء منهما في الطباق والتجنيس والاستعارة ورداءة النظم واضطراب الوزن وغير ذلك مما أوضحته فى مواضعه وبينته وما سيعود ذكره فى الموازنة من هذه الانواع على ما يقوده القول وتقتضيه الحجة وما ستراه من محاسنهما وبدائعهما وعجيب اختراعهما فان

أوقع الكلام على جميع ذلك وعلى سائر اغراضهما ومعانيهما في الاشعار التي ارتبها في الابواب وانبه على الجيد وافضله على الردى وأبين الردي وارذله واذكر من علل الجميع ماينتهي اليه التخليص وتحيط به العناية ويبقي مالم يمكن اخراجه الى البيان ولا اظهاره الى الاحتجاج وهى علة مالا يعرف الا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة وبهذا يفضل اهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته وقلت دربته بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الطباع وامتزاج والا لا يتم ذلك وأكلك بعد ذلك الى اختيارك وماتقضي عليه فطنتك وتمييزك فينبغي أن تتم النظر فيما يرد عليك ولن ينتفع بالنظر الا من يحسن أن يتأمل ومن اذا تأمل علم ومن اذا علم انصف ثم أن العلم بالشعر ان خص بان يدعيه كل احد وأن يتعاطاه من ليس من أهله فلم لا يدعي احد هؤلاء المعرفة بالعين والورق والخيل والسلاح والرقيق والبز والطيب وأنواعه ولعله قد لابس من امر الخيل وركوبها والسلاح والعلم بذلك والرقيق واقتنائه والثياب ولبسها والطيب واستعماله اكثر مما عاناه من امر الشعر وروايته فلا يتهم نفسه في المعرفة بالشعر تهمته اياها بالمعرفة ببعض هذه الاشياء مما عاناه وتناوله وما باله وقد ركب الخيل كثيرا لما راقه من الفرس ملاحة سبيبه واستدارة كفله وبريق شعره وحسن اشرافه وعنقه وموضع نتاجه وصحة قوائمه وسلامة اعضائه وبراءته من العيوب الظاهرة والباطنة وكذلك السيف لما بهره جلاؤه وصقاله وصفاء حديده لم يمض فيه اختياره على غيره من السيوف حتى شاور من يعرف حسنه وطبعه وجوهره وفرنده ومضاءه وكذلك لما اعجبه من ثوب الوشى حسن طرزه وكثرة صوره وبديع نقوشه واختلاط ألوانه لم يبادر الى اعطاء ثمنه حتى رجع الى أهل العلم بجوهره وكثرة مائه وجودة رقعته وصحة نساجته وخلاص ابريسمه فكيف لم يفعل ذلك بالشعر لما راقه حسن وزنه وقوافيه ودقيق معانيه ومايشتمل عليه من مواعظ وأدب وحكم وامثال فلم يتوقف عن الحكم له على ماسواه حتى يرجع الى من هو اعلم منه بالفاظه واستواء نظمه نظمه وصحة سبكه ووضع الكلام منه فى مواضعه وكثرة مائه ورونقه اذ كان الشعر لا يحكم له بالجودة الا بان تجتمع هذه الخلال فيه ألا تري انه قد يكون فرسان سليمان من كل عيب موجود فيهما سائر علامات العتق والجودة والنجابة ويكون احدهما افضل من الآخر بفرق لا يعلمه الا اهل الخبرة والدربة الطويلة وكذلك الجاريتان البارعتان في الجمال المتقاربتان في الوصف السليمتان من كل عيب قد يفرق بينهما العالم بامر الرقيق حتى

يجعل في الثمن بينهما فضلا كبيرا فاذا قيل له و للنخاس من اين فضلت أنت هذه الجارية على اختها ومن اين فضلت أنت هذا الفرس على صاحبه لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما وانما يعرفه كل واحد منهما بطبعه وكثرة دربته وطول ملابسته فكذلك الشعر قد يتقارب البيتان الجيدان النادران فيعلم أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود ان كان معناهما واحدا أو أيهما أجود فى معناه ان كان معناهما مختلفا وقد ذكر هذا المعنى بعينه محمد بن سلام الجمحي وأبو على دعبل بن على الخزاعي في كتابيهما وحكى اسحاق الموصلى قال قال لى المعتصم اخبرنى عن معرفة النغم وبينها لى فقلت ان من الاشياء اشياء تحيط بها المعرفة ولا تؤديها الصفة قال وسألني محمد الامين عن شعرين متقاربين وقال اختر احدهما فاخترت فقال من اين فضلت هذا على هذا وهما متقاربان فقلت لو تفاوتا لامكنني التبيين ولكنهما تقاربا وفضله هذا بشيء تشهد به الطبيعة ولا يعبر عنه اللسان وقد قيل لخلف الاحمر انك لا تزال ترد الشيء من الشعر وتقول هو ردى والناس يستحسنونه فقال اذا قال لك الصيرفى ان هذا الدرهم زائف فاجهد جهدك أن تنفقه فلا ينفعك قول غيره انه جيد فمن سبيل من عرف بكثرة النظر في الشعر والارتياض فيه وطول الملابسة له أن يقضى له بالعلم بالشعر والمعرفة باغراضه وان يسلم له الحكم فيه ويقبل منه مايقوله ويعمل على تمثاله ولا ينازع في شيء من ذلك اذ كان من الواجب أن يسلم لاهل صناعة صناعتهم ولا يخاصمهم فيها ولا ينازعهم الا من كان مثلهم نظيرا في الخبرة وطول الدربة والملابسة فانه ليس فى وسع كل احد ان يجعلك ايها السائل المعنت والمسترشد المتعلم فى العلم بصناعته كنفسه ولا يجد الى قذف ذلك في نفسك ولا في نفس ولده ومن هو اخص الناس به سبيلا ولا أن يأتيك بعلة قاطعة ولا حجة باهرة وان كان مااعترضت فيه اعتراضا صحيحا وما سألت عنه سؤالا مستقيما لان مالا يدرك الا على طول الزمان ومرور الايام لايجوز أن تحيط به في ساعة من نهار * ثم ان العلم الذي لايعلم به فى اكثر احواله الا بالرواية والمشاهدة لايعرف حق المعرفة بالقول والصفة وقد قيل ليس الخبر كالمعاينة وعلة ذلك بينة واضحة ومعلوم ظاهر هى أنه لا يمكن أن يشاهد بك جميع المعلومات التى احتواها وعلم علمه بملابستها في السنين الطويلة فمن المحال ان يقدر ان يصف لك عشرة الاف جارية أو عشرة الاف سيف مختلفات الاجناس والجواهر فيجعلك مشاهداً لذلك كله في لحظة واحدة ووقت واحد ومخبراً لك بكل علة وكل حجة وكل نعت وصفة فى كل نوع من ذلك وكل جنس في تلك الساعة وهو انما علم ذلك على مرور الايام وطول الزمان وهذا

محال لا يمكن ولا يسوغ ولا يقدر عليه الا خالق الخلق وباريء البشر وبعد فلم لا تصدق نفسك أيها المدعي وتعرفنا من ابن طرأ لك الشعر امن اجل ان عندك خزانة كتب فتشتمل على عدة من دواوين الشعرآء وأنت ربما قلبت ذلك أو صحفته أو حفظت القصيدة والخمسين منه فان كان ذلك هو الذي قوى ظنك ومكن ثقتك بمعرفتك فلم لا تدعي المعرفة بثياب بدنك ورحل بيتك ونفقاتك فانك دأبا تستعمل ذلك وتستمتع به ولا تخلو من ملابسته كما تخلو في كثير من الاوقات من ملابسة الشعر ودراسته وانشاده حتى اذا رمت تصريف دينار بدراهم أو تصريف دراهم بدينار أو ابتياع ثوب أو شيء من الآلة لم تثق بفهمك ولا عملك حتى ترجع الى من يعرف ذلك دونك فتستعين به على حاجتك ولما خفت الغبينة فى مالك فاذعنت وسلمت واقررت بقلة المعرفة ولم تخش الغبينة والوكس فى عقلك فتسلم العلم بالشعر الى أهله فان الضرر في غبن العقل أعظم من الضرر في غبن المال فان قلت وما العلم بالخيل والبز والرقيق والذهب والفضة التى لم يطبع الانسان على المعرفة بها والعلم بجيدها ورديئها كما طبع على الكلام فكان كل أحد متكلما وليس كل أحد صيرفيا ولا بزازاً ولا نخاسا قيل ولا كل أحد يكون شاعراً ولا خطيباً ولا منطيقاً بليغاً ولا بارعا ولو كان ذلك كذلك لما رأيت احداً يتكلم فيصحك منه فالانسان المتكلم يعلم معانى الفاظ لغته ولا يعلم جيدها من رديئها ومتخيرها من مرزولها كما أنه يعلم أيضا أنواع الثياب والجواهر والخيل والرقيق ويميز بين اجناسها ولا يعلم جيد كل جنس من رديئه وأرفعه من دونه فكما ان المعرفة بكل جنس من هذه صناعة فكذلك المعرفة بكل جنس من اجناس الكلام والخطابة صناعة فاذا رجعت في المعرفة بتلك الى أهلها فارجع أيضا بهذه الى أهلها وبعد فاني ادلك على ما تنتهى اليه البصيرة والعلم بامر نفسك فى معرفتك بامر هذه الصناعة أو الجهل بها وهو ان تنظر ما اجمع عليه الائمة فى علم الشعر من تفضيل بعض الشعرآء على بعض فان عرفت علة ذلك فقد علمت وان لم تعرفها فقد جهلت وذلك بان تتأمل شعر اوس بن حجر والنابغة الجعدى فتنظر من اين فضلوا اوسا وتنظر فى شعر كثير بن بشر بن أبى حازم وتميم بن أبي مقبل فتنظر من أين فضلوا كثيراً واخبرني بعض الشيوخ عن أبي العباس ثعلب عن أبي الاعرابى عن المفضل ان سائلا سأله عن الراعي وذي الرمة أيهما اشعر فصاح عليه صيحة منكرة أى لا يقاس ذو الرمة بالراعي وكذلك لا يقيسه به ولا يقارب بينهما فتأمل أيضا شعرى هذين فانظر من أين وقع التفضيل فهذا الباب اقرب الاشياء اليك الى ان تعلم حالك فى العلم بالشعر ونقده

فان علمت من ذلك ماعلموه ولاح لك الطريق التي بها قدموا من قدموه واخروا من اخروه فثق حينئذ بنفسك واحكم يستمع حكمك وان لم ينته بك التامل الى علم ذلك فاعلم انك بمعزل عن الصناعة ثم ان كنت شاعراً فلا تظهر شعرك واكتمه كما تكتم سرك فان قلت انك قد انتهي بك التامل الى علم ماعلموه لم يقبل ذلك منك حتى تذكر العلل والاسباب فان لم تقدر على تلخيص العبارة عن ذلك حتى تعلم شواهد ذلك من فهمك ودليله من اختياراتك وتمييزك بين الجيد والردى. ثم اني اقول بعد ذلك لعلك اكرمك الله اغتررت بان شارفت شيا من تقسيمات المنطق وجملا من الكلام والجدال أو علمت أبوابا من الحلال والحرام أو حفظت صدراً من اللغة أو اطلعت على بعض مقاييس العربية وانك لما اخذت بطرف نوع من هذه الانواع بمعاناة ومزاولة ومتصل عناية فتوحدت فيه وميزت ظننت ان كل مالم تلبسه من العلوم ولم تزاوله يجري ذلك المجري وانك متى تعرضت له وأمررت قريحتك عليه نفذت فيه وكشفت عن معانيه هيهات لقد ظننت باطلا ورمت عسيراً لان العلم أى نوع كان لا يدركه طالبه الا بالانقطاع اليه والاكباب عليه والجد فيه والحرص على معرفة أسراره وغوامضه ثم قد يتاتى جنس من العلوم لطالبه ويسهل ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر لان كل امرء انما يتيسر له مافى طبعه قبوله ومافي طاقته تعلمه فينبغي اصلحك الله ان تقف حيث وقف بك وتقنع بما قسم لك ولا تتعدي الى ما ليس من شانك ولا من صناعتك (باب من فضل أبا تمام) وجدت اهل البصرة من اصحاب البحتري ومن يقدم مطبوع الشعر دون متكلفه لا يدفعون أبا تمام عن لطيف المعانى ودقيقها والابداع والاغراب فيها والاستنباط لها ويقولون أنه وان اختل فى بعض مايورده فان الذي يوجد فيها من النادر المستحسن باكثر مما يوجد من السخيف المسترذل وان اهتمامه بمعانية أكثر من اهتمامه بتقويم الفاظه على كثرة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة وانه اذا لاح له اخرجه باى لفظ استوي من ضعيف او قوى وهذا من أعدل كلام سمعته فيه واذا كان هذا هكذا فقد سلموا له الشيء الذي هو ضالة الشعراء وطلبتهم وهو لطيف المعانى وبهذه الخلة دون ماسواها فضل امرء القيس لان الذى فى شعره من دقيق المعاني وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة فوق ما استعار سائر الشعراء من الجاهلية والاسلام حتى انه لاتكاد تخلو له قصيدة واحدة من ان تشمل من ذلك على نوع وأنواع ولولا لطيف المعانى واجتهاد امرء القيس فيها واقباله عليها لما تقدم علي غيره ولكان كسائر شعراء أهل زمانه اذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على

صاحتهم ولالا لفاظه من الجزالة والقوة ماليس لالفاظهم الا ترى ان العلما بالشعر انما احتجوا في تقديمه بان قالواهو أول من شبه الخيل بالعصي وذكر الوحش والطير وأول من قال قيد لاوابد وأول من قال كذا وقال كذا فهل هذا التقديم له الالاجل معانيه وقالوا واذا كان اضطرب لفظ ابي تمام واختل في بعض المواضع فهل خلا من ذلك شاعر قديم أو محدث هذا الاعشي يحيل لفظه كثيرا ويسفسف دائما ويرق ويضعف ولم يجهلوا حقه وفضله حتى جعلوه نظير النابغة والفاظ النابغة في الغاية من البراعة والحسن عديلا لزهير الذي شرف اهتمامه كله الى تهذيب الفاظه وتقويمها والحقوق بامرء القيس الذى جمع الفضيلتين فجعلوهم طبقة وصار فضل كل واحد من غير الوجه الذي فضل منه صاحبه ولو أن أبا تمام حي يخلوا من كل فضل جيد البتة أولوانه قال بالفارسية أو الهندية

واذا أراد الله نشر فضيلة   طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت   ما كان يعرف فضل عرف العود

أو قال

هى البدر يغنيها تودد وجهها   الي كل من لاقت وان لم تودد

أو ما أشبه هذا من بدائعه حتى يغمره لنا مفسر بكلام عربى منثور أما كان هذا يكون شاعرا محسنا باعثا شعراء زمانه من أهل اللغة العربية على طلب شعره وتفسيره واستعارة معانيه فكيف وبدائعه مشهورة ومحاسنه متداولة ولم يات الا بابلغ لفظ واحسن سبك (باب فى فضل البحتري) ووجدت اكثر اصحاب أبي تمام لا يدفعون البحتري عن حلو اللفظ وجودة الوصف وحسن الديباجة وكثرة الماء فانه أقرب ماخذا واسلم طريقا من أبي تمام ويحكمون مع هذا بان أبا تمام أشعر منه وقد شاهدت وخاطبت منهم على ذلك عددا كثيرا وهذا رجل ما يراعيه من أمر الشعر دقيق المعاني ودقيق المعانى موجود فى كلامه وكل لغة وليس الشعر عند أهل العلم به الا حسن التاتى وقرب المأخذ واختيار الكلام ووضع الالفاظ فى مواضعها وان يورد المعني باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله وان تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه فان الكلام لا يكتسى البهاء والرونق الا اذا كان بهذا الوصف وتلك طريقة البحترى قالوا وهذا أصل يحتاج اليه الشاعر والخطيب صاحب النثر لان الشعر اجوده ابلغه والبلاغة انما هى أصابة المعنى وادراك الغرض

بالفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة ولا تنقص نقصانا يقف دون الغاية وذلك كما قال البحترى

والشعر لمح تكفي اشارته   وليس بالهذر طولت خطبه

وكما قال أيضا

ومعان لو فصلتها القوافى   هجنت شعر جرول ولبيد
حزن مستعمل الكلام اختيارا   وتجنبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ الغريب   فادركن به غاية المرام البعيد

فان اتفق مع هذا معنى لطيف أو حكمة غريبة أو أدب حسن فذلك زائد في بهاء الكلام وان لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه واستغنى عما سواه قالوا واذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة وكانت عبارته مقصرة عنها ولسانه غير مدرك لها يعتمد دقيق المعاني من فلسفة يونان أو حكمة الهند أو أدب الفرس ويكون اكثر ما يورده منها بالفاظ متعسفة ونسج مضطرب وان اتفق فى تضاعيف ذلك شيء من صحيح الوصف وسليمه قلنا له قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة فان شئت دعوناك حكيما أو سميناك فليسوفا ولكن لا نسميك شاعرا ولا ندعوك بليغا لان طريقتك ليست على طريقة العرب ولا على مذاهبهم فان سميناك بذلك لم نلحقك بدرجة البلغا ولا المحسنين الفصحاء وينبغى ان تعلم ان سوء التاليف وردى اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه حتى يحتاج مستمعه الى تأمل وهذا مذهب أبي تمام فى عظم شعره وحسن التاليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسناً ورونقاً حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن وزيادة لم تعهد وذلك مذهب البحتري ولذلك قال الناس لشعره ديباجة ولم يقولوا ذلك فى شعر أبي تمام واذا جاء لطيف المعانى في غير غرابة ولا سبك جيد ولا لفظ حسن كان ذلك مثل الطراز الجيد على الثوب الخلق أو نفث العبير على خد الجارية القبيحة الوجه * وأنا أجمع لك معانى هذا الباب في كلمات سمعتها من شيوخ أهل العلم بالشعر زعموا ان صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم الا باربعة أشياء جودة الآلة واصابة الغرض المقصود وصحة التاليف والانتهاء الى نهاية الصنعة من غير نقص منها ولا زيادة عليها وهذه الخلال الاربع ليست فى الصناعات وحدها بل هى موجودة في جميع الحيوان والنبات * ذكرت الاوائل ان كل محدث مصنوع محتاج الى اربعة اشياء علة هيولانية وهى الاصل وعلة

صور وعلة فاعلة وعلة تمامية فاما الهيولى فانهم يعنون الطينة التى يبتدعها البارى تبارك وتعالى و يخترعها ليصور ماشاء تصويره من رجل أو فرس أو جمل أو غيرها من الحيوان أو برة أو كرمة أو نخلة أو سدرة أو غيرها من سائر أنواع النبات والعلة الفاعلة هى تأليف البارى جل جلاله لتلك الصورة والعلة التمامية هو ان يتمها تعالى ذكره و يفرغ من تصويرها من غير انتقاص منها وكذلك الصانع المخلوق فى مصنوعاته التى علمه الله عز وجل اياها لا تستقيم له وتجود الا بهذه الاربعة وهي آلة يستجيدها و يتخيرها مثل خشب النجار وفضة الصائغ وآجر البناء وألفاظ الشاعر والخطيب وهذه هى العلة الهيولانية التى قدموا ذكرها وجعلوها الاصل ثم اصابة الغرض فيها بقصد الصانع صنعته وهى العلة الصورية التى ذكرتها ثم صحة التاليف حتى لا يقع فيه خلل ولا اضطراب وهي العلة الفاعلة ثم ان ينتهي الصانع الى تمام صنعته من غير نقص منها ولا زيادة عليها وهي العلة التمامية فهذا قول جامع لكل الصناعات المخلوقات فان اتفق الآن لكل صانع بعد هذه الدعائم الاربع ان يحدث فى صنعته معنى لطيفا مستغربا كما قلنا فى الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض فذلك زائد في حسن صنعته وجودتها والا فالصنعة قائمة بنفسها مستغنية عما سواها . وقد ذكر برزجمهر فضائل الكلام ورذائله و بعض ذلك دليل في الشعر فقال ان فضائل الكلام خمس ان نقص منها فضيلة واحدة سقط فضل سائرها وهي ان يكون الكلام صدقا وان يوقع موقع الانتفاع به وان يتكلم به في حينه وان يحسن تاليفه وان يستعمل منه مقدار الحاجة قال و رذائله بالضد فانه ان كان صدقا ولم يوقع موقع الانتفاع به بطل فضل الصدق منه وان كان صدقا وأوقع موقع الانتفاع به و تكلم فى حينه ولم يحسن تاليفه لم يستقر في قلب مستمعه و بطل فضل الخلال الثلاث منه وان كان صدقا ووقع موقع الانتفاع به وتكلم به فى حينه وأحسن تاليفه ثم استعمل منه فوق الحاجة خرج الى الهذر أو نقص عن التمام صار مبتورا وسقط منه فضل الخلال كلها وهذا انما أراد به برزجمهر الكلام المنثور الذى يخاطب به الملوك و يقدمه المتكلم امام حاجته والشاعر لا يطالب بان يكون قوله صدقا ولا ان يوقعه موقع الانتفاع به لانه قد يقصد الى انه يوقعه موقع الضرر ولا ان يجعل له وقتا دون وقت وبقيت الخلتان الاخريان واجبتان فى شعر كل شاعر ان يحسن تاليفه ولا يزيد فيه شيئا على قدر حاجته فصحة التاليف فى الشعر وفي كل صناعة هي أقوي دعائمه بعد صحة المعني وكلما

كان أصح تاليفا كان أقوم بتلك الصناعة ممن اضطرب تاليفه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ﴾

وقد انتهيت الان الى الموازنة وكان الاحسن ان أوازن بين البيتين أو القطعتين اذا اتفقتا في الوزن والقافية واعراب القافية ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق المعاني التي اليها المقصد وهي المرمي والغرض وبالله أستعين على مجاهده النفس ومخالفة الهوي وترك التحامل فانه جل اسمه حسبي ونعم الوكيل وأنا أبتدى باذن الله من ذلك بما افتتحا به القول من ذكر الوقوف على الديار والآثار ووصف الدمن والاطلال والسلام عليها وتعفية الدهور والازمان والرياح والامطار اياها والدعاء بالسقيا لها والبكا فيها وذكر استعجامها عن جواب سائليها وما يخلف قطينها الذين كانوا حلولا بها من الوحش وفي تعنيف الصحابة ولومهم على الوقوف بها ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونعوتها وأقدم من ذلك ابتداآت قصائدهم في هذا المعاني ان شاء الله تعالى

الابتداآت بذكر الوقوف على الديار قال أبو تمام

ما في وقوفك ساعة من باس ... تقضي حقوق الاربع الادراس

وهذا ابتداء جيد صالح وقوله الادراس جمع دارس وقليل مجمع فاعل على افعال ومثله شاهد واشهاد وماجد وامجاد وصاحب واصحاب

وقال ايضا

قفوا جددوا من عهدكم بالمعاهد ... وان هي لم تسمع لنشدان ناشد

اراد لنشدان الناشد الذى يقول اين أهلك يادار كما ينشد الناشد الضالة اذا طلبها

وقال ايضا

قف بالطلول الدارسات علاثا ... اضحت حبال قطينهن رثاثا

علاثة اسم صاحبه اراد قف ياعلاثة وهذان ابتداآن صالحان

وقال ايضا

قف نؤبن كناس هذا الغزال ... ان فيها لمسرحا للمقال

التابين مدح الملك والكناس هنا الربع وانما يريد الخيمة أو البيت من بيوتهم سماه كناسا لانه جعل المرأة غزالا أى قف بنا نندبه فان المقال يتسع فيه وهذا ايضا

بيت جيد ومعني حسن مستقيم وقال

ليس الوقوف يكف شوقك فانزل   وابل غليلك بالمدامع يبلل

وهذا معنى ظريف وقد جاء مثله فى الشعر قال الاصم الباهلى واسمه عبد الله ابن الحجاج ولا اعرف غيره واظن ابا تمام عثر به واحتذى عليه لانه كان مولعا بغرائب الالفاظ والمعانى

انزل اليوم بالاطلال ام تقف   لا بل قف العيس حتي يمضى السلف

السلف المتقدمون وانما قال ذلك لان الوقوف على الديار انما هو وقوف المطي ولا يكادون يذكرون نزولا وانشد منشد قول كثير وكثير يسمع

وقضين ما قضين ثم تركنني   بفيفا جريما قاعدا اتلدد

فقال كثير انا ما قلت كذا اترانى قاعدا اصنع ماذا قيل فجالسا قال ولا هذا جالسا كنت ابول قيل فما قلت قال واقفا يريد واقفا على مطيته فهذا هو المعروف من عاداتهم وقد قال كثير

خليلى هذا ربع عزه فاعقلا   قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

والقلوص لا يعقلها راكبها الا اذا نزل عنها والعقل فوق الركبة

وقال البحترى

ما على الركب من وقوف الركاب   فى مغاني الصبا ورسم التصابي

التصابي التفاعل من صبا يصبو اذا اشتاق واذا فعل فعل الصبا

وقال ايضا

ذاك وادي الاراك فاحبس قليلا   مقصرا عن ملامتي او مطيلا

وهذان ابتدآ ان في غاية الجودة   وقال

قف العيس قد ادنى خطاها كلالها   وسل دار سعدي ان شفاك سوالها

وهذا لفظ حسن ومعنى ليس بالجيد لانه قال ادنى خطاها كلالها أي قارب من خطوها الكلال وهذا كانه لم يقف لسؤال الديار التى تعرض لان يشفيه وانما وقف لاعياء المطي والجيد قوله عنترة

فوقفت فيها ناقتي وكأنها فدن لاقضى حاجة المتلوم

فانه لما اراد ذكر الوقوف احتاط بان شبه ناقته بالفدن وهو القصر ليعلم انه لم يقفها ليريحها وقد كشف ذو الرمة واحسن فيه واجاد فقال

انخت بها الوجنا الامن سآمة لشنتين بين اثنين جاء وذاهب

يقول انختها لا لاصلى لا من سآمة هكذا فسروه وقوله لشنتين يعنى اللتين يقصرهما المسافر بين اثنين جاء يريد الليل وذاهب يريد النهار فان قيل انما قال ادنى خطاها كلاهما ليعلم انه قصد الدار من شقة بعيدة قيل العرب لا تقصد الديار للوقوف عليها وانما تجتاز بها فان كانت على سنن الطريق قال الذى له ارب فى الوقوف لصاحبه أو أصحابه قف واقفا وقفوا وان لم تكن على سنن الطريق قال عوجا وعوجوا وعرجا وعرجوا كما قال امرء القيس

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكي ابن حذام

واذا عرجوا كان التعريج اشق على الركب والركاب لان لها في الوقوف حيث انتهت راحة والتعريج فيه زيادة فى تعبها وكلالها وان قلت المسافة كما قال ابو تمام

وما بك اركابى ممن الرشد مركبا الا انما حاولت رشد الركائب

لان هذا القول منه دل علي التعريج والتردد فى الرسوم وان أصحابه ارادوا أن يستمر فى السير ولا يترفق في الوقوف فيعود عليها ذاك بضرر وان اكسبها راحة ما في الوقوف فقال له أبوا تمام انما حاولت رشد الركائب لا رشدي فاما الاصمعي فانه يرى التعريج أيضا وقوف لا عدول قال أبو حاتم قلت له ما معنى عرج قال وقف فقلت يقال عرج اذا عدل فقال لا وأنشد بيت ذي الرمة

يا حادي بنت فضاض اما لكما حتى نكلمها هم بتعريج

اي هم بوقوف وهذا لا يمنع ان يكون هم بعدول ونفس الاشتقاق يدل على العدول والله أعلم وقال كثير يصف السيل

فطورا يسيل على قصده وطورا يعرج الا يسيلا

فلو كان هناك قصدا الى الدار من جماعتهم ومنهم وحده لما لاموه ولا عنفوه

على احتباسه واطالته ولا استعجلوه وهو دائما يسألهم التلوم عليه والتوقف معه هذه طريقة القوم في الوقوف على الديار ولهم فيها من الاشعار ماهو اشهر وأكثر من ان احتاج الى ذكره وتلك سبيل سائر المحدثين وطريقة الطائيين ماعدلا عنها ولا خرجا الى غيرها الا ترى الى قول ابي تمام

مافى وقوفك ساعة من باس * نقضى ذمام الاربع الادراس (تقدم برواية تقضى حقوق) كيف سأل صاحبه ان يقف ساعة ثم قال بعد بيت آخر

لا يسعد المشتاق وسنان الهوى   يبس المدامع بارد الانفاس

وقوله

لا تمنعني وقفة اشفى بها   داء الفراق فانها ماعون

وقال البحترى

يا وهب هب لاخيك وقفة مسعد   يعطي الاسي من دمعة المبذول

وقال أيضا

خلياه ووقفة فى الرسوم   يخل من بعض بثه المكتوم

ثم انا ماعلمنا أحدا قصد دارا عفت من شقة بعيدة واحدا كان او في جماعات للتسليم عليها والمسالة لها ثم انصرفوا راجعين من حيث جاؤا وان هذا ماسمع به ولا هو من أغراضها وليس فيه جدوى ولا يودى الى فائدة لان المحبوب ان كان حيا موجودا فقصد رباعه ومواطنه التى هو قاطنها والالمام به فيها اولى وأجري وان كان ميتا فالالمام بناحية الارض التى فيها حفرته اولى واحري وعلى أنهم لا يكادون يزورون القبور وانما وقفوا على الديار وعرجوا عليها عند الاجتياز بها والاقتراب منها لانهم تذكروا عند مشارفتها اوطارهم فيها فنازعتهم نفوسهم الى الوقوف عليها والتلوم بها وراوا ان ذلك من كرم العهد وحسن الوفاء الا يرى الى قول أبى تمام

أمواطن الفتيان نطوي لم نزر   شوقا ولم نهن صعيدا

ويروى لم نزر شعفا اي هذه كيف نطوي الرسوم والدمن التى هي مواقف أهل الفتوة يريد الكرام ولم نزر حزنا لها ولا سهلا لانه أراد بالشعف ما ارتفع من الارض وعلا وأراد بالصعيد ما اطمان من الارض وسفل والصعيد انما هو وجه الارض الذى فيه التراب واكثر مايكون فيما اطمان من الارض لا فيما علا فكانوا يرون

الوقوف على الديار من الفتوة والمروة وان طيها عند الاجتياز بها من النذالة وقبيح الرعاية وسوء العهد وما أحسن ما قال أبو نواس

وإذا مررت على الديار مسلما   فلغير دار امية الهجران

على طريقة القوم وقال البحتري يخاطب نفسه او صاحبا معه

قف العيس قد أدني خطاها كلالها   وسل دار سعدي أن شفاك سؤالها

فمن زعم ان البحتري بهذا القول كان قاصدا للدار وغير مجتاز احتاج الى دليل من لفظ البيت يدل عليه ولا سبيل له الى ذلك فان قيل لم لا يكون للمطية حق على من بلغته منازل الاحباب يوجب ان يكرمها و يريحها كما قال أبونواس

وإذا المطي بنا بلغن محمدا   فظهورهن على الرجال حرام

قربننا من خير من وطيء الحصا   فلها علينا حرمة وذمام

قيل هذا اصل آخر طريقة غير طريق الوقوف على الديار ولا يقاس اصل على اصل وانما يقاس على الاصل فروعه التي تتفرع منه وهذا الشرط فى كل علم وقال أبو نواس فى موضع آخر يخاطب ناقته أيضاً

فلم أجعلك للغربان نحلا   ولم اقل اشرقى بدم الوتين

يريد قول الشماخ والشماخ انما قال

اذا بلغتني وحملت رحلي   عرابة فاشرقى بدم الوتين

لانه رأي ناقته قد شفها السير وهزلها وانضاها حتى دبرت وذلك قوله

اليك بعثت راحلتي تشكى   كلوما بعد محفدها السمين

فيقول اذا بلغتني عرابة فلا ابالى ان تهلكى وهذا ليس بدعاء عليها وانما أراد انك اذا بلغته فقد بلغت الغنى وادركت الغرض منك فهذا معنى وقول ابى نواس معنى آخر وليس بضد لقول الشماخ وانما يضاده قول المرأة التى قالت يارسول الله نذرت أن بلغتني ناقتى هذه اليك ان انحرها فقال رسول الله ﷺ لبئس ماجزيتها الان هذه قصدت ان جعلت جزاء التبليغ النحر فهذان المعنيان يتضادان وقول الشماخ خارج عنها فانه أصل ثالث والوجه الذى جاء به البحتري في الوقوف على الديار وتحرز منه عنترة وذو الرمة وجهه

غير هذه الوجوه وطريقة غير هذه الطرق ولم أقل انه خطأ وانما قلت أن المعني غير جيد فان التمست العذر للبحتري قلنا انه وصف حقيقة امرالعيس عند الوصول الى الدار وهذا مذهب من مذاهب العرب عام في أن يصفوا الشيء على ماهو وعلى ما شوهد من غير اعتماد لاغراب ولا ابداع وانما وقع فيه مثل هذا الخلل لقلة التجوز وسترى للبحترى وغيره فى هذا الكتاب من هذا النوع في مواضعه ماهو اجود من كل جيد انشاء الله وقال البحترى

عرج بذي سلم فثم المنزل　　　فيقول صب ما أراد ويفعل

وهذا ابتدآ جيد وقد غواه قوم ليقول صب ماراد و يفعل والنصب اجود والرفع له وجه والمتأخرون لا يسلمون من اللحن وهو فى اشعارهم كثير جدا وقال

كم من وقوف على الاطلال والدمن　　　لم يشف من برحآ الشوق ذا شجن

وهذا ايضا ابتدآ جيد وقال ايضا

استوقف الركب فى اطلالهم وقفا　　　وان اجد بلى مأثورها وعفا

يقال اجد في امره من الانكماش اوجد وهذا ابتدآء صالح

قفا في مغاني الدار نسال طلولها　　　عن النفر اللائين كانوا حلولها

وهذا الابتدآء ليس بالجيد من أجل قوله اللائين لانها لفظة ليست بالحلوة وليست مشهوتة فهذا ماابتدأ به من ذكر الوقوف واجعلهما فيه متكافئين من أجل براعه بيتى البحترى الاولين وانهما اجود من سائر ابيات ابي تمام ولان البحترى في الباب القصير الذى ذكرته له وليس لابى تمام مثله

التسليم على الديار قال ابو تمام

دمن ألم بها فقال سلام　　　كم حل عقدة صبره الالمام

هذا المصراع الاول في غاية الجودة والبراعة والحسن والحلاوة وعجز البيت ايضا جيد بالغ وقال

سلم على الربع من سلمي بذى سلم　　　عليه وسم من الايام والقدم

وهذا ابتداء ليس بالجيد لانه جاء بالتجنيس فى ثلاثة الفاظ وانما حسن اذا كان بلفظين

وقد جاء مثله في اشعار الناس والردى لا يؤتم به وقال الابيرد بن المعذل الرياحي

جزعت ولم تجزع من البين مجزعا   وكنت بذكر الجعفرية مولعا

وقد جعل بعض الرواة هذا البيت أول قصيدة لامرء القيس على هذا الوزن وذلك باطل وما ينبغي للمتأخر أن يحتذى الا الاخذ الا الجيد المختار لسعة مجاله وكثرة امثلته

وقال البحتري

هذي المعاهد من سليم فسلم   واسأل وان وجمت ولم تتكلم

وقال ايضا

أمحلتي سلمي بكاظمة اسلما   وتعلما أن الهوى ما هجتما

وهذان ابتداآن جيدان وقال ايضا

حييتما من مربع ومصيف   كانا محلي زينب وصدوف

وهذا ابتداء صالح   وقال ايضا

ميلوا الي الدار من ليلي نحييها   نعم ونسألها عن بعض اهليها

وهذا البيت ردي لقوله نعم وليس بالمعنى اليها حاجة جاء بها حشوا ومن الحشو ما لا يقبح ونعم ههنا قبيحة وقد اولع بها كثير بن عبد الرحمن في ابتداءاته   فقال

أمن آل عمرو بالحريق ديار   نعم دارسات قد عفون قفار

وقال

أمن آل سلمى الركب أم انت سائل   نعم والمغاني قد درسن مواثل

وقال

اهاجتك ليلى اذ اجد رحيلها   نعم وثنت لما احزألت حمولها

احزألت انتصبت وارتفعت وقال

ا ... سعدى نعم ستبين   كما انبت من حبل القرين قرين

وهي في كل هذه الابيات رديئة وموضعها من هذا البيت الاخير اصلح لان اسقاطها من الجميع يحسن ولا يحتاج الاستفهام فيها الى جواب الا هذا البيت فان الاستفهام

فيه يقتضي أن يكون نعم جوابا له ومع هذا فليس لها حلاوة ولا حسن ولكثير استفهامات لاجواب لها على عادات الشعراء المحسنين ومنها قوله

امن ال قيلة بالدخول رسوم   وبحومل طلل يلوح قديم

وكل أبيات كثير أجود من بيت البحتري لان نعم فيها جواب وشيء في بيت البحتري حشو وقال البحتري في بيته تحييها والاجود تحيها الا به جواب الامر وقد يكون تحييها رفعا على الحال والجواب ههنا أجود من الحال فهذا ماوجدته من تسليمهما على الديار وأبو تمام عندي في قوله دمن المها فقال سلام أشعر من البحتري في سائر ابياته وما سمعت في التسليم على الديار احسن من قول أبي نواس

واذا مررت على الديار مسلما   فلغير دار أميمة الهجران

﴿ ما ابتدأ به من ذكر تعفية الدهور والازمان للديار قال ابو تمام ﴾

لقد أخذت من دار ماوية الحقب   انحل المغاني للبلى هي ام نهب

أراد انحل المغانى للبلى فحذف للتنوين والحقب الدهر وجمعه أحقاب والحقب السنون واحدتها حقبة وقال لقد اخذت فانث الفعل والحقب مذكر واظنه أراد ايام الدهر ولياليه ويقال الحقب ثمانون سنه فعلي هذا قال اخذت وقال أيضا

قد نابت الجزع من ماوية النوب   واستحقبت جدة من ربعها الحقب

قوله واستحقبت أي جعلت الحقب وهي السنون جدة الربع في حقيبتها والحقيبة مايحتقبه الراكب وهو وعاء يجعله خلفه اذا ركب ويحرز فيه متاعه وزاده وهذه استعارة حسنة وانما يريد أن الحقب سلبت الربع جدته وذهبت بها

وقال البحتري

ارسوم دار ام سطور كتاب   درست بشاشتها على الاحقاب

أي على مر السنين وهذا البيت ابرع من بيتي أبي تمام لفظا واجود سبكا واكثر ماء ورونقا وهو من الابتداءات النادرة العجيبة والمشبهة لكلام الاوائل فهو فيها اشعر من أبي تمام وفي اقواء الديار وتعفيها قال أبو تمام

طلل الجميع لقد عفوت حميدا   وكفى على رزئي بذاك شهيدا

أراد وكفى بانه مضي حميداً شاهداً على اني رزئت وكان وجه الكلام أن يقول

وكفى رزئى شاهداعلى أنه مضى حميدا وقد استقصيت الـكلام فى هذافيما يقدم من غلط أبى تمام وقال ايضا

اجل أيها الربع الذى بان أهـله لقد أدركت فيك النوي ماتحاوله

وهذا أيضا ابتداء جيد

وقال أيضاً

شهدت لقد اقوت مغانيـكم بعدى ومحت كما محت وشائع من برد

وهذا بيت ردي معيب لان الوشيعة والوشائع هو الغزل الملفوف من اللحمة التى يداخلها الناسج بين السدى والبرد الذي تمت نساجته ليس فيه شىء يسمي وشيعة ولا وشائع ذكرت هذا في اغاليطه

وقال البحترى

تلك الديار ودارسات طاولهـا طوع الخطوب دقيقها وجليلها

وقال أيضا

يامغانى الاحباب صرت رسوما وغدا الدهر فيك عندي ملوما

وقال أيضا

لم يبق في تلك الرسوم بمنهج أما سالت معرج لمعرج

وقال ايضا

هلا سالت بجو ثهمد طالما لمية قد تأبد

هذه كلها ابتداءات جياد بارعة اللفظ صحيحة المعنى وابيات أبى تمام ايضا رائعة ولـكن فيها ماذكرته

﴿ تعفية الرياح للديار قال أبو تمام ﴾

عفت اربع الحلات للاربع الملد لكل هضيم الكشح مغربه القد

الحلات جمع حلة وهو الموضع الذى يحلونه يقال حلة ومحلة والاربع الملد يريد اربع نساء ملد من قولهم غصن املود وهو الناعم واملود لايجمع على ملد وانما هو جمع املد وهضيم الـكشح يريد ضامرة البطن وقوله مغربة القد يريد أغرب قدها أى لها قد غريب فى الحسن وانما أراد عفت أربع حلال أى مواطن لاربع نسوة وهذا تكلف شديد وقد جاءت بلفظ غير حسن ولا جميل وكذلك مغربة القد من قول الشعراء المتاخرين

غريب الحسن وغريب القد والكلمة إذا لم يوت بها عن لفظها المعتاد هجنت وقبحت وقوم يروونه اربع الحلات جمع ربع وذلك غلط وانما أراد الرجل العدد أى عفت اربع لا ربع ولا علم لابي تمام ابتداء ذكر فيه الرياح غير هذا البيت وهو ردى اللفظ قبيح النسج

وقال البحترى

بين الشقيقة فاللوى فالاجرع دمن حبسن على الرياح الاربع

وهذا من ابتداآته الحسنة النادرة واحسانه فيه الاحسان المشهور وقوله بين الشقيقة فاللوى كقول امرء القيس بين الدخول فحومل والاصمعي يرويه بالواو وأهل العربية يقولون الدخول مواضع متفرقة وقال البحترى

أصبا الاصائل ان برقة منشد تشكو اختلافك بالهبوب السرمد

ما زلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون انهم ماسمعوا لمتقدم ولا متأخر فى هذا المعنى أحسن من هذا البيت ولا أبرع لفظا ولا أكثر ماء ولا رونقا ولا الطف معنى وقال البحترى

لا ارى بالبراق رسما كجيب اسكتت آية الصبا والجنوب

وهذا ابتداء صالح

﴿ وفى البكاء على الديار قال أبو تمام ﴾

ـى مثابا من اربع ملاعب اذيلت مصونات الدموع السواكب

قد أنكر مصونات الدموع السواكب بعضهم وقال كيف يكون من السواكب ما هو مصون وانما أراد أبو تمام مصونات الدموع التى هى الان سواكب ولفظه يحتمل ما أراده لبيت جيد لفظا ومعنى ونظما وقال أيضاً

أما الرسوم فقد أذكرن ما سلفا فلا تكفن من شانيك أو يكفا

هذا ابتدا حسن وقال أيضاً

ازعمت ان الربع ليس يتيم والدمع فى دمن عفت لا يسجم

وقال أيضاً

قرى دراهم منى الدموع السوافك وان عاد صبحى بعدهم وهو حالك

وهذان ابتدا آن جيدان   وقال أيضاً

بجرع أسي قد اقفر الجرع الفرد.   ودع حسي عين يحتلب ماءه الوجد

الجرع والاجرع والجرعاء أرض ذات رمل وحجارة مختلطة خشنة وقد قيل،
رملة سهلة والحسي ماء المطر يغمض في الرمل قليلا ثم يصير الى الصلابة فيقف فيحفر
عنه ويشرب وجمعه احساء   وقال البحترى

متى لاح برق أو بدا طلل قفر   جرى مستهل لا بكي ولا نزر

وهذا بيت حسبك به جودة وبراعة وفصاحة ونحوه قوله

لها منزل بين الدخول فتوضح   متي تره عين المتيم تفسح

هذا مثل قول امرء القيس بين الدخول فحومل وهذا أيضاً بيت جيد وليس كالاول.
وقال أيضاً

افي كل دار منك عين ترقرق   وقلب على طول التذكر يخفق

وهذا أيضاً غاية في جودته وبراعته وكثرة مائه   وقال أيضاً

الما يكف في طللي زرود   بكاؤك دارس الدمن الهمود

وقال أيضاً

اعن سفه يوم الابيرق ام حلم   وقوف بربع او بكاء على رسم

هذه الابيات الثلاثة كانه منكر على نفسه البكا وقد أحسن فيما اعتمد من ذلك واجاد
وهو ضد ما ذهب اليه أبو تمام في أبياته
وقال البحترى وهو حسن جداً

وقوفك في اطلالهم وسؤالها   يريك غروب الدمع كيف انهمالها

وقال

عند العقيق فمائلات دياره   شجن يزيد الصب في استعباره

وقال

يا بي الخلى بكاء المنزل الخالى   والنوح في دمن اقوت واطلال

وقال

ابكاء في الدار بعد الدار   وسلوا عن زينب بنوار

وهذا من البحترى وصف في البكاء على الديار حسن ومعان فيه مختلفة عجيبة كلها جيد نادر وأبو تمام لزم طريقة واحدة لم يتجاوزها والبحترى فى هذا الباب اشعر

﴿ سؤال الديار واستعجامها عن الجواب قال أبو تمام ﴾

الدار ناطقة وليست تنطق لدثورها ان الجديد سيخلق

وقال فى مثل معناه

وابي المنازل انها لشجون وعلى العجومة انها لتبين

وهذا معني شائع على ألسن العرب ان تقول لمن يعقل وأبيك لقد أجملت وكثرت على الالسن حتى صمدوا ابها الى مالا يعقل قسما وغير قسم وكذلك قالوا لامك الهبل ولا بيك الويل ثم قالوا ذلك لما لا أم له وقال محرز بن المعكبر يرثى بسطام بن قيس

لام الارض ويل ما اجنت بحيث اضر بالحسن السبيل

فجعل للارض اما وقد قال البحترى

لعمر ابى الايام ما جار حكمها على ولا اعطيتها ثني مقولي

فجعل الايام ابا وقوله شجون جمع شجن وما اقل ما يجمع فعل على فعول قالوا اسد واسود وليس هو بابه والشجن الحاجة والشجن الهم والحزن وقال أبو تمام

من سجايا الطلول ان لا تجيبا فصواب من مقلتي ان تصوبا

هذا البيت صدره جيد وقوله فصواب ليست بالجيدة فى هذا الموضع وانما أراد التجنيس وقال البحترى

لا دمنة بلوي خبت ولا طلل تردقولا على ذي لوعة يسل

وهذا ابتدآ جيد لفظه ومعناه وقال

ضيف يخاطب مفحمات طلول من سائل باك ومن مسئول

أراد انه باك والطلول باكية وهذا ابتدآ صالح وقال

عزمت على المنازل ان تبينا وان دمن بلين كما بلينا

أي عزمت عليها ان توضح لنا ويكون تبيين بما تفصح شى في نفسها يقال بان الشيء وابان وقوله وان دمن بلين كما بلينا أى عزمت عليها ان تبين لنا القول وان كانت قد بليت

كما بلينا نحن وهذا بيت ردى العجز وقال

اقم علها ان ترجع القول اوعلى — اخاف فيها بعض مابي من الخبل

وهذا أيضا بيت ردى الصدر لفظه ومعناه لانه أراد ان يقول قف لعلها ان ترجع القول أو لعلى فقال اقم مكان قف وليست هذه اللفظة نائبة عن تلك لان الاقامة ليست من الوقوف فى شيء والدليل على انه أراد ان يقول قف قوله بعد هذا

فان لم تقف من اجل نفسك ساعة — فقفها على تلك المعالم من اجلى

وقال علها وعلى وهما وان كانتا لفظتين عربيتين فلعل احسن من عل وأبرع وزاد في تهجينها أنه كررها فى مصراع وقوله اخلف فيها بعض مابى من الخبل عجز حسن أى اطرحه عنى أي لعلي ابكى فاخفف بعض مابي من البكا والى هذا المعنى ذهب وان لم يكن البكا فى البيت فقد ذكره من بعد وقال

بالله يا ربع لما زدت تبيانا — فقلت لى الحى لما بان لم بانا

وقال أيضا

هب الدار ردت رجع ما انت سائله — وأبدي الجواب الربع عما تسائله

وهذا بيت غير جيد لان عجز البيت مثل صدره سوآء فى المعنى وكانه بنى الامر على ان الدار غير الربع وان السؤال ان وقع وقع فى محلين اثنين والبيت أيضا لا يقوم بنفسه لانه جعله معلقاً بالبيت الثانى وهو قوله

افى ذلك برء من جوى الهب الحشا — توقده واستغزر الدمع جائله

وقال

هل الربع قد امست خلاء منازله — مجيب صداه اويخبر سائله

وهذا ابتداء صالح وقال أيضا

عفت دمن بالابرقين خوالى — ترد سلامى اوتجيب سؤالى

وهذا ابتدآء حسن فهذا ما وجدته لهما من الابتدآءات فى الباب وليس لهما فيه بيت بارع والجيد للبحترى قوله * لا دمنة بلوى خبت ولا طلل * وقوله * عفت دمن بالابرقين خوالى * والجيد لابي تمام بيتا الاولان ومعناهما غير معنى هذين البيتين وبيتا البحترى أجو

لفظاً واضح سبكا وهما في هذا الباب متكافئان

(ما يخلف الظاعنين في الديار من الوحش وما يقارب معناه قال أبو تمام)

اطلالهم سلبت دماها الهيفا   واستبدلت وحشا بهن عكوفا

وهذا بيت جيد لفظه ومعناه وقال أيضا

الطلال هند ساء ما اعتضت من هند   اقايضت حور العين بالعين والربد

العين بقر الوحش والظباء والربد النعام وقايضت ابدلت وهذا بيت ليس بالجيد ولا بالردى وقال أيضاً

ارامة كنت مألف كل ريم   لو استمتعت بالانس القديم

وهذا بيت جيد وقال البحتري

ربع خلا من بدره مغناه   ورعت به عين المها الاشباه

وهذا بيت حسن حلو وقال البحتري أيضا

عهدي بربعك مأنوسا ملاعبه   اشباه آرامه حسنا كواعبه

وهذا بيت في غاية الجودة والبراعة لفظه ومعناه وقال أيضاً

عهدي بربعك مثلا آرامه   يجلي بضوء خدودهن ظلامه

وهذا بيت جيد اللفظ والمعني الاول احلي وابرع وقوله يجلي بضوء خدودهن ظلامه حسن جدا وقال ايضا

ارى بين ملتف الاراك منازلا   مواثل لو كانت مهاها مواثلا

وهذا ايضا بيت من ابرع ابتداءاته فهذا ما وجدته لهما في هذا النحو والبحتري في ابياته اشعر من ابي تمام في ابياته

(وفيما تهيجه وتبعثه من جوى الواقفين بها قال ابو تمام)

اقشيب ربعهم أراك دريسا   وقري ضيوفك لوعة ورسيسا

وهذا بيت من جيد الابتدآات وبارعها وقال البحتري

مغاني سليمى بالعقيق ودورها   اجد الشجي اخلاقها ودثورها

وهذا بيت في جودة بيت ابي تمام وبراعته وقال

لعمر المغانى يوم صحرآء اربد لقد هيجت وجدا على ذي توجد

وقال ايضا

ما جو خبت وان نأت ظعنه تاركنا أو تشوقنا دمنه

وقال ايضا

كلما شآت الرسوم المحيله هيجت من مشوق صدر غليله

وهذه كلها ابتدآ ات جياد وهى مع بيت ابى تمام متكافئة

الدعاء للدار بالسقيا قال ابو تمام

اسقى طلولهم اجش هزيم وغدت عليهم نضرة ونعيم

وقال ايضا

سقي عهد الحمى صوب العهاد وروى حاضر عنهم وبادي

وهذان ابتدآ ان وقال ايضا

يا برق طالع منزلا بالابرق واحد السحاب له حدآء الاينق

قوله طالع لفظة رديئه فى هذا الموضع قبيحة وقوله واحد السحاب له حداء الاينق لفظه ومعناه جيدان فصيحان وانما خص البرق لانه دليل الغيث وقال ايضا

ايها البرق بت باعلى البراق واغد فيها بوابل غيداق

البراق جمع برقة مثل برمة وبرام وهي الارض ذات الطين والحصى تكون ذات الوان مختلفة وهذا بيت جيد ووصله بيت غاية فى الحسن والحلاوة ناتى به ان شاء الله تعالى في بابه وقال

يا دار دار عليك ارهام الندى واهتز روضك فى الثرى فترأدا

يقال ارهمت السماء اذا اتت بالرهمة وهو المطر اللين يقال رهمة ورهام كاكمة واكام فان قلت ارهام الندى كان ذلك سائغا فترأد تثني لكثرة مائه وغضاضته ومنه امرأة رود الشباب أى غضه وهذا بيت ليس بجيد اللفظ ولا النسج وقال البحتري

نشدتك الله من برق على اضم لما سقيت جنوب الحزن فالعلم

وهذا بيت بارع اللفظ جيد المعنى وزاد فى جودته قول نشدتك الله وقال ايضا

سقيت الغوادى من طلوع واربع وحييت من دار الاسماء بلقع

وهذا ايضا بيت جيد اللفظ والمعنى ويدخل فى باب التسليم على الديار لقوله حييت من دار وقال ايضا

اناشد الغيث هل تهمى غواديه على العقيق وان اقوت مغانيه

وهذا بيت جيد وقال

أقام كل ملث الودق رجاس على ديار بعلو الشام ادارس

ملث دائم كثير ورجاس مصوت يريد الرعد وهذا بيت كثير الماء والرونق وقال ايضا

لا ترم ربعك السحاب بجوده تبتدي سوقه الصبا أو تقوده

وقال ايضا

سقى دار ليلى حيث حلت رسومها عهاد من الوسمي وطف غيومها

وهذان ابتداآن جيدان وليسا مثل ما تقدم وقال ايضا

سقى ربعها سح السحاب وهاطله وان لم تخبر آنفا من يسائله

وهذا البيت ردى العجز من أجل قوله آنفا لانه حشو لا حاجة للمعنى به فهذا ابتداء من الدعاء للديار بالسقيا وهما عندى متكافئان

﴿ فى لوم الاصحاب في الوقوف على الديار قال ابو تمام ﴾

اراك اكثرت ادماني على الدمن وحملي الشوق من باد ومكتمن

وقال ايضا

ما عهدنا كذا نحيب المشوق كيف والدمع آية المعشوق

هذا بيت رديء جدا وقد ذكرت ما فيه فى باب ما ذكر له فى وسط الكلام فى تعنيف الاصحاب على الوقوف على الديار وهذا البيت ابتداء وانما ذكرته هنالك لان معناه يتضح بالابيات التى بعده فجعلته فى ذلك الباب وليس لابى تمام ابتداء صالح في لوم الاصحاب غير هذين البيتين فاما البحترى فانه تصرف فيه فى ابتداءات جياد حسان بارعة حلوة فمن ذلك قوله

فيم ابتدار كما الملام ولوعا ابكيت الا دمنة وربوعا

وقوله ايضا

متي كان سمعي خلسه للوائم — وكيف صغت للعاذلين عزائمي

وقوله ايضا

قدك اتئب اربيت في الغلواء — كم تعذلون وأنتم شجرائي

وهذه كلها ابتداءات صالحة الا هذا البيت الاخير فان الناس عابوه وذكر أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتابه ان ما عيب من ابتداءات الطائي قوله

كذا فليجل الامر وليفدح الامر

وقوله

خشنت عليه ابن خشين

فاما قوله خشنت عليه فهو لعمري من تجنيساته القبيحة وعهدت مجان البغداديين يقولون قليل نورة يذهب بالخشونة واما قوله كذا فليجل الخطب وليفدح الامر فليس بمعيب عندي وقد ذكرته في ابتداءات المراثي واخبرت بمعناه واما قوله قدك اتئب اربيت في الغلواء فانها الفاظ صحيحة فصيحة من الفاظ العرب مستعملة في نظمهم ونثرهم وليست من متعسف الفاظهم ولا وحشي كلامهم ولكن العلماء بالشعر انكروا عليه ان جمعها في مصراع واحد وجعلها ابتداء قصيدة ولم يفرق بينها الا بفواصل فقال قدك اتئب اربيت في الغلواء فصار قوله قدك اتئب كانها كلمة واحدة على وزن مستفعلن وتمم البيت اربيت في الغلواء فاستهجنت ولو جاء هذا في شعر اعرابي لما انكروه لان الاعرابي انما ينظم كلامه المنثور الذي يستعمله في مخاطباته ومحاوراته ولو خاطب أبو تمام بهذا انسان في كلامه المنثور لما قال لمن يخاطبه الا حسبك استحي زدت وغلوت وهذا كلام حسن بارع قال فمن شأن الشاعر الحضري أن يأتي في شعره بالالفاظ المستعملة في كلام الحاضرة فان اختار أن يأتي بما لا يستعمله اهل الحضر فمن سبيله أن يجعل من المستعمل في كلام أهل البدو دون الوحشي الذي يقل استعمالهم اياه وان يجعله متفرقا في تضاعيف الفاظه ويضعه مواضعه فيكون قد اتسع مجاله بالاستعارة ودل على فصاحته وعلمه وتخلص من الهجنة كما أن الشاعر الاعرابي اذا أتى في شعره بالوحشي الذي يقل استعماله اياه منثور كلامه وماجرى دائما في عادته هجنه وقبحه الا أن يضطر الى اللفظة واللفظتين ويقال ولا يستكثر فان الكلام اجناس اذا اتى منه شي مع غير جنسه باينه ونافره واظهر قبحه وقد تصرف البحتري في هذا الباب احسن تصرف وابلغه وأعجبه فمن ذلك قوله

أتاركي انت لم مقري بتعذيبي ولائمي في هوي ان كان بردي بي

وقوله أيضا

يفندون وهم أدنى الى الفند ويرشدون وما العذال في رشد

وقوله أيضا

اما الفى ان تكون رشيدا فانقصا من ملامتي أو فزيدا

وقوله أيضا

ألم يك في وجدي ويرح تلددي نهاية سعي للعدو المفتد

وقوله أيضا

مرنت مسامعه على التفنيد ورسيس حب طارف وتلبد

وقوله أيضا

شغلا من عذل ومن تفنيد وسيس حب طارف وتليد

وقوله أيضا

اقصرا ليس شأني الاكثار واقلا لن يغنى الاكثار

وقوله أيضا

قلت للائم في الحب افق لاتهون طعم شيء لم تذق

وقوله أيضا

اما كان في تلك الربوع السوائل بيان لنا آء أو جواب لسائل

وقوله أيضا

اكثرت في لوم المحب فاقلل وأمرت بالصبر الجميل فاجمل

وقوله أيضا

رويدك إن شانك غير شاني وقصري لست طاعة من نهاني

وقوله أيضا

يكاد عاذلنا في الحب يغرينا فما لجاجك في لوم المحبينا

وقوله أيضا

عذيري فيك من لاح اذا ما   شكوت الحب قطعني ملاما

وقوله أيضا

طفقت تلوم ولات حين ملامه   لاعند كرته ولا احجامه

ولا خفاء بفضل البحتري في هذا الباب على ابي تمام وقد مضت الموازنة بين الابتدآت بذكر الديار والاثار واما الان فاذكر ماجاء عنهما من ذلك في وسط الكلام

﴿ ماقالا في أوصاف الديار والبكاء عليها قال أبو تمام ﴾

طال الجميل لقد عفوت جيدا   وكفى على رزئي بذاك شهيدا

دمن كان البين اصبح طالبا   دينا لدى آرامها وحقودا

قربت نازحة القلوب من الجوى   وتركت شأو الدمع فيك بعيدا

خضلا اذا العبرات لم تبرح لها   وطنا سرى قلق المحل طريدا

وقوله وكفى على رزئي بذاك شهيدا ليس بالجيد وقد ذكرت معناه في باب الابتدآات عند ذكر البيت وقوله قربت نازحة القلوب من الجوى يريد القلوب التى بعد عهدها بمرض الحب فاد نيها من ذلك عند الوقوف عليك يخاطب الدمن وقوله وتركت شأو الدمع فيك بعيدا أي دائما طويلا وقوله خضلا اذا العبرات لم تبرح لها وطنا سرى قلق المحل طريد أي من كان مما يبكي في وطنه على الحوادث التى تحدث عليه فيه يسرى هذا الدمع قلق المحل اذا عسف المسير لطوله حتى يحل بهذه الدمن وهذا نحو من قوله

فما وجدت على الاحشاء أبرد من   دمع على وطن لى في سوي وطنى

فقوله على وطن يعني الرسوم والطلول التى يقف عليها وهذا من جيد الفاظه وصحيح معانيه وغرضه فيما وصف من الدمع غرض صحيح واحسن منه وأغرب قوله

أما الرسوم فقد أذكرت ماسلفا   فلا تكفن من شأنيك او يكفا

لاعذر للصب ان يفني السلو ولا   للدمع بعد مضى الحي ان يقفا

حتى يظل بماء سافح ودم   في الربع يحسب من عينيه قدرعفا

وهذا المعنى ليس له وانما اخذه من قول أبي وجرة

عيون ترامي بالرعاف كانها   من الشوق صردان تدب وتلمع

قيل فى تفسيره شبه الدمع وقد عصفره الدم بالرعاف وشبه العيون وهي تفيض بالدمع تارة وتحبسه اخرى بالصردان تنتفض تارة وتظهر عرضا من الارض تارة

وبيت أبي تمام أجود لفظا ونظما ولا أظن البحتري ذهب الى مثل هذا المعنى ولا للمعنى الذي قبله ولكنه يعتذر مدة بقلة دمعه ومرة بذكر كثرته ويفتخر بغزره وفي كل ذلك يحسن ويجيد فمن اعتذاره قوله في قصيدته التي أولها

فيم ابتداركما الملام ولوعا ابكيت الا دمنة وربوعا
يادار غيرها الزمان وفرقت ايدي الحوادث شملها المجموعا
لو كان لي دمع يحسن لوعتي خليته في عرضتيك خليعا
لا تخطبي دمعي الى فلم يدع في مقلتي جوى الفراق دموعا

قوله في ابتداء القصيدة ابكيت الا دمنة وربوعا قد اخبر انه بكى ثم قال لو كان لي دمع يحسن لوعتي الى لو كان لي دمع غزير يليق بلوعتي وينبيء عنها وكذلك قوله فلم يدع في مقلتي جوى الفراق دموعا أي دموعا كافية ارضاها أو دموعا تسعني لانه استقل دمعه واستنزره وان يكون انقطع دمعه ولله در كثير اذ يقول

وقضين ماقضين ثم تركنني بفيفا جريم واقفا اتلدد
ولم أر مثل العين ضنت بمائها على ولا مثلى على الدمع يحسد

وقال ابو تمام

اقشيب ربعهم اراك دريسا تقري ضيوفك لوعة ورسيسا
ولئن حبست على البلى لقد اغتدي دمعي عليك الى الممات حبيسا
واري رسومك موحشات بعد ما قد كنت مالوف المحل انيسا
و بلاقعا حتى كأن قطينها حلفوا يمينا احلقتك غموسا

وهذا كلام رصين وقوله حلفوا يمينا احلقتك اي كانهم حلفوا يمينا ان لا يعودوا اليك فاحلقك ذلك ومن حلو معانيه وجيد الفاظه في البكاء على الديار قوله

دمن لوت عزم الديار ومزقت فيها دموع العين كل ممزق

وقال أيضا

سقي عهد الحمي سيل العهاد وروض حاضر منه وبادي
نزحت به ركى العين أنى رأيت الدمع من خير العتاد

وهذا البيت في غاية الجودة لفظه ومعناه الا انه وصله بكلام غليظ فقال

فياحسن الرسوم وما تمشى اليها الدهر في صور العباد

وهذا بيت في غاية الرداءة والسخافة ومعناه فياحسن الرسوم ولم يمش اليها الدهر

اى لم يصبها الدهر ببعد أهلها عنه فاخرجه هذا المخرج القبيح المستهجن

﴿ ومن احسان ابى عبادة المشهور في هـذا قوله ﴾

احـلتى سلمى بكاظمة أسلمـا وتعلما ان الهوى ماهجتما
هل تروبان من الاحبة هائما او تسعدان على الصبابة مغرما
ابكيكما دمعا ولو انى على قدر الجوى ابكى بكيتكما دما

﴿ ومن جيد شعر أبى تمام ايضا في هذا البيت قوله ﴾

ارامة كنت مالف كل ريم لو استمتعت بالانس القديم
اذار البؤس حسنك التصابى الى فصرت جنات النعيم
لئن اصبحت ميدان السوافى لقد اصبحت ميدان الهموم
ومما ضرم البرحاء انى شكوت فما شكوت الى رحيم
اظن الدمع فى خدى سيفني رسوما من بكاى فى الرسوم

وهذا من أسهل الكلام واسلس نظمه ومن أبعد قول من التكلف والتعسف واشبهه بكلام المطبوعين وأهل البلاغة وقوله فصرت جنات النعيم معنى حسن ولكن فيه اسراف أن يجعل دارخلت من اهلها دار بؤس وهو باك فيها جنات النعيم وقداتى البحترى بهذا المعنى متبعا فيه ابا تمام ولكنه جاء به على سبيل اقتصاد واعتدال واجتنب افراطه فقال

يامغاني الاحباب سرت رسوما وغدا الدهرفيك عندى ملوما
الف البؤس عرصتيك وقد كنت بعيني جنة ونعيما

فقال الف البؤس عرصتيك ثم قال وقد كنت بعيني جنة ونعيما فجعلها جنة و نعيما فيما مضي ومع هذا فانى أقول ان بيت أبى تمام أحسن وهو في سائر ابياته أشعر

وقال البحترى

لعمرك ان الدرسات لقد غدت برياسعاد وهي طيبة العرف
بكينا فمن دمع يمازجه دم هنالك ومن دمع نجود به صرف

وهذا حسن جدا وانما أخذ قوله برياسعاد وهي طيبة العرف من قول الاخر أنشدناالاخفش عن المبرد

واستودعت نشرها الديار فما تزداد الا طيبا على القـدم

وهذا أجود من بيت البحترى لما فيه من الزيادة الحسنة وهى قوله فما تزداد الا طيبا على القدم

وقال البحتري

ترى الليل يقضي عقبة من هزيمه ... أو الصبح يجلو غرة من صريعه
أو المنزل العافي يرد أنيسه ... بكاء على اطلاله وربوعه
اذا ارتفق المشتاق كان سهاده ... احق بجفني عينه من هجوعه

وهذا معنى نخل ومعان في غاية الصحة والاستقامة وللبحتري في وصف الديار والبكاء ليها مذهب آخر وهو قوله

ابكاء في الدار بعد الدار ... وسلوا بزينب عن نوار
لا هناك الشغل الجديد بحزوى ... عن رسوم برامتين قفار
ما ظننت الاهواء قبلك تمحي ... من صدور العشاق محو الديار
نظرة ردت الهوى الشرق غربا ... وامالات نهج الدموع الجواري

وهذا غرض حلو ومعنى لطيف ومثله قوله ولكن ليس فيه ذكر البكا

أبيت باعلى الحزن والرمل دونه ... مغان لها مجفوة وطلول
وقد كنت أرجو الريح غربا مهبها ... فقد صرت أهوى الريح وهي قبول

وذلك لان القبول هي الصبا ومهبها من مطلع الشمس ونحوه قوله

كفتني أريحيات الصبا ... كلفا في الحب ممتد الرسن
نقلتني في هوى بعد هوى ... وابتغت لي سكنا بعد سكن

وقوله

ما ظننت الاهواء قبلك تمحى ... من صدور العشاق محو الديار

معنى حسن وانما أخذه من قول أبي تمام

زعمت هواك عفا الغداة كما عفت ... منها طلول باللوى ورسوم

و بيت البحتري أحلى وأبدع وقال البحتري في وجه آخر وهو أيضا حسن لطيف

في كل يوم دمنة من جهم ... تقوي وربع بعدهم يتأبد
أو ما كفانا ان بقينا غردا ... حتى شجتنا بالمنازل تمهد

ومثله

هو الدمع موقوفا على كل دمنة ... نعرج فيها أو خليط نزايله
ترافهم خفض الزمان ولينه ... وجادهم طل الربيع ووابله

وانما حذا البحتري هذا المعني على حذو قول كثير

وكنت امرءا بالغور مني صريمة وأخرى بنجد ما لعينيك ما تبدى
فطورا اكر الطرف نحو تهامة وطورا اكر الطرف كرا الى نجد
وأبكى اذا فارقت هندا صبابة وأبكى اذا فارقت دعدا على دعد

وهذا ما لا مزيد فيه على حسنه وطلاوته ومثله قول جرير

اخالد قد علقتك بعد هند فشيبني الخوالد والهنود
هوى بتهامة وهوى بنجد قتلنني التهائم والنجود

وقال

أحب ترى نجد وبالغور حاجة فغار المعني عبد قيس وانجدا

﴿ وهذا باب فى وصف اطلال الديار وآثارها قال أبو تمام ﴾

قفوا نعطي المنازل من عيون لها فى الشوق احساء غزار
عفت آياتهن وأى ربع يكون له على الزمن الخيار
اثاف كالخدود لطمن حزنا ونؤى مثل ما انفصم السوار

قوله احساء جمع حسى وهو الماء يغيض في الرمل فاذا وصل الى الصلابة وقف فيحفر عنه ويشرب وقال البحترى

عوض منهم خسيس وقد حلوا اللوى منزل بوجرة عافي
لم تدع منه مبليات الليالى غير نؤى تسفى عليه السوافى
واثاف اقت لها حجج دون لظي النار مثل كالاثافى

وقوله مثل قائمة ثابتة كالاثافي يريد الكواكب التى عند الفرقدين وهي ثلاثة قيل لها اثاف لشبهها بالاثافى فشبه البحترى الاثافي بها لثبوتها وانها مثل على مر الدهر قال ابو حنيفة الديبورى فى كتابه فى الانواء أن تثليثها طول ولو شبهها البحترى بالنسر الواقع لانه اشهر واظهر وأقرب شبها لكان ذلك احسن وأكشف للمعنى من أن يشبهها بشيء انما استعير له اسمها وليس يعرفه كل احد ولكنه جاء من اجل القافية

وقال البحترى

لها منزل بين الدخول فتوضح متى تره عين المتيم تسفح
عفا غير نؤى دارس فى فنائه ثلاث اثاف كالحمائم جنح

وهذا جيد حسن على منهج الشعراء واظنه اخذه من قول عدى بن زيد

وثلاث كالحمامات بها بين مجثاهن توشيم الحمم

وابن الاعرابى قال لا يكون تجثاهن انما هو تجراهن أو من قول أبى نواس

كما اقترنت عند الممر حمائم كبيرات تمى بينهن وكون

وهذا أجود من بيت عدى ومن بيت البحترى وقد شبه الاثافي بالحمائم غير واحد من الشعرآ والبالغ النادر فى وصف الاثافى قول كثير

امن آل قيلة بالدخول رسوم وبحومل طلل يلوح قديم

لعب الزمان برسمه فاجده جون عواكف فى الرماد جثوم

سفع الخدود كانهن وقد مضت حجج عوائد بينهن سقيم

قوله فاجده جون عواكف يعني الاثافي لان الريح لما كشفت عنها ظهرت سوداء شبهها بالعوائد والجون الاسود والجون الابيض وهو من الاسماء المترادفة (لعله المتضاده) قال الاصمعي ويقال غابت الجونة وطلت الغزالة يعني مغيب الشمس وطلوعها وهما اسمان من اسماء الشمس وانما سميت الشمس جونة عند الغروب لانه يعرض فيها من تغير اللون من السواد

كمل كتاب الموازنة بين شعرى أبى تمام وأبي عبادة البحترى الطائيين مما الفه أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيي الآمدى
رحمه الله تعالى والحمد لله وحده

3591

